فرسان

تحت راية النبي
صلى الله عليه وسلم

للشيخ الدكتور أيمن الظواهري

إصدارات غرفة الفجر

فرسان

تحت راية النبي ﷺ

للشيخ الدكتور أيمن الظواهري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }آل عمران١٠٢، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }النساء١، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً } الأحزاب٧٠، {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } الأحزاب٧١.

أما بعد

ففي هذه المقدمة يهمني أن أجيب على أسئلة ثلاث عن هذا الكتاب:

من كتبه؟ ولماذا كتبه؟ ولمن كتبه؟.

أما من كتبه: فهو رجل يزعم أنه ينتمي إلى المجاهدين بصلة، ويقترب منهم بوشيجة، ويرجو أن يقضي ما بقي من عمره في خدمة قضية الإسلام في معركته الضروس مع طواغيت الحملة الصليبية الجديدة.

وقد كتبه وهو مطارد مطلوب، ولكنه – بفضل الله – يتمتع بنعمة لا يدري كيف يوفي شكرها، ألا وهي نعمة العزة لمواجهته أعداء الأمة الذين بلغ بهم الجشع والطمع أنهم لا يرضون من أحد إلا أن يكون لهم ذليلاً طائعاً خانعاً.

أما لماذا كتب هذا الكتاب؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ وما الفائدة التي تجنى من قراءته؟ وماذا يمكن أن يضيف إلى سيل الكتب المتدفق كل يوم؟

الجواب: أن هذا الكتاب قد كتب في محاولة لإحياء وعي الأمة المسلمة بدورها، وواجبها، وما يفترض عليها، وأهميتها، ومدى عداء الصليبيين الجدد لها، وضرورة تفهمها للفيصل بين أعدائها وأوليائها.

وقد كتب في هذا الوقت بالذات بعد أن بدأ يلقون في المعركة بأسلحة جديدة قديمة؛ وهي أسلحة تمييع الفاصل بين أولياء الله وأعدائه، وتذويب الفوارق بين المحرمات والواجبات، وتشويه معالم الهدف المحدد المرصود، والتسوية بين الثبات والصبر والصمود وبين الاستسلام والمساومة والتراجع.

وعلينا أن نعترف – بشجاعة – أن هذه المحاولات قد نجحت في اختراق صفوفنا، وأنها قد اجتذبت عدداً من الأسماء اللامعة بيننا، فأضافها أعداؤنا إلى ما لديهم من حشود مسخرة لخدمتهم؟ من كتّاب التزييف وتجار المبادئ وبائعي الفتاوى.

وهذا الكتاب كتب في هذا الوقت ليذكر أبناء الأمة المسلمة المنتفضة أنها قد قطعت شوطاً كبيراً في طريق النصر. وأن حركتها قد قفزت قفزات واسعة في العقدين الماضيين. وأنها قد انتزعت مكاسب ضخمة في تاريخها القريب. وأن الحركة الإسلامية عامة – والجهادية خاصة – قد احتلت لنفسها مساحة تحت الشمس بدماء أبنائها وتضحياتهم وعذابهم وغربتهم.

وهذا الكتاب قد كتب نذيراً لقوى الشر المتربصة بهذه الأمة أن الأمة تقترب من هزيمتكم يوماً بعد يوم، وتوشك على استيفاء قصاصها منكم خطوة بعد خطوة، إن معركتكم معها معركة محكوم عليكم فيها بالهزيمة، وأن كل جهودكم لا تعدو إلا أن تكون محاولات لتأخير نصر الأمة المسلمة – لا لمنع هذا النصر – ناهيكم أن تكون محاولات لهزيمتها.

وهذا الكتاب كتب ليلقي الضوء على المرحلة الجديدة في جهاد الأمة المسلمة المتصل منذ أن خلق الله خلقه إلى أن يرث المولى – سبحانه – الأرض ومن عليها.

هذه المرحلة هي مرحلة عالمية المعركة، فقد توحدت قوى الكفر ضد المجاهدين، وعلى المجاهدين أن يتوحدوا في مقابلها.

إن المعركة اليوم لا يمكن أن تخاض إقليمية دون النظر إلى العداء العالمي {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }التوبة٣٦، ولا يمكن أن تخاض عالمية دون النظر إلى ضرورة الانتصارات الإقليمية.

بهذا الوعي يجب أن يخوض المجاهدون معركتهم المستمرة وهم مطمئنون إلى وعد ربهم، وموقنون بعدالة قضيتهم، وواثقون من وضوح حقهم، ومصممون على بلوغ أهدافهم بعون الله ومدده وتأييده {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً }الأحزاب٢٢، {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً }الأحزاب٢٣ .

والمجاهدون في هذا الصدد يتمتعون بميزة لا يطمع أعداؤهم أن يتمتعوا بها، فهم أكثر الناس شهوداً لقدرة ربهم الذي أعانهم بقوته حتى تحولوا من شتات لا يملك إلا يسيراً، ولا يعلم إلا قليلاً، إلى قوة مرهوبة تهدد استقرار النظام العالمي الجديد.

فجمعوا بين الاطمئنان إلى خبر الوحي الصادق وتأييد حقيقة الواقع المشاهد.

وصدق البارودي:

يا أيها القاضي المغفل هل تعي ... أني عرفت نهايتي فكفاني

أنا قتلت وسوف أقتل إن أعيش ... الحاكمين بشرعة الشيطان

وقد حاولت في هذا الكتاب الصغير الحجم أن أنقل لقرائه طرفاً من هذه التجربة الضخمة والمعركة المحتدمة، معركة الإسلام في مصر، من وجهة نظر كتب عليها التعتيم والخنق والإسكات، لكن صوتها الخفيض ونبضها الضعيف يسري في هذه الأمة سريان ضوء الفجر الوليد في عتمة الليل الزائل، ويجري منها مجرى الدم في العروق.

وقد كتبت ما كتبت مستعيناً بالله — وهو خير معين — وأنا واثق أن كلامي سيجد — بإذن الله — من سيتلقاه بالقبول ويستقبله بالرضا من شباب الإسلام المجاهد الذين يتململون شوقاً إلى نصرة هذا الدين، ويتسابقون إلى الحرص على رضا ربهم والفوز بالشهادة في سبيله.

وقد كتبت هذا الكتاب في زمن كثر فيه الكلام وقل فيه العمل، ولكني أرجو أن لا تكون الثكلى كالمستأجرة، وأن يجد فيه إخواني ما يعينهم على الزيادة من البذل والعطاء في سبيل الانتصار لدين الله والدفاع عن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كتبت هذا الكتاب في وقت تصاعدت فيه مقاومة أمة الإسلام لأعدائها وتصاعد عدوان أعدائها عليها وأردت بهذا الكتاب أن أوضح بعضاً من معالم هذه الملحمة الدائرة وأن أنبه قراء الكتاب إلى أعداء الإسلام الظاهرين والمتواريين، ذئابهم وثعالبهم، حتى لا ينتهبهم قطاع الطريق إلى الله، وصدق المتنبي:

وسوى الروم خلف ظهرك روم   فعلى أي جانبيك تميل

وقد كتبت هذا الكتاب أيضا لأبشر قراءه بنصر الله القادم، الذي أكاد أراه ماثلاً في الأفق القريب ينتظر إرادة ربه في الظهور وإذن بارئه في البزوغ {إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ }البقرة ٢١٤.

وقد كتبت هذا الكتاب أيضا أداءً للأمانة إلى جيلنا والأجيال التي تليه، فلعلي لا أتمكن من الكتابة – بعد ذلك – في وسط هذه الظروف القلقة والأحوال الجديدة المتقلبة، كما قال المتنبي:

غريب من الخلان في كل بلدة   إذا عظم المطلوب قل المساعد

وقياماً بحق البلاغ الذي أمر به المولى سبحانه وتعالى {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ }آل عمران١٨٧، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} الأحزاب٧٠، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

وقد كتبت هذا الكتاب وأنا أتوقع ألا ينشره ناشر، ولا يوزعه موزع، ولكني رغم ذلك حرصت على أن أقول كل ما أريد أن أقوله دون مداراة ولا مواربة، لأني عاهدت ربي ألا أتأخر عن نصرة دينه شكراً لنعمته السابغة، وحمداً لفضله العميم، وسعياً إلى رضاه ورضوانه {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ }القصص١٧.

لأقاتلن عداك ما أبقيتني   ولأجعلن قتالهم ديداني
ولأفضحنهم على رؤوس الملا   ولأفرين أديمهم بلساني

أسأل ربي وهو القادر على كل شيء أن يعينني على ذلك ويثيبني عليه.

أما لمن كتبت هذا الكتاب؟

فهذا الكتاب كتبته لتقرأه طائفتان:

الأولى: هي الشريحة المتعلمة المثقفة من أمتنا المسلمة.
والثانية: هي الفئة المجاهدة من أبناء الإسلام.

ولذ حرصت أن أكون واضحاً وبسيطاً في كتابي بعيداً عن أساليب المتخصصين واستدلالاتهم، معتمداً على ما للحقائق من قوة تؤثر في النفوس، وما في فطر الناس من ملكة تميز الحق والباطل.

وقد نصحت في هذا الكتاب لقرائه ما استطعت النصح، واجتهدت أن أتحدث إليهم حديث الصدق والمصارحة، حتى ينفذ كلامي إلى قلوبهم، وتعيه عقولهم، وتنفعل به مشاعرهم، وتهتز له أفئدتهم.

فهذا الكتاب لم يكتب للخبراء في مراكز الأبحاث، ولا للمتسلين والمتنطعين والمنقعرين، ولا للناقدين القاعدين، ولا للصحافيين المتكسبين.

ولكن كتب لأهل البذل والعطاء والصدق والوفاء والتضحية والفداء والعزة والإباء. الذين هاجروا إلى ربهم، مخلفين وراءهم دنياهم، ليصنعوا نصر الإسلام القادم بإذن الله.

هذا الكتاب كتب إلى الذين يقدمون في صمت، ويتسابقون إلى البذل، ولا يرجون — بعد ذلك — من أحد جزاء ولا شكورا.

هذا الكتاب كتب إلى الأعزاء الأحباب الذين خرقت أجسادهم طلقات الظلم والطغيان، وشنقوا على أعواد العمالة والخيانة، وسلختهم سياط النفاق والانتفاع، وألقوا في غياهب سجون الردة الجديدة.

إلى الذين أباحت دماءهم فتاوى النفاق، وهتك حرماتهم علماء السلاطين، وباعت كرامتهم النفوس الجشعة إلى الرواتب والإعارات والتأشيرات والمناصب والألقاب.

إلى الذين لا تجدهم في إدارات الفتاوى ولا وزارات الأوقاف ولا في صحف النفاق ولا في أحزاب التزوير ولا في ملاهي الخلاعة. ولكن تجدهم في حلق العلم النافع وجماعات المسلمين وأطراف القرى وزحام المدن ومحابس الظالمين وقاعات المحاكم العسكرية ومسالخ

أجهزة أمن اليهود، وفي ثغور المجاهدين ومواقع المرابطين، يصبرون ويصابرون، ويتعلمون ويعلمون، ويدعون ويعدون، ويتحركون بهذا الدين على طريق الدعوة والجهاد {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }آل عمران١٤٦.

إلى هؤلاء كتبت هذا الكتاب وأحسبهم – إن شاء الله – هم أسعد الناس به وأكثرهم انتفاعاً بما فيه.

واحسبني – إن شاء الله – أسعد الناس بقراءتهم له واستفادتهم منه ونصحهم لي في خطئه وتأييدهم لي في صوابه.

وقد يتوقع القارئ أن يجد في هذا الكتاب تأريخاً لفترة أو سرداً لأحداث مرحلة، وقد يتوقع أن يجد فيه تحليلاً لسياسات أو تقيماً لمناهج أو نقداً لنظم، ولكني أنبه القارئ الكريم أن الكتاب – وإن كان فيه شيء من ذلك – إلا أنه ما كتب لذلك ولا يستطيع كاتبه أن يوفي بذلك.

أما أنه ما كتب لذلك فلأن هذا الكتاب – هو في حقيقته – رسالة من الكاتب إلى أمته وليس شيئاً من ذلك الذي قد يتوقعه القارئ الكريم حتى وإن تضمن تأريخاً أو تحليلاً.

وأما أن كاتبه لا يستطيع أن يوفي بذلك فلأسباب منها أن الكاتب لا يملك الاستقرار الذي يستطيع أن يجمع به كثيراً من الوثائق والأسانيد الضرورية لهذا النوع من الكتابة، فالكاتب – بصراحة – لا يملك إلا شهادته مع قليل من الوثائق والمصادر، وحتى هذه الشهادة لا يستطيع أن يقدمها مفصلة لأن كثيراً من أبطالها ما زالوا في خضم المعركة وكثيراً من أحداثها لا زالت تتفاعل في الميدان.

فليقبل القارئ هذا الكتاب (الرسالة) مني على حاله، وكفى بهذا هدفاً، وكفى بهذا نجاحاً.

وختاماً فهذا كتاب الغريب المهاجر المطارد إلى إخوانه من المهاجرين والمجاهدين، يشد على أيديهم، ويشحذ عزمهم، ويذكرهم برحمة الله الواسعة وفرجه القريب. لهذا كتبت هذا الكتاب، وهكذا يجب أن يقرأ.

فما كان به من خير فهو من توفيق الله– سبحانه – ومنته، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي ومن الشيطان { إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }هود٨٨.

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور أيمن الظواهري

الجزء الأول

الباب الأول

البداية..

{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }القصص ٥-٧.

تعــــيرني أنـــــا قليــــل عديـــــدنا   كــــذلك شــــأن الأكــــرمين قليــــل
ومـــــا ضــــرنا قليــــل وجارنــــا   عزيـــــز وجــــار الأكثــــرين ذليــــل
إذا مــــات منــــا ســــيد قــــام ســــيد   قئــــول لأفعــــال الكــــرام فعــــول

(السموءل بن عادية)

* * *

بدأت الحركة الجهادية في مصر مسيرتها الحالية ضد النظام بعد منتصف الستينات حينما قام النظام الناصري بحملته الشهيرة في سنة ١٩٦٥ ضد الإخوان المسلمين، وأودع السجون سبعة عشر ألف مسلم، وتم إعدام الأستاذ سيد قطب رحمه الله واثنين من رفاقه، وظن النظام أنه بذلك قد قضى على الحركة الإسلامية في مصر بلا رجعة.

ولكن شاء الله أن تكون هذه الأحداث هي شرارة البداية للحركة الجهادية في مصر ضد النظام.

والحركة الإسلامية في مصر وإن كانت قد مارست الجهاد ضد أعداء الإسلام من قبل، ولكن خطها العام لم يكن موجهاً ضد النظام الحاكم ولكنه كان موجهاً أساساً ضد العدو الخارجي، وبقي فكر الحركة وإعلامها يحاول قدر الإمكان أن يقترب من رأس النظام الحاكم (الملك) وأن يخاطبه بصفته السلطة الشرعية في البلاد.

وقد أدى هذا الفصل المتعسف بين الأعداء الخارجيين وعملائهم الداخليين إلى عديد من الكوارث والانتكاسات، لأن أبناء الحركة واجهوا بصدورهم عدواً وتركوا ظهورهم عارية لحليفه، ليطعنوا من خلفهم بأوامر من يواجهونه بصدورهم.

ولا زال هذا الخلط الذي لا ينبني على شرع ولا يستند إلى عقل سارياً إلى الآن في سياسات بعض المنتسبين للحركة الإسلامية، مما أدى لاهتزاز في رؤاهم، وتذبذب في مواقعهم، وفتح ثغرات لأعداء الإسلام نفذوا منها إلى صفوف العاملين للإسلام، بل ووصل الأمر إلى استخدام بعضهم ضد المجاهدين.

وعوداً على بدء فقد كان للأستاذ سيد قطب – رحمه الله – والمجموعة التي التفت حوله فضل كبير – بعد فضل الله - في مجالين:

الأول: وهو المجال العقائدي:

حيث أكد الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – على مدى أهمية قضية التوحيد في الإسلام، وأن المعركة بين الإسلام وأعدائه هي في الأصل معركة عقائدية حول التوحيد، أو حول لمن يكون الحكم والسلطان، لمنهج الله ولشرعه أو للمناهج الأرضية والمبادئ المادية أو لمدعي الوساطة بين الخالق وخلقه.

وكان لهذا التأكيد أثره الواضح في معرفة الحركة الإسلامية لأعدائها وتحديدهم، وإدراكها أن العدو الداخلي لا يقل خطورة عن العدو الخارجي بل إنه الأداة التي يستخدمها العدو الخارجي والستار الذي يحتمي وراءه في شن حربه على الإسلام.

والمجال الثاني: وهو المجال العملي:

حيث قررت المجموعة الملتفة حول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – أن توجه ضرباتها ضد النظام القائم باعتباره نظاماً معادياً للإسلام خارجاً عن منهج الله رافضاً للتحاكم إلى شرعه.

وكان تخطيط هذه المجموعة بسيطاً فلم يكن يهدف لتغيير النظام ولا لإحداث فراغ به، ولكنه كان يهدف فقط لتوجيه ضربات وقائية أو دفاعية أو انتقامية إذا خطط النظام لحملة تنكيل جديدة ضد المسلمين.

ولكن المعنى في هذا التخطيط كان أكبر من قوته المادية، فقد كان يعني بوضوح أن الحركة الإسلامية قد بدأت خوض حربها ضد النظام باعتباره عدواً للإسلام بعد أن كانت أدبياتها ومبادئها من قبل – التي لا زال بعضهم يرددها حتى اليوم – تؤكد على أن عدو الإسلام هو العدو الخارجي فقط.

وهكذا كان للأستاذ سيد قطب – رحمه الله – وللمجموعة الملتفة حوله فضل السبق في هذين المجالين.

ورغم أن مجموعة الأستاذ سيد قطب تم البطش بها والتنكيل بأفرادها على أيدي النظام الناصري، إلا أن ذلك النظام كان أعجز من أن يحد من تأثير هذه المجموعة المتعاظم في أوساط الشباب المسلم.

فلقد كانت ولا زالت دعوة سيد قطب – رحمه الله – إلى إخلاص التوحيد لله والتسليم الكامل لحاكمية الله ولسيادة المنهج الرباني شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي لازالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم.

تلك الثورة التي تزداد كل يوم ثباتاً في العقيدة ووضوحاً في المنهج وإدراكاً لطبيعة الصراع وخبرة بمشاكل الطريق، طريق الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى أن يرث الله – سبحانه وتعالى – الأرض ومن عليها.

ذلك الطريق الذي كان للأستاذ سيد قطب – رحمه الله – دور كبير في توجيه الشباب المسلم إليه في النصف الثاني من القرن العشرين في مصر خاصة والمنطقة العربية عامة.

وباستشهاد الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – اكتسبت كلماته بعداً لم يكتسبه كثير من كلمات غيره، فقد أصبحت هذه الكلمات – التي سطرت بدماء صاحبها – في نظر الشباب المسلم معالم طريق مجيد طويل، واتضح للشباب المسلم مدى فزع النظام الناصري وحلفاءه الشيوعيين من دعوة الأستاذ سيد قطب إلى التوحيد.

وأصبح الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – نموذجاً للصدق في القول وقدوة للثبات على الحق، فقد نطق الحق في وجه الطاغية ودفع حياته ثمناً لذلك، وزاد من قيمة كلماته – رحمه الله – موقفه العظيم عندما رفض التقدم بطلب للعفو من جمال عبد الناصر وقال كلمته المشهورة: " إن أصبع السبابة التي تشهد لله بالتوحيد في كل صلاة تأبى أن تكتب استرحاماً لظالم".

وظن النظام الناصري أن الحركة الإسلامية قد تلقت ضربة قاضية بقتل الأستاذ سيد قطب ورفاقه واعتقال الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية، ولكن الهدوء الظاهري على السطح كان يخفي تحته تفاعلاً فواراً مع أفكار الأستاذ سيد قطب ودعوته، وبداية تشكل نواة الحركة الجهادية المعاصرة في مصر.

وهكذا تكونت النواة التي انتمى إليها كاتب هذه السطور، وجماعة الجهاد.

وأضافت الأحداث عاملاً خطيراً أثر في مسار الحركة الجهادية في مصر ألا وهو نكسة ١٩٦٧م، والفرار المهين للجيش المصري على غير هدى في صحراء سيناء، وتحطم الآلة العسكرية المصرية في ساعات، والأداء المزري للقيادة العسكرية المصرية التي قادت الأمة إلى كارثة.

وسقط الصنم – جمال عبد الناصر – الذي طالما حاول أتباعه أن يصوروه للشعب على أنه الزعيم الخالد الذي لا يقهر.

وانكشف النظام في العراء بكل عوراته وفساده وعجزه. وتحول الزعيم الباطش بخصومه المهدد المتوعد في خطبه إلى إنسان كسير يلهث وراء حل سلمي يحفظ له شيئاً من ماء وجهه.

وأدركت الحركة الجهادية أن الصنم قد نخر السوس فيه حتى أوهنه، ثم مادت به الأرض من تحته بزلزال النكسة، فخر على أنفه منتكساً وسط ذهول كهنته وهلع عباده.

فاشتد عزم الحركة الجهادية وأدركت أن خصمها اللدود كان صنماً صنعته آلة الدعاية الضخمة وحملة البطش والاستقواء على العزّل والأبرياء.

وشهد المجتمع المصري حالة من عودة الوعي، وبدأ المجتمع بكافة شرائحه في عودة متسارعة إلى الإسلام وبدأت هذه العودة بخطوات قليلة في البداية ولكنها لم تلبث في التزايد والتسارع باطراد.

ثم تلقى النظام الناصري الضربة القاضية بموت جمال عبد الناصر بعد ثلاث سنوات من النكسة عاشها وهو يجتر الهزيمة، بعد أن تحطمت أسطورة زعيم القومية العربية الذي سيلقي بإسرائيل إلى البحر.

ولم يكن موت جمال عبد الناصر موتاً لشخص وإنما كان – أيضا – موتاً لمبادئه التي أثبتت فشلها على أرض الواقع، وموتاً لأسطورته الشعبية التي تهشمت على رمال سيناء، موتاً لنظامه الذي بني على البطش والتزلف والتملق والتسلق والفساد.

ولم تكن جنازة عبد الناصر الحاشدة إلا بقية من حالة الغيبوبة التي سيطرت على الجماهير المصرية بفعل إعلامه القوي، ونوعاً من وداع المصريين لفرعونهم الميت الذين ما لبثوا أن استبدلوا به فرعوناً جديداً وجههم وجهة أخرى وبدأ يبيع لهم وهماً جديداً.

ولكن هذه التحولات العاطفية الجماهيرية المتضاربة لم تؤثر – بفضل الله – في ثوابت أبناء الحركة الإسلامية المتنامية باطراد وخاصة طليعتها المجاهدة.

ولم تمض سنوات حتى أصبح اسم جمال عبد الناصر لا يثير لدى عامة المصريين إلا خليطاً من مشاعر الازدراء واللامبالاة.

وكان تولي أنور السادات للحكم بداية لتحول سياسي جديد في مصر، فقد انتهى العصر الروسي وبدأ العصر الأمريكي.

وككل تحول فإنه يبدأ ضعيفاً ثم ما يلبث أن يتقوى شيئا فشيئاً وتتضح معالمه أكثر فأكثر مع مرور الوقتً.

وبدأ أنور السادات بإزاحة بقايا النظام القديم وكانت أقوى أسلحته في مقاومة تلك البقايا هي إتاحة بعض من الحرية للشعب المكبوت.

وما أن ارتفع بعض الضغط عن الحركة الإسلامية حتى خرج المارد من القمقم واتضح مدى النفوذ الشعبي الكاسح للإسلام، واكتسح الشباب المسلم مقاعد الغالبية الساحقة من مقاعد اتحادات طلاب الجامعات والمدارس الثانوية في سنوات معدودات، وبدأت الحركة الإسلامية زحفها نحو النقابات.

وبدأت دورة جديدة من النمو للحركة الإسلامية ولكنها هذه المرة لم تكن تكراراً لما سبق ولكنها كانت بناء عليه واستفادة من خبرته ودروسه وأحداثه.

فقد بدأت الحركة الإسلامية خوص هذه الحلقة الجديدة من حلقات نموها وقد انتشر بين شبابها وعي عميق بأن العدو الداخلي لا يقل خطورة عن العدو الخارجي.

وكان هذا الوعي يتنامى بقوة مستنداً إلى أدلة شرعية واضحة وخبرة عملية تاريخية مريرة.

وعبثاً حاولت – ولا زالت تحاول – بعض الرموز القديمة أن تردد المفاهيم التي بليت من أن القتال لا يكون إلا مع العدو الخارجي فقط، وأن الحركة الإسلامية لا صدام بينها وبين حكوماتها، ولكن الوعي الجديد كان أرسخ في أسسه الشرعية وأوضح في خبرته العملية التاريخية من كل هذه الأوهام.

وكانت أولى نتائج هذا الوعي الجديد هو ما عرف باسم قضية الفنية العسكرية.

بدأ تكوّن مجموعة الفنية العسكرية بوصول الشهيد –كما نحسبه – صالح سرية إلى مصر، وبدأ الاتصال برموز الإخوان من أمثال السيدة زينب الغزالي والأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله، ونشط في تكوين مجموعات من الشباب وحثهم على وجوب التصدي للنظام الحاكم المعادي للإسلام في مصر.

وكان الأستاذ صالح سرية – رحمه الله – محدثاً جذّاباً على درجة عالية من الإطلاع والمعرفة، وكان حاصلاً على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، كما كان متضلعاً في عدد من العلوم الشرعية.

وقد قدر الله – سبحانه وتعالى – أن ألتقي بالأستاذ صالح سرية – رحمه الله – مرة واحدة أثناء أحد المعسكرات الإسلامية في كلية الطب حين دعاه أحد المشاركين في المعسكر إلى إلقاء كلمة في الشباب.

وبمجرد استماعي لكلمة هذا الزائر أدركت أن لكلامه وقعاً آخر، وأنه يحمل معان أوسع في وجوب نصرة الإسلام، وقررت أن أسعى للقاء هذا الزائر، ولكن كل محاولاتي للقائه لم تفلح – بقدر الله الغالب – لأمر يريده سبحانه ويعلمه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

واتسعت المجموعة التي كونها الأستاذ صالح سرية - رحمه الله – واستطاعت أن تجند عدداً من طلاب الكلية الفنية العسكرية وعلى رأسهم الشهيد –كما نحسبه –كارم الأناضولي رحمه الله.

وبدأ الشباب يضغطون على الأستاذ صالح سرية رحمه الله من أجل البدء في المواجهة، فوافق تحت ضغطهم على القيام بمحاولة لقلب نظام الحكم تتلخص في مهاجمة أفراد الجماعة لحرس بوابة الكلية الفنية في صمت لإدخال عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك

الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة إخوانهم الطلبة داخل الكلية مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه على مقر الاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم.

وشاءت إرادة الله ألا تنجح محاولة الانقلاب لعدم مراعاتهم للظروف الموضعية للواقع ووجوب الإعداد الجيد له، فقد كانت تلك المحاولة تفتقر إلى التدريب في جانب الشباب المكلف بالهجوم على حرس بوابة الكلية، كما أن الخطة كانت تمر بعنق زجاجة في أكثر من مرحلة، وشاء الله أن تفشل من مرحلتها الأولى.

ولكن المعنى الذي أود التأكد عليه هو أن الحركة الإسلامية بعد ضربات عبد الناصر المتتالية أثبتت أنها أكبر من أن تستأصل وأقوى – بفضل الله – من أن تدفع إلى اليأس والعجز، فها هي الحركة الإسلامية تفرز جيلاً جديداً بعد سنوات قلائل من محنة ١٩٦٥ تعود به إلى ميدان الجهاد مرة أخرى شاهرة سلاحها في وجه النظام المعادي للإسلام والمتحالف مع أمريكا هذه المرة.

وأثبتت هذه العملية أن الشباب المجاهد لا يفرق بين العهد الناصري الروسي القديم والعهد الساداتي الأمريكي الجديد، وأنهما في العداء سواء.

وإذا كانت هذه المحاولة قد فشلت فإنها بلا شك قد أضافت رصيداً جديداً – من الثبات والصمود وعدم التراجع في وجه الحكام المفسدين – إلى تاريخ الحركة الإسلامية المجاهدة.

ورغم أن هذه العملية قد أجهضت في بدايتها، إلا أنها كانت إرهاصاً بالتغير الجديد في المسار العام للحركة الإسلامية، فقد قررت الحركة الإسلامية أن تحمل السلاح في وجه الحكومة، وحملته – بعد حملة البطش الناصرية – لتثبت للحكومة أن البطش لا يجدي معها، وأن ما ظنه زبانية عبد الناصر حملة اجتثاث للتيار الجهادي – في حملة ١٩٦٥ – لم يكن إلا شرارة الانطلاق.

وسيقت المجموعة بعد تعذيب بشع إلى المحاكمة، وحكم على الأستاذ صالح سرية والأخوين كارم الأناضولي وطلال الأنصاري بالإعدام.

وبدأت الحكومة في مساومة الثلاثة على تقديم طلب العفو إلى رئيس الجمهورية، أما طلال الأنصاري فقد قدم طلباً للعفو حصل بسببه على تخفيف الحكم إلى السجن المؤبد، أما صالح سرية وكارم الأناضولي فقد أبيا ذلك.

وفي يوم من الأيام تجمع المساجين السياسيين حول الأستاذ صالح سرية – رحمه الله – في فناء سجن الإستئناف في أحد الفسحات القصيرة – التي كان يسمح بها إدارة السجن له خلال حبسه الانفرادي المستمر – وألحوا عليه في تقديم طلب العفو، فقال لهم في يقين المؤمن: وماذا يملك أنور السادات من أمره حتى يملك أن يطيل في عمري شيئاً؟ ثم قال لهم: انظروا إلى السجن الكئيب، وهذا الطعام الرديء الذي يقدم فيه، وإلى هذه المراحيض المسدودة التي نفرغ فيها هذا الطعام. إن هذه هي الدنيا في حقيقتها، فلماذا نتمسك بها؟

وفي الزيارة الأخيرة قبل الإعدام جاءت زوجة الأستاذ صالح سرية ومعها أولادها التسعة لزيارته في السجن، فقال لها رحمه الله إذا تقدمت بطلب للعفو فأنت طالق !!

أما كارم الأناضولي فقد كان في شغل عن سجانيه بالعبادة والذكر والتعالي بإيمانه عليهم.

وفي يوم التنفيذ دخلت قوة من السجن والمباحث على كارم الأناضولي (رحمه الله) ليوثقوه ويأخذوه إلى المشنقة فطلب منهم أن يصلي ركعتين سنة الشهادة، وهي السنة التي سنها الصحابي الجليل خبيب بن عدي رضي الله عنه فقال له العميد عادل مجاهد وهو من اكبر مجرمي مباحث أمن الدولة: صلهما عند الذي ستذهب إليه !!

وقد لقي عادل مجاهد بعض ما يستحقه على أيدي الأخوين عادل فارس وصلاح فارس في السجن حيث أوسعاه ضربا وفقئا له عينه، وترك بعدها العمل في مباحث امن الدولة.

أما عادل وصلاح فارس فقد هاجروا من مصر، ومضى عادل فارس إلى أفغانستان حيث استشهد في معركة نهرين في شمال أفغانستان، رحمة الله عليه وعلى شهداء الإسلام أجمعين.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المحافل

الفتية البيض الأماثل أكمل خلقا ولينا

لم تبق أنفسهم وكانوا بهجة للناظرينا

وبعد عدة سنوات حاول بعض من خرج من السجن من تنظيم الفنية العسكرية محاولة أحياء التنظيم مرتين، انتهت المحاولة الأولى بالقبض على المجموعة في سنة ١٩٧٧م، وانتهت المحاولة الثانية بالقبض على الشباب المجاهد في سنة ١٩٧٩م نتيجة وجود مرشد للمباحث بينهم.

وكان الشهيد –كما نحسبه – محمد عبد السلام فرج – صاحب كتاب الفريضة الغائبة – من الذين لم يقبض عليهم من المجموعة الثانية. وبدأ (رحمه الله) في الحركة النشيطة في القاهرة والجيزة وشمال مصر.

وفي نفس الوقت كان التيار الجهادي السلفي يسيطر على اتحادات الطلاب في جامعات جنوب مصر، ويرفض محاولات الإخوان لاحتوائهم وإدخالهم في خط التهاون مع الحكومة.

وبدأ هؤلاء الشباب في جامعات جنوب مصر يتعرفون على الشيخ عمر عبد الرحمن (فك الله أسره) ويدعونه إلى محاضراتهم ومؤتمراتهم ومخيماتهم.

وأخذ نشاط هؤلاء الشباب ينتقل بعد السيطرة على الجامعة إلى العمل الجماهيري خارج الجامعة وكان من أهم أنشطتهم المظاهرات والمؤتمرات الحاشدة اعتراضاً على الصلح مع إسرائيل وعلى استقبال السادات لشاه إيران في مصر.

وقدر الله سبحانه وتعالى أن يلتقي محمد عبد السلام فرج (رحمه الله) وإخوانه بالشباب في جنوب مصر وباتحاد هذين التيارين تكونت **الجماعة الإسلامية** بإمارة الشيخ عمر عبد الرحمن (فك الله أسره).

الباب الثاني

يحيى هاشم – رائد على الطريق

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } الأحزاب٢٣.

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً   وإذا مت لست أعدم قبراً

همتي همة الملوك ونفسي   نفس حر ترى المذلة كفراً

(الإمام الشافعي رحمه الله)

* * *

لم تكن عملية الفنية العسكرية هي الإرهاصة الوحيدة في ذلك الوقت، فعقب هذه العملية بأشهر معدودات قام الأخ الشهيد –كما نحسبه – يحيى هاشم بمحاولة لبداية حرب عصابات من جبال المنيا.

ورغم أن هذه المحاولة الرائدة لم يكتب لها النجاح لأنها لم تراع الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح مثل هذه الحروب، إلا أنها كانت مؤشراً آخر على أن التغير في فكر الحركة الإسلامية صار حقيقة ملموسة وأن الشباب المسلم هذه المرة لم يكن كأسلافه في الأربعينات.

ويحيى هاشم رائد من رواد الجهاد في مصر، وحق له أن يكون كذلك، فقد أنعم الله عليه بنعمة عظيمة وهي نفسه العزيزة وهمته العالية التي حملته على أن يضحي بكل ما يملك غير مبال بحطام الدنيا ولا ما يتكالب عليه الناس.

وكانت فيه خصلة أخرى حميدة وهي حماسته في سبيل ما يؤمن به، وكان أيضاً (رحمه الله) ذا نفس صافية تحسن الظن وتتعاطف مع إخوانه والمسلمين.

وكان يحي هاشم وكيلاً للنيابة وهو منصب يتمناه كثير من الشباب، ولكن يحي كان لا يعبأ بهذا المنصب وكان دائماً على استعداد للتضحية به في سبيل الله، غير مبال بحطام الدنيا الذي يتكالب عليه الناس.

تعرفت على يحيى هاشم عقب انضمامه إلى مجموعتنا الناشئة أعقاب نكسة ١٩٦٧م الناصرية.

وكانت بداية انضمامه إلينا حادثة فريدة، ففي هذا الوقت كانت البلد تموج بالمظاهرات – وخاصة في الجامعات وبين العمال – احتجاجاً على فضيحة النظام الناصري وهروبه المشين أمام إسرائيل، فقد تبعثر أقوى جيش عربي، جيش زعيم الأمة العربية الذي كان يعده –كما كان يكذب على شعبه – ليلقي إسرائيل في البحر، وليحارب –كما كان يدجل – إسرائيل ومن وراء إسرائيل.

وتحول هذا الجيش الجرار إلى فلول تبحث عن مهرب في صحراء سيناء من مطاردة جيش الدفاع الإسرائيلي. وتحطم سلاح الطيران على الأرض قبل أن يتحرك.

وقررنا أن نحرك مظاهرة من مسجد الإمام الحسين (رضي الله عنه) ونخرج بها إلى شارع الأزهر ثم إلى وسط القاهرة، مع مظاهرات الطلبة في الجامعة والعمال في منطقة حلوان الصناعية.

وقصدنا إلى مسجد سيدنا الحسين (رضي الله عنه) في صلاة الجمعة، ووزعنا أنفسنا في أنحاء المسجد، وبعد الصلاة وقف يحيى هاشم يخطب في الناس موضحاً مدى النكبات التي حلت على الأمة المسلمة، وجاوبناه بالتكبير، ولكن المباحث كانت مستعدة ومترقبة في هذه الأجواء المتوترة، فأحاط به المخبرون وأخذوا يدفعونه إلى خارج المسجد، والناس مندهشون من الجرأة التي لم يعهدها أحد في ظل جبروت عبد الناصر.

ولكن يحيى (رحمه الله) لم يكف عن الصياح بأعلى صوته وقد أحاطه المخبرون من كل جانب يمسكون به ويدفعونه.

ولما خرج إلى ميدان الإمام الحسين (رضي الله عنه) استمر في الخطابة بصوت جهوري.

فلجأ المخبرون إلى حيلة لإسكاته، فتقدم أحدهم وأمسك بخناقه وقال له: يا لص أنت سرقت محفظتي، وأخذ يصرخ بصوت أعلى من صوت يحيى، وتجمع عليه المخبرون ودفعوا به إلى صيدلية قريبة وأغلقوها عليه، وسرعان ما أتت سيارة حملته وذهبوا به إلى مدير المباحث العامة – في ذلك الوقت – حسن طلعت.

وكان النظام الناصري في ذلك الوقت مبهوتاً مترنحاً وكانت أجهزة أمنه غير قادرة على التصرف، فقد كانت بين نارين، قيادة شلتها فضيحة الهزيمة تقود نظاماً نخر فيه السوس

والعفن من ناحية، ومقاومة شعبية رافضة كسرت حاجز الخوف وفاجأت هذه الأجهزة بظاهرة جديدة من المقاومة والرفض لم تعهدها من قبل.

وفي مبنى المباحث أوسعوا يحيى هاشم ضرباً، ثم ساقوه إلى مكتب مدير مباحث أمن الدولة حسن طلعت.

وحكى لنا يحيى هاشم عن المقابلة العاصفة التي حدثت في مكتب حسن طلعت، ومدى الورطة التي وجد النظام نفسه فيها، فالغضبة الشعبية وصلت إلى سلك القضاء والنيابة، ووجد مدير مباحث أمن الدولة نفسه أمام وكيل نيابة – يتمتع بالحصانة القضائية – والبلد تغلي كالبركان غلياناً شل مدير مباحث امن الدولة عن ممارسة أساليبه القذرة المعهودة وخاصة مع المسلمين.

وأخذ حسن طلعت يدافع عن نفسه – وهو الجبار المتكبر – أمام يحيى هاشم ويردد أنه مسلم يدافع عن الإسلام، وهو الذي ترقى في خدمة النظام على دماء المسلمين وأشلائهم.

ولكن يحيى هاجمه كالأسد الحَروب مسفهاً مزاعمه. وكان فوق رأس حسن طلعت على الحائط لوحة كبيرة مكتوب فيها اسم الجلالة، فصاح به يحيى (رحمه الله) لماذا تضع هذه اللوحة فوق رأسك وأنت لا تعرف الله؟.

ولم يجد النظام بداً من الانسحاب والتراجع في هذه الظروف العصيبة فأفرج عن يحيى هاشم صاغراً.

لقد كانت مظاهرة مسجد الإمام الحسين (رضي الله عنه) عاطفية متناسبة مع أعمارنا في هذه المرحلة.

وانطلق يحيى هاشم لا يترك فرصة في الدعوة والتحريض على النظام ودعوة المسلمين إلى الجهاد.

وتزامن نشاطه هذا مع موت عبد الناصر وخروج الإخوان على دفعات في بداية عهد السادات.

والتقى يحيى هاشم بعدد من قيادات الإخوان، وبطبيعته الصافية وعاطفته الجياشة توجه إليهم بكل مشاعره، باعتبارهم القادة الشرعيون للحركة الإسلامية كما أقنعوه.

وجاء إلينا يحمل تصورهم في العمل، كان تصورهم يقوم على أن تكون لهم القيادة من بعد ولكن لا يتحملون مسؤولية أية مشكلة تحدث لأية مجموعة، فقلت ليحيي: إن هذه هي عين الانتهازية، لهم حسنة القيادة وعلينا سيئتها.

ولكن يحي كان مندفعا في حبه لهم وحسن ظنه بهم.

وشاء قدر الله الغالب أن يكشف له عن الحقيقة في واقع عملي، فقد حدث أن أحد إخوانه حدثت له مشكلة أمنية اضطرته إلى الاختباء من أجهزة الأمن فذهب يحي إلى الإخوان – وهم قادته – ليعينوه في حل المشكلة، ولكنه صدم بردهم، إذ أنهم قالوا له عليك أن تتخلى عن هذا الأخ تماما ولا تقدم له أي عون.

وكانت صدمة أدت إلى قطيعة بين يحيى هاشم والإخوان، واستمر يحيى هاشم في إعانة أخيه ورعايته حتى أوصله إلى مأمنه بفضل الله .

ثم جاءت قضية الفنية العسكرية في سنة ١٩٧٤م، فتعاطف يحيى هاشم معها تعاطفا شديدا وكان يتابع أخبارها بدقة.

وفي هذه الأثناء بدأت تختمر في ذهن يحيى هاشم فكرة بدء الصدام المسلح مع النظام.

وبدأ يدعو المقربين منه إلى الشروع في حرب العصابات وفاتحني في هذه الفكرة فلم أوافقه عليها، وقلت له إن طبيعة البلد لا تصلح لهذه النوع من الحروب وأعطيته كتاباً عن حرب العصابات.

ولكن الفكرة كانت تختمر في رأسه وفي رأس عدد من إخوانه. وأخذ يحيى هاشم يتصل بعدد من الإخوة المتهمين في قضية الكلية الفنية العسكرية، وأخذ يدبر خطة لهروبهم يستغل فيها منصبه كوكيل نيابة، وكان أساس الفكرة أن يستصدر أمراً مزوراً بترحيلهم من سجنهم وفي أثناء الترحيل يتم الهروب.

ولكن الخطة انكشفت إذ أمسكت المباحث برسالة تهرب من قاعة المحكمة إلى قفص المتهمين.

وبعد وقوع الرسالة التي تحتوي على شرح للخطة، قرر يحيى هاشم الهروب، والشروع في مشروعه الخاص بحرب العصابات.

ولجأ يحيى هاشم ورفاقه إلى منطقة جبلية في محافظة المنيا على حافة الصحراء، وتمركزوا فيها تحت غطاء أنهم وحدة عسكرية بعد أن اشتروا بعض قطع السلاح.

ولكن عمدة القرية المجاورة استراب في الأمر فأبلغ الشرطة التي هاجمت موقع الإخوة، وحدثت معركة قبضت فيها الشرطة على الإخوة بعد نفاذ ذخيرتهم، حاول يحيى (رحمه الله) الانقضاض على قائد القوة فعاجله برصاصة أردته قتيلاً رحمه الله.

كانت هذه بعضاً من سيرة هذا البطل الذي كان – بحق – رائد في جهاد النظام المعادي للإسلام في مصر، مضحياً بكل ما يملك في سبيل إيمانه.

وكما قال كعب بن زهير رضي الله عنه:

البائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار

يتطهرون يرونه نسكاً لهم ... بدماء من علقوا من الكفار

الباب الثالث

الفرعون في جنده

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }القصص٤. {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }القصص٥. {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ }القصص٦.

ومـــن نخشـــى وفـــوق العـــرش ... مهمـــا يغـــتر بشـــر

وفي الأيـــام متســـع ... وفي الأقـــدار مـــدخراً

وفي الأحـــداث معتـــبر ... لـــو أن النـــاس تعتـــبر

رويـــداً إنهـــا دول ... تـــدول وبعـــدها أخـــر

ســـيوف الله إن ســـلت ... فـــلا تبقـــي ولا تـــذر

(ولي الدين يكن)

* * *

دار التغير في فكر وأسلوب الحركة الإسلامية متسارعاً، رغم أن جماعة الإخوان المسلمين –التي أتاح لها النظام الساداتي مساحة كبيرة من الحرية – حاولت أن تعيق هذا التغير، وحاولت أن تطمئن النظام إلى أن الحركة الإسلامية لا يمكن أن يأتي منها تهديد النظام، إلا أن عجلة التغير كانت قد دارت تدفعها قوة الأدلة الشرعية وخبرة الأحداث الواقعية.

ولم يكن اختلاف التوجه هو الفارق الوحيد بين شباب السبعينات وشباب الأربعينات، بل أضاف شباب السبعينات فارقاً جديداً هاماً؛ وهو زيادة الاهتمام بتحصيل العلم الشرعي مما وفر له قاعدة شرعية علمية قوية تدعم توجهه السياسي العسكري، ومكنه هذا الاهتمام العلمي من معرفة مسائل الإجماع في الفقه الإسلامي فيما يخص قضايا الحكم والقتال أو ما يعرف في الفقه بالسياسة الشرعية.

وهكذا خرج شباب السبعينات الذي بذر بذور الحركات الجهادية المعاصرة أقوى في مواجهته لأعداء الأمة المسلمة في الداخل (النظام) وفي الخارج (أمريكا وإسرائيل) وأرسخ في فهمه لثوابت الشريعة ومواطن الإجماع.

ولم تمهل الأحداث الشباب المسلم ولا الحكومة المصرية طويلاً فقد كان الصدام مؤكداً لأن كلاً منهما لم يعد قادراً على الصبر على خصمه.

وكانت الحكومة تقدم كل يوم مبرراً جديداً للصدام بانحرافها عن الإسلام وباستغراقها في الفساد.

وكانت أهم الأحداث التي عجلت بهذا الصدام تقع على ثلاثة محاور:

المحور الأول وهو الأهم: هو تنامي العلاقات الأمريكية الإسرائيلية مع مصر، والتي بدأت بسحب الخبراء الروس قبل حرب ١٩٧٣ والاستسلام لأمريكا أثناء الحرب ، ثم الانصياع لرغبات كيسنجر وحيله في المفاوضات التي أعقبت الحرب وانتهت بالخسارة السياسية شبه الكاملة.

ثم ما تلا ذلك من زيارة السادات للقدس ثم توقيع معاهدتي كامب ديفيد ثم معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وما أعقب ذلك من افتتاح سفارة لإسرائيل في القاهرة ورفع العلم الإسرائيلي في سماء مصر ثم الخطوات المتسارعة في تنفيذ التطبيع.[١]

المحور الثاني: هو استفزاز السادات لمشاعر المسلمين في العلم باستقباله لشاه إيران في مصر بعد أن أكره على الخروج من إيران.

المحور الثالث: هو سعي السادات لشن حملة تنكيل جديدة بالمسلمين تماثل ما سبقتها من حملات في ١٩٦٥ و ١٩٥٤و ١٩٤٩ .

---

(١) يعد الاتصال الذي تم بين حافظ إسماعيل وهنري كيسنجر يوم ٧ أكتوبر أخطر هذه الاتصالات حيث أبلغت الحكومة المصرية أمريكا أنها لا تنوي توسيع مجال الاشتباكات. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الاتصال وتداعياته الخطيرة راجع محمد عبد الغني الجسمي: مذكرات الجسمي، حرب أكتوبر – ص٣٤٦ إلى ٣٥٠ – الطبعة الأولى ١٩٧٩ – المنشورات الشرقية – باريس، محمد حافظ إسماعيل: أمن مصر القومي ص ٣١٧ إلى ٣١٩ . أيضا مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ترجمة خليل فرحات ج ٤ ص ٣١٦ .

ولم تكن هذه الأسباب هي السبب الأصلي أو الأساسي في الصدام ولكنها كانت الأسباب المجملة أو المباشر للصدام.

أما السبب الأصلي في العداء بين الشباب المسلم المجاهد وبين السادات فكان عدم الحكم بالشريعة الإسلامية وما تفرع عن هذا من انحرافات في مناحي الحياة المختلفة التعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية .. الخ.

فجاءت هذه الأسباب التي ذكرناها لتصب الزيت على نار متقدة، فكان الصدام وكانت أحداث انتفاضة ١٤٠١ هـ الإسلامية (١٩٨١م).

وقد دارت أحداث انتفاضة ذي الحجة ١٤٠١ الإسلامية (أكتوبر ١٩٨١) في مصر على محورين:

المحور الأول: الهجوم على السادات وأركان حكمه في العرض العسكري يوم ٦ أكتوبر، في محاولة لقتل أكبر عدد من رؤوس النظام، وما صاحب هذا الهجوم من محاولة للاستيلاء على الإذاعة.

وقد نجح التحرك في هذا المحور في قتل السادات أما أركان الحكم فقد نجوا، وكما لم تنجح محاولة الاستيلاء على الإذاعة.

المحور الثاني: القيام بانتفاضة مسلحة في مدينة أسيوط للاستيلاء عليها.

وقد تمت هذه الانتفاضة بعد اغتيال أنور السادات بيومين، أي بعد أن نجح الجيش في السيطرة على البلد وتأمين النظام، وقد نجحت هذه المحاولة في الاستيلاء على بعض مراكز الشرطة، ولكن استدعيت القوات الخاصة التي بدأت في دك مواقع مقاومة الإخوة فاضطر الشباب المجاهد إلى ترك هذه المراكز لما نفذت ذخائرهم.

لقد كان محكوماً على انتفاضة أسيوط المسلحة بالفشل فقد كانت انتفاضة عاطفية ذات نصيب متواضع من التخطيط، فقد جاءت متأخرة عن قتل السادات بيومين، كما كانت تستند إلى خطة غير واقعية تهدف إلى السيطرة على مدينة أسيوط ثم التقدم شمالاً نحو القاهرة لفتحها، متناسية أية أرقام عن قوة العدو وعتاده.

وهكذا انتهت انتفاضة ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) الجهادية، بمكسب أساسي وهو قتل أنور السادات، أما ما صاحبها من محاولات فلم يكتب لها التوفيق لعدم توفر الإعداد الكافي

اللازم لها، ولكن الأمر لا يجب أن ينظر إليه بنظرة محدودة تتعلق بمسارح هذه الأحداث الضيقة، بل يجب أن ينظر إلى تلك الانتفاضة بنظرة أوسع تتعدى مكانها وتمتد إلى آثارها التي تبعتها والحقائق التي أثبتتها.

فمن الواضح أن هذه الانتفاضة أثبتت عدة حقائق:

١ – أظهرت مدى شجاعة المجاهدين المسلمين الذين هاجموا قوات تتفوق عليهم أضعافاً مضاعفة في العدد والعتاد والخبرة العسكرية.

٢ – أظهرت الأحداث الطبيعة الهجومية للحركة الإسلامية المجاهدة التي قررت أن تهاجم النظام في محاولة للقضاء على رؤوسه في وسط جموعه وحشوده.

٣– كما أظهرت الأحداث أن تغير النظام المنحرف عن الإسلام أصبح الفكرة المحورية التي تشغل بال الشباب المجاهد متخطين بذلك مناهج الإصلاح الجزئي وأساليب الترقيع ووسائل تلوين وجه النظام القبيح ببعض الإجراءات الإصلاحية.

٤– أثبتت الأحداث أن مرحلة تفرد النظام الحاكم بضرب الحركة الإسلامية قد انتهت، وأن على أعداء الإسلام في البيت الأبيض وتل أبيب ووكلائه في القاهرة أن يتوقعوا ردود أفعال في غاية العنف في كل حملة قمع يقومون بها.

٥– أثبتت الأحداث أن فكرة العمل من خلال القوانين الحكومية والخضوع للدستور العلماني المفروض بالاستفتاءات المزورة والاعتراف بشرعية الحكومة أصبحت أفكاراً بالية في نظر الشباب المجاهد الذي قرر أن يحمل سلاحه ليدافع عن عقيدته المغيبة وشريعته الممنوعة وحرماته المستباحة ووطنه المحتل بالاستعمار الدولي الجديد ومقدساته التي باعتها اتفاقيات الاستسلام مع إسرائيل.

٦– كما أظهرت الأحداث الفشل الذريع لأجهزة الأمن التي لم تكن على علم بأن البلد يموج بالتيار الجهادي الذي استطاع اختراق القوات المسلحة، بل وأخرج منها كميات من الأسلحة، واستطاع الوصول لقوات العرض العسكري رغم إجراءات الأمن الطويلة لتأمين ذلك العرض.

بل إن السادات نفسه في مؤتمره الصحفي الذي عقده بعد حملة اعتقالات سبتمبر ١٩٨١م (قرار التحفظ الشهير) أنكر أن يكون لدى الإسلاميين أية أسلحة.

لقد تصور عبد الناصر أنه باعتقالات ١٩٦٥ قد حول الحركة الإسلامية إلى مجموعات من المعتقلين البائسين خدمة للاتحاد السوفيتي، وجاء من بعد أنور السادات الذي تصور أنه باعتقالات سبتمبر قد فرغ البلد من التيار الإسلامي خدمة لأمريكا.

فجاءت هذه الأحداث لتثبت أن هذه الأوهام لا صلة لها بالواقع وأن الحركة الإسلامية وطليعتها المجاهدة ضاربة بجذورها في المجتمع، وأنها تنبت كما تنبت الأشجار وسط الصخور، وأن استئصالها قد فات أوانه، وأن سياسة البطش والتنكيل قد فقدت فاعليتها في التعامل مع التيار الإسلامي.

٧- ليس هذا فحسب بل أثبتت الأحداث أن أمن النظام بل وجوده نفسه أصبح مهدداً بعد أن أوشك المجاهدون على القضاء على رؤوسه وأركانه في العرض العسكري.

٨- وأظهرت هذه الأحداث أيضا عجز الدعوات الاستسلامية سواء تلك الدعوات المرتبطة بعلماء السلاطين، أو تلك الدعوات التي تسبغ الشرعية على النظام وتجدد البيعة له وتصر على العمل من خلال دستوره وقوانينه.

تلك الدعوات التي يزعم أصحابها أنهم أصحاب الخبرة في العمل السياسي، متناسين أن أهم مبادئ العمل السياسي، أن قوتك السياسية ما هي إلا ترجمة لقوتك المادية والواقعية، وأن المستسلم الأعزل – فاقد القدرة على النيل من خصمه – لا يستطيع أن يحقق أي مكسب سياسي.

ويتناسون أيضا أن العمل السياسي مثل العمل العسكري القتالي ما هو إلا وسيلة لتحقيق هدف يناضل من أجله، فإذا سلمت الحركة الإسلامية بشرعية النظام ودستوره وقانونه فقد أجهضت هدفها الذي تنادي به وهو إقامة الدولة الإسلامية.

فإذا كانت الدولة القائمة شرعية وكان دستورها مستحقاً للطاعة وقوانينها لا تجب مخالفتها ورئيسها تجدد الحركة له البيعة، فما الداعي إذن لإقامة دولة شرعية أخرى؟ ولتذهب هدراً كل التضحيات السابقة لأن الحركة الإسلامية قد اكتشفت أخيراً أنها تناضل لإيجاد واقع هو موجود فعلاً!!

ويكون منتهى غاية تلك الحركة أن تقوم بإصلاحات جزئية لتجميل وجه النظام وإصلاح بعض العيوب فيه.

وتكون الحركة بذلك قد سلمت لأعدائها اليهود والأمريكان، ووقعت في فخهم ورضيت بتسلط وكيلهم عليها، ليسيرها حسب مصالحهم وأهوائهم.

أقول: إن شباب انتفاضة ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) الإسلامية كانت فطرته من الصفاء، ووعيه من العمق بحيث تجنب الوقوع في هذه الفخاخ، بل ورفضها، وحمل السلاح دفاعاً عن دينه وعقيدته ومقدساته وأمته ووطنه.

وهكذا فإن التيار الجهادي في ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) لم يتخلص من عقدة الخوف من مواجهة النظام فقط، ولكنه أيضا تخلص من الأوهام التي حاول بعض المنتسبين إلى الإسلام أن ينشروها في أوساط الشباب، تقييداً لحركتهم، وإعاقة لمسيرتهم بقصد أو بغير قصد.

وأذكر أن أحد المنشغلين بالإعلام في الوسط الإسلامي قابلني بعد عدة سنوات من هذه الأحداث، وانتقدها نقداً لاذعاً قائلاً: إنها لم تؤد إلا إلى قتل الأبرياء (يقصد جنود الشرطة والأمن المركزي). فقلت له: قد تستطيع أن تنتقد هذه الأحداث بما تشاء إلا أن تقول إن جنود الشرطة من الأبرياء، أو أن تنكر أن هذه الأحداث قد أثبتت شجاعة المجاهدين ورفضهم النظام الفاسد العميل. فقال لي: إن واجبك يقتضي منك أن تدعوا الشباب أن يكفوا عن مثل هذه الحماقات. فقلت له: إن ما تطلبه مني هو **– للأسف– نفس ما تطلبه المباحث مني بالضبط !!!**

٩ –كما أظهرت تلك الأحداث حقيقة هامة في الشارع المصري؛ وهي أن القوة الوحيدة التي تمتلك القدرة والشجاعة على التغيير هي الحركة الإسلامية، فرغم اعتراف كل التيارات السياسية الأخرى بفساد النظام، ورغم وقوع عدوان النظام عليهم، إلا أن القوة التي تحركت وحملت عبء الصدام وخوض معركة التغير، والتي لا تزال حتى اليوم تخوض هذه المعركة هي الحركة الإسلامية.

وهذه الحقيقة متفرعة من حقيقة أخرى وهي أن القوة السياسية الحقيقية في مصر هي الحركة الإسلامية، وأن الشعب ينتمي إليها بلا تردد إذا ما رفعت عنه الضغوط. وأن بقية التيارات السياسية الأخرى ما هي إلا قوى هامشية، تملك صوتاً عالياً نظراً لمساحة الحرية التي منحها لها النظام، ويمنعها عن الحركة الإسلامية.

فعل سبيل المثال المضحك المبكي كما يقول المتنبي:

وكم ذا بمصر من المضحكات   ولكنه ضحك كالبكا

إن أي صاحب شركة يستطيع أن ينشر إعلاناً مدفوع الأجر يطالب فيه بإلغاء قانون أو قرار إداري، ويستطيع أي ممثل أن يتناول القوانين السائرة في تمثيله، ويستطيع أي كاتب أن يعترض على أحكام الشريعة ويسخر منها ويتهمها بما يشاء، وما فرج فودة عنا ببعيد، ويستطيع أي صحفي أن يصف الحكومة بأشد الأوصاف، ويعترض على غدارتها وقرارتها وقوانينها، إلا أن الوحيد الذي لا يستطيع ذلك هو خطيب المسجد لأن المادة ٢٠١ من قانون العقوبات تنص على: "لا يجوز لأحد ولو كان من رجال الدين – داخل دور العبادة – أن يقول – ولو على سبيل الموعظة الدينية – قولاً يعارض به قراراً إدارياً أو قانوناً مستقراً أو عرفاً سائداً، ومن يفعل ذلك حبس وغرم خمسمائة جنيه، فإن قاوم ضوعفت الغرامة والسجن".

كما أن الفئة الوحيدة المحرومة من حق تكوين النقابات – وهو الحق المكفول في مصر حتى للراقصات – هم العلماء والدعاة.

والقوى الإسلامية هي القوة الوحيدة التي صمدت ولا تزال تصمد للبطش المتواصل منذ الأربعينات، والذي بلغ أوجه في عصر حسني مبارك، ذلك البطش الذي تعجز عن مواجهته أية قوة سياسية أخرى.

١٠ – وبقتل أنور السادات انفجرت قضية الجهاد في مصر والعالم العربي، بل وأصبحت ممارسة ميدانية يومية. وأضحت مواجهة النظام – المحارب للشريعة والمتحالف مع أمريكا وإسرائيل – معركة متصلة الفصول لم تتوقف حتى اليوم، بل على العكس تزيد يوماً بعد يوم، ويتسع ميدانها فترة بعد فترة، ويزيد أنصارها مرحلة بعد مرحلة، ويشتد تهديدها لأعدائها في واشنطن وتل أبيب طوراً بعد طور.

وأصبحت القضايا التي فجرها قتل أنور السادات وما صاحبه من أحداث قضايا أساسية في فكر الشباب المسلم.

وهكذا أصبحت قضايا حاكمية الشريعة، وردة النظام عن الإسلام، وعمالة الحكم لأمريكا وإسرائيل مسلمات يقاتل عنها الشباب المسلم في الميدان بعد أن فجرها الشهيد – كما نحسبه – محمد عبد السلام فرج وإخوانه الكرام (رحمهم الله)، وبعد أن أوضحها الشهيد –كما نحسبه – خالد الإسلامبولي (رحمه الله) حينما سئل: لماذا قتلت أنور السادات؟ فأجاب: **لأنه لم يحكم بالشريعة، ولأنه عقد صلحاً مع إسرائيل، ولأنه أهان علماء الإسلام.**

١١- وأثبتت هذه الأحداث أن العداء لإسرائيل وأمريكا في قلوب الشباب المجاهد عداء أصيل، وأن قتل أنور السادات على يد خالد الإسلامبولي (رحمه الله) ورفاقه الكرام كان ضربة قوية للمخطط الأمريكي الإسرائيلي في المنطقة.

وهذا يثبت مدى الافتراء والكذب فيما تردده العلمانية العربية من أن كثيراً من الحركات الجهادية وخاصة التي شاركت في الجهاد الأفغاني هي صنيعة لأمريكا.

وإن المرء ليعجب من هذه الجرأة في الافتراء من الكتاب العلمانيين، فإنهم لما أسقط في أيديهم حينما شاهدوا التأييد الشعبي الكاسح في العالم الإسلامي للحركات الإسلامية المجاهدة – بعد إنزالها ضربات موجعة بأمريكا – اختلقوا هذه الفرية، متناسين أن **العميل الأكبر لأمريكا في المنطقة العربية قد قتل على يد المجاهدين في عام ١٩٨١م أي في بداية الجهاد الأفغاني وأن هؤلاء المجاهدين هم الذين شاركوا فيما بعد في الجهاد الأفغاني**.

وكان رد فعل النظام على هذه الأحداث وحشياً في شدته دنيئاً في أسلوبه.

ودارت طاحونة التعذيب والتنكيل بأقصى سرعتها مرة أخرى لتكتب فصلاً دامياً جديداً في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر.

كانت طاحونة التعذيب وحشية في دورانها، فقد كسرت العظام، وسلخت الجلود، وصعقت الأعصاب، وأزهقت الأنفس. وكانت دنيئة في أساليبها لأنها اتخذت من سب الدين والرب، واحتجاز النساء، والاعتداء الجنسي، وتسمية الرجال بأسماء النساء، والتجويع ورداءة الطعام، وقطع المياه، والإغلاق ومنع الزيارات، وسائل معتادة لإذلال المعتقلين.

وكانت طاحونة التعذيب هذه المرة مختلفة عن سابقاتها من ناحيتين: فقد دارت ولا زالت تدور حتى اليوم بلا توقف، كما أنها ابتلعت مئات الألوف من الضحايا منذ مقتل أنور السادات حتى الآن. فقد قدرت لجنة الشريعة الإسلامية بنقابة المحامين عدد التظلمات المقدمة ضد الاعتقال من ١٩٨١م إلى ١٩٩١ م بربع مليون تظلم.

كما صرح وزير الداخلية في أحد تصريحاته: بأن عدد المعتقلين عشرة آلاف معتقل.(٢)

(٢) المنظمة المصرية للحقوق الإنسان : التقرير السنوي لعام ١٩٩٤

وفي مرة أخرى أفرجت الحكومة عن خمسة آلاف تائب مرة واحدة! فكم عدد الذين لم يتوبوا ؟

ولا يقل – في الحقيقة – عدد المعتقلين في السجون المصرية الآن بحال عن ستين ألف معتقل، لا سبيل إلى الاتصال بهم، ولا إلى معرفة أحوالهم نظراً للحصار الشديد الذي تفرضه الحكومة عليهم.

وأحالت مباحث أمن الدولة والمخابرات الحربية المتهمين إلى النيابتين المدنية والعسكرية، وكانت تحقيقات النيابة فصلاً آخر من فصول المهزلة، فقد كانت النيابة تسرب محاضر التحقيق إلى ضباط المباحث ليراجعوا فيها المتهمين، وليحاسبوهم على ما قالوه فيها، ثم يعاد تلقينهم ما يجب عليهم أي يقولوه.

ولكن نيابة أمن الدولة كانت في هذه المرة مهتزة في ثقتها بالنظام، فقد رأت بعينها حدة الصراع بين النظام وخصومه، ولذلك حرصت على ألا يكون تواطؤها مع المباحث بالقدر الذي يورطها في أدلة مادية ضدها ما انقلبت الأحوال وسقط النظام.

بل بلغ الأمر بالمدعي العام العسكري – الذي يتولى التحقيق في اغتيال أنور السادات – أنه تجاهل مسئولياته ولم يذهب إلى منصة العرض العسكري إلا بعد يوم كامل من وقوع الحادث، رغم أن الحادثة تقع بالكامل في دائرة اختصاصه، إذ أن المقتول هو القائد الأعلى للقوات المسلحة والمهاجمون من أفراد القوات المسلحة، والحادث وقع على أرض عسكرية، ولكنه ترقب النتائج في أعقاب الزلزال الذي أصاب النظام فأصابه حالة من الشلل.

لقد كان المدعي العام العسكري ينتظر ليرى بأمر من سيحقق مع من؟ ومن سيتهم من؟ ومن سيدعي على من؟

ومن الطرائف أن العقيد محسن السرساوي مأمور سجن استقبال طره في ذلك الوقت عقب اغتيال السادات – وهو نموذج لراكبي الموجات ومنتهزي الفرص – دخل إلى عنبر السجن ذي الطوابق الأربعة والممتلئ بالمعتقلين السياسيين وصاح فيهم: "إخوة النضال، إخوة الكفاح لقد قتل الرئيس أنور السادات".

لقد سقط الصنم القديم ومرت بسدنته وعباده فترة من الذهول حتى يتأكدوا من هو الصنم الجديد؟

وأسرعت النيابة العسكرية بتقديم المتهمين إلى القضاء العسكري بتهمة اغتيال أنور السادات وتشكلت المحكمة العسكرية برئاسة اللواء محمد سمير فاضل.

ودارت مهزلة جديدة من مهازل إقحام العلمانية العسكرية للجيش المصري في البطش بخصومها المسلمين، بعد أن أدار الجيش المصري ظهره لإسرائيل ووجه سلاحه إلى شعبه، **وأحنى هامته ذليلاً لعلم أمريكا الذي يرفرف فوق قواعدها على أرض مصر، ولعلم إسرائيل الذي يلوث سماء عاصمته فوق سفارتها في بلد الأزهر الشريف وقاهرة صلاح الدين الأيوبي**.

وكانت المحاكمة العسكرية نموذجاً متكرراً من المواجهات بين الحركة الإسلامية وطليعتها المجاهدة بكل صفائها ونقائها وعطائها، وبين العلمانية العسكرية بكل زيفها ونفاقها وفسادها.

لقد ادعت العلمانية العسكرية الديمقراطية وسيادة القانون، ولكن المحاكمة بإجماع كل من شاهدها كانت تمثيلية سخيفة فاسدة الإخراج لحكم أعد مسبقاً، وادعت العلمانية العسكرية أنها ستحرر فلسطين، ولكن ها هي تسفك دماء المجاهدين أعداء اليهود.

وادعت العلمانية العسكرية دائماً أنها تحترم الإسلام، ولكن هذا الاحترام كان له عند العلمانية معنى واحد: ألا وهو توظيف طبقة من العلماء المنافقين للتسبيح بحمدها لتبرير ما تفعله، وبالفعل فقد استندت المحكمة لفتوى الشيخ جاد الحق – مفتي الديار المصرية حينئذ ثم شيخ الأزهر لاحقاً – فذبحت بفتواه شباب المجاهدين لتروي بدمائهم شجرة المصالح اليهودية في مصر.

وشهدت المحاكمة على قصر مدتها وسرعة إجراءاتها عديداً من المواقف التاريخية الخالدة منها على سبيل المثال لا الحصر: - رفض الشهيد –كما نحسبه – محمد عبد السلام فرج أن يذكر وقائع تعذيبه، فقد قال لإخوانه: إننا احتسبنا هذا التعذيب عند الله، ولم نأت هنا لنستدر عطف أحد.

لقد كان تعذيب محمد عبد السلام فرج وحشياً قذراً لا يعرف شرف الخصومة كما عودتنا العلمانية العسكرية باستمرار.

لقد كانت فخذ محمد عبد السلام فرج مكسورة وفي جبيرة من الجبس عند اعتقاله، واستغل المحققون هذه الفخذ المكسورة أداة لتعذيب هذا البطل المجاهد- والله حسيبه –

فأخذوا يحركونها بقوة، وأعادوا كسرها بكل ما ينتج عن هذا من ألم رهيب، ويمكن علمياً أن يؤدي للوفاة من الصدمة العصبية.

وقد كنت أسمع صراخه (رحمه الله) في سجن القلعة يمزق أحشاء ليل الظلم الرهيب: "رجلي رجلي".

ورغم ذلك أبى هذا الصنديد أن يذكر وقائع تعذيبه لأنه احتسبها عند الله، ولأن من يحاكمونه أحقر في نظره من أن يستعطفهم.

لقد كان لا بد للعلمانية العسكرية – عميلة اليهود – من قتل محمد عبد السلام فرج، فقد كان هو العقل المدبر والمشرف الحريص على قتل السادات، وكان باستعلائه بإيمانه وبتفانيه في خدمة قضية الجهاد أكبر من أن تتحمل العلمانية العسكرية وجوده حياً.

ومن أمثلتها أيضاً إصرار البطل الشهيد –كما نحسبه – خالد الإسلامبولي على أنه هو الذي قتل السادات وأنه قتله تحديداً لأنه لم يحكم بالإسلام، ولأنه عقد صلحاً مع اليهود، ولأنه أهان علماء الإسلام.

وقد أجاد أخوه الشاعر أنور عكاشة حينما عبر عن هذا الاستعلاء بالإيمان في أبياته المعبرة على لسان خالد:

يا أيها القاضي المغفل هل تعي أني عرفت نهايتي فكفاني

أنا قتلت وسوف أقتل إن أعيش الحاكمين بشرعة الشيطان

وانتهت المحاكمة العسكرية بالحكم بالإعدام على محمد عبد السلام فرج وخالد الإسلامبولي وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس وعطا طايل رحمة الله عليهم وعلى شهداء المسلمين.

وأصرت إسرائيل على ألا تسلم سيناء المنزوعة السيادة والسلاح لمصر إلا بعد قتل هؤلاء الأبرار، وأصر إرئيل شارون على أن يحضر إعدامهم، وحضر فعلاً للقاهرة، ولكن الحكومة المصرية اكتفت بتقديم شريط فيديو لوقائع إعدامهم إليه. وهكذا تميز الصفان، وتباين الفريقان، وتفاصلت الطائفتان: طائفة الإيمان، وطائفة الشيطان {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }الأنعام٥٥.

وهكذا اتضح لأمتنا المسلمة من أنصارها ومن أعداؤها؟ ومن يقتل أعداءها ومن يقتله أعداؤها؟ ومن يضحي بروحه من أجل عزتها؟ ومن يضحي بها من أجل إسرائيل؟. وصدق عمر أبو ريشة:

أمتي كم صنم مجدته لم يكن يملك طهر الصنم

وعقب اغتيال السادات قرر خلفه حسني مبارك ألا يقع في خطأ سلفه السادات حينما جمع المعارضة كلها ضده، فحاول أن يفرق بين المعارضة على أمل أن يعزل الحركة الجهادية ليسهل استئصالها وسحقها.

فأفرج عن جميع المعتقلين السياسيين من غير التيارات الإسلامية، والتقى بهم في قصر العروبة، وتبادلوا عبارات الود وكلمات النفاق في الوقت الذي كانت فيه طاحونة التعذيب الرهيبة تدور بسرعتها القصوى في سجون مصر التي كانت تبتلع كل يوم مئات جدداً من الشباب المسلم وأقاربهم ومعارفهم ونسائهم.

وتناسى من يسمون بزعماء المعارضة من غير التيار الإسلامي ما يدور في السجون، وتناسوا أن المعارضة الحقيقة بل القوة السياسية الفاعلة التي توازن الحكم العسكري العلماني يصب فوق رأسها العذاب صباً، في الوقت الذي كانت تدور عليهم الأنخاب في لقائهم بمبارك.

ودارت طاحونة التعذيب في السجون تنتزع الاعترافات انتزاعاً بكل وسيلة وبأي وسيلة.

وإن نسيت فلن أنسى واقعة تعذيب الأخ/صابر، فقد كانت زنزانتي في صف الزنازين المجاور لغرف التحقيق في مدخل سجن القاعة، وكان بين زنزانتي وبين غرفة التحقيق قرابة عشر أمتار، وكان التحقيق يدور أيضاً في الممر المفتوح الذي تطل عليه الزنازين حيث كان يمكنني أن أنظر إليه من ثقب الزنزانة.

وبدأ تعذيب صابر ليعترف على مكان الأخ المجاهد / نبيل نعيم، وصمد لأشد أنواع التعذيب، وتوالت عليه نوبات المعذبين نوبة تسلم نوبة، وهم ييئسونه بكل وسائل التيئيس وهو صامد لا يتزحزح، وبعد حوالي ثلاثة أيام من التعذيب المتواصل أحضروا أخاه ووالديه المسنين، وأدخلوهم مع صابر إلى غرفة التعذيب وبدءوا في ضربهم جميعاً، وصابر يصرخ من الألم وأمه (المسكينة) وأبوه وأخوه الشاب يصرخون من الضرب، ويتوسلون إليه أن يعترف، وضابط المباحث يصرخ في الجميع في جنون: إن على صابر أن يعترف، واستمر الصراخ بلا

انقطاع فترة طويلة إلى أن قطعه صوت المحقق وهو يصرخ على الجنود ويطلب منهم إحضار سروال لترتديه أم صابر حتى يضربها على أقدامها، ثم يصرخ في صابر إذا لم تعترف فسأحضر عشرة جنود وآمرهم أن ينتهكوا عرض أمك ولم أدر ماذا حدث بعد ذلك.

كانت هذه القصة من آلاف من القصص التي تدور على أرض مصر، بل على أرض عالمنا الإسلامي بلا توقف حتى يستمر أعداؤنا سواء من شيوعي الشرق أو رأسمالي الغرب في إذلالنا واحتلالنا، ولتستمر هذه الأنظمة العميلة بأجهزة أمنها السافلة في كبت إرادة المسلمين، وقهر رفضهم لسيادة أمريكا وإسرائيل.

وهي قصة من عشرات القصص التي شهدتها وسمعتها في المعتقلات، وهي قصص لم أنسها ولا أظنني أستطيع نسيانها، فقد حفرت في ذاكرتي بمخالب الظالمين، وجرحت كرامتي بأنياب كلاب اليهود الجلادين العلمانيين في مصر.

وتركتني كما تركت عشرات الألوف من الشباب المسلم وقد حمل على كتفيه عبء ثأرين بعد خروجه من تجربة الاعتقال:

أما الثأر الأول فهو ثأر الإسلام المعتدى عليه، وأما الثأر الثاني فهو حقه في القصاص ممن اعتدوا عليه بأحط الوسائل ليرضوا أمريكا ويقروا عين إسرائيل، **فلا نامت أعين الجبناء**.

الواقعة الثانية التي أجد قلمي مندفعاً إلى كتابتها هي واقعة بعض التعذيب الذي وقع على الأخ/ إسماعيل الرفاعي بعد القبض عليه إثر هروبه من عنبر المعتقلين في مستشفى القصر العيني حيث كان يعالج من شلل ارتخائي في الذراعين – ناتج عن تهتك في ضفيرتيهما العضديتين – بسبب طول تعليقه على الباب من ذراعيه الموثقتين من خلف ظهره.

وبعد القبض على الأخ إسماعيل الرفاعي – بعيد هروبه المذكور – أحضروه إلى سجن القلعة وأودعوا في السجن أخاه وأمه وأباه المسنين. أما أمه المسنة فقد أصيبت بصدمة نفسية منعتها من الطعام والشراب، وأورثتها حالة من الذهول من هول ما تشاهده حولها من تعذيب، واضطرت إدارة المعتقل إلى تغذيتها بالسوائل الوريدية ولكنهم لم يفرجوا عنها بسبب ذلك.

أما أبوه الكهل فقد فوجئ به إسماعيل الرفاعي يقف أمامه في غرفة التعذيب، فأصيب من هول ذلك بصدمة نفسية أحدثت به شللاً هستيرياً أصاب شق جسده وأفقدته القدرة

على الكلام لشهور عديدة، أما الوالد الكهل فقد خرج من السجن محطماً وتوفي بعد ذلك بقليل.

وعادة ما ترد الحكومة وأجهزة أمنها على هذه الوقائع بادعائها المكرر المعروف: إنها قصص مكذوبة من افتعال المعتقلين، وأن السجون المصرية ينعم فيها نزلاؤها بأفضل وسائل الراحة وأنعم أسباب الرفاهية.

ولكن هذه الوقائع لسوء حظهم سجلتها مصلحة الطب الشرعي التي تتبع وزارة عدلهم ولا تتبع الجماعات المجاهدة، وسجلها وكلاء النيابة وسجلتها المحاكم.

ولكن هذه العسكرية العلمانية في افتقارها لأدنى درجات الخلق ولأقل مراتب الشجاعة لا تكف عن كذبها وإنكارها لهذه الحقائق، إنها علمانية تميزت بانحراف العقيدة ودناءة الخلق، فأي أمل يلوح في علاجها؟

أن هذه العلمانية العسكرية لا تكل عن ادعاء الديمقراطية وحماية الحريات لكي تستمر في تسولها للمساعدات من الغرب، وفي ذات الوقت لا تتورع عن انتهاك كل الحرمات والاعتداء على كل المقدسات حتى لا يتجرأ أحد على المساس بمنافعها ومصالحها ومغانمها. والغرب يرقب مسرحية النفاق السياسي والمداهنة الخلقية هذه في رضا تام لالتزام ممثليها بتعليمات مخرجهم في البيت الأبيض.

وعملت أجهزة الأمن المختلفة في تشنج محموم لتثبت للنظام كفاءتها وولاءها وقدرتها على حفظ الأمن، ولكن بعد أن وقع ما وقع وقتل أنور السادات ونجا حسني مبارك بإرادة الله لا بمهارته ولا بكفاءة أجهزة أمنه.

وحاولت مباحث أمن الدولة أن تلصق قمة التقصير بالمخابرات العسكرية باعتبار أن اغتيال أنور السادات قامت به مجموعة من داخل الجيش.

ولكن سرعان ما تبين للجميع أن الغضب أوسع مما كانوا يتصورون وأن السخط أشمل مما كانوا يتوقعون وأن جذور الرفض ضاربة في المجتمع وأن البلاد تموج بالشباب المجاهد الذي استطاع اختراق القوات المسلحة وقوات الشرطة.

الباب الرابع
عصام القمري

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة — تقوم مقام النصر إن فاته النصر
وما مات حتى مات من قبل سيفه — من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده — إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله — وقال لها من تحت أخمصك الحشر

(أبو تمام في رثائه لمحمد بن حميد الطوسي)

* * *

وكان من أهم المجموعات التي اكتُشفت مجموعة الأخ الشهيد –كما نحسبه – عصام القمري.

وإذا ذكر عصام القمري فلا بد من وقفة، فعصام القمري من القلائل الأفذاذ الذين لم يأخذوا حقهم في التعريف بفضلهم وجهادهم، لأن أجهزة الإعلام والدعاية في بلادنا في يد أعداء الإسلام الذين يقصرون حق النشر عليهم ويحرمونه على المسلمين اتباعاً لسياسة الغرب الذي يسيطر على وسائل الإعلام والتوجيه.

وعصام القمري رجل جاد أخذ منذ بداية شبابه قضية الإسلام مأخذ الجد، فقرر أن يدخل الكلية الحربية ليغير النظام الفاسد في مصر، هكذا كانت قناعته وهو لا يزال طالباً متخرجاً من المدارس الثانوية، وقد أخبرني – رحمه الله – أنه سأل والده بعد دخوله الكلية الحربية: أتدري لماذا دخلت الكلية الحربية؟ فقال له والده: لماذا؟ فقال له: لكي أقوم بانقلاب عسكري في مصر، وذهل والده ولكنه لم يستطع شيئاً فقد كان عصام قد قبل في الكلية الحربية.

كان مجموع عصام القمري في امتحان الثانوية العامة يؤهله لدخول عدد من الكليات العلمية (كالطب والهندسة ونحوهما)، وكانت عادة الناس ولا زالت أن يفضلوا الالتحاق بالكليات العلمية في الجامعة على الكليات العسكرية، ولكن عصام خالف هذا العرف السائد لأمر في نفسه.

وفي الكلية الحربية تعرف عصام القمري على محمد مصطفى عليوة – رحمه الله – شقيق علوي مصطفى عليوة – أحد الناشطين في جماعتنا كذلك – الذي ضمه مع شقيقه إلى مجموعتنا الجهادية، وهكذا انضم عصام القمري إلى المجاهدين في مصر. ومنذ انضمام عصام القمري إلى هذا الطريق وحتى استشهاده (رحمه الله) لم يتوقف عن العطاء المثمر والبذل الجاد في سبيل هذا الدين.

وأعانه على هذا المستوى السامي طبيعته وخلقه الراقي، فعصام القمري رجل بكل ما تعنيه كلمة الرجولة من معان، وشهم بكل ما تدل عليه لفظة الشهامة من مدلولات.

بل إن كثيراً من المتاعب التي عاناها والتضحيات التي قدمها عصام القمري (رحمه الله) برضا واطمئنان كانت بسبب ما انطوت عليه نفسه الكريمة من شهامة ونخوة.

وبعد تخرج عصام القمري من الكلية العسكرية انخرط في سلاح المدرعات الذي أحبه وتفوق فيه وكان يكرر لنا إن هذا السلاح يجب أن يكون سلاح المسلمين لما يتوفر فيه من قدرة على حسم المعارك وردع الخصم.

وكان تفوق عصام القمري في سلاح المدرعات تفوقاً ملحوظاً مميزاً فقد انكب عصام على العلم العسكري دراسة وفهماً وعلى الخبرة الميدانية ممارسة وعملاً، لأنه كان يحتسب هذا الجهد في سبيل الله، لذا لم يكن غريباً أن يتفوق عصام في كل دوراته التدريبية وأن يكون الأول على زملائه فيها.

من اجل ذلك رشح وهو رائد لدورة قادة كتائب في أمريكا ووعد بعدها أن يعود قائداً لكتيبة في الحرس الجمهوري، وكان عصام ينتظر هذا المنصب باهتمام.

ولم يثنيه عن هذه الدورة إلا اجتهاد أحد الإخوة المبالغين – سامحه الله – الذي أقنعه بأن عام ١٩٨١ سيكون عام التغير في مصر وأنه قادر على أن يحشد عدداً ضخماً من الشباب المجاهد في الجماعات المجاهدة.

وبناء على هذا الزعم المهول قرر عصام ألا يسافر إلى أمريكا فرشح بدلاً من ذلك لكلية أركان الحرب، وكان بذلك ضابطاً من الضباط النوادر في سلاح المدرعات الذي يرشح لهذه الكلية وهو ما زال رائداً.

وبناء على قناعة عصام بالرأي القائل بأن عام ١٩٨١ يمكن أن يكون عام التغيير، بدأ يجتهد هو وإخوانه الضباط الذين جندهم في إخراج كل ما يمكنهم إخراجه من أسلحة وعتاد من الجيش، وكنا نقوم بتخزين هذه الأسلحة.

وأثناء نقل آخر كمية من هذه الأسلحة من عيادتي إلى المخزن المعد لذلك – وكانت عبارة عن حقيبة أوراق بها بعض الأسلحة مع كتب ونشرات عسكرية – ألقى القبض على حامل الحقيبة، ولكنه استطاع الفرار وترك الحقيبة، وعن طريق بعض النشرات التي في الحقيبة وبعض الخرائط الموقع عليها مواقع الدبابات في القاهرة أمكن الوصول إلى مجموعة الضباط التابعين لعصام القمري، وأدرك عصام الخطر قبل وصولهم إليه فهرب، ولكن قبض على بعض الضباط من إخوانه.

وظل عصام هارباً من فبراير حتى أكتوبر ١٩٨١ حتى قبض عليه عقب اغتيال أنور السادات، وطوال هذه الفترة كان عصام صابراً كعادته لا يشكو ولا يتبرم ولا يتذمر ولا يلوم أحداً بل يهون الأمر ويشد من أزر إخوانه ويقوي من عزيمتهم.

ولم يتوقف عصام عن النشاط في فترة هربه بل على العكس كان رغم المشاكل الجمة التي يواجهها والضغط العصبي والتوتر الذي يعيشه في كل دقيقة لا يكف عن العمل وبذل الجهد.

فقد استطلع العديد من الأهداف ومواقع القوات ومقار الشرطة وأعد خططاً، وأجرى العديد من التجارب.

وعقب اغتيال أنور السادات طلب مني عصام أن أوصله بالمجموعة التي نفذت الاغتيال، فقمت بتوصيله بالأخ عبود الزمر، وفي هذه اللحظات الحرجة تدارس عصام القمري الموقف مع عبود وحاول أن ينقذ ما يمكن إنقاذه ولكن الوقت كان قد فات.

فقد كان عصام يفكر في محاولة ضرب جنازة أنور السادات بمن فيها من رؤساء أمريكا وقادة إسرائيل، كما كان يفكر في إمكانية الاستيلاء على بعض الدبابات وتحريكها لضرب هدف حيوي أو الهجوم على جنازة السادات، ولكن الإمكانات المتاحة كانت أقل من طموحاته، وكان الوقت قد فات. وانتهت لقاءاتنا بالأخ عبود بنصيحتنا له أن يحاول الخروج من مصر في هذه المرحلة ليواصل الهجوم في مرحلة أخرى، ولكن عبود اعتذر عن هذا الرأي لأنه كان قد تعاهد مع إخوانه على مواصلة المعركة ، رغم أنه اعترف لي في أثناء السجن أنه كان مقتنعاً برأينا لكن عهده مع إخوانه ألزمه بعدم قبولها.

وكانت لعصام نظرية في العمل الجهادي حاول جاهداً أن يوفر لها الإمكانات ولكن الأقدار لم تسمح له بذلك.

وهذه النظرية لا زالت تمثل اختياراً عملياً مناسباً إن توفرت لها مقوماتها. وتقوم هذه النظرية على ما يلي:

١- أن أنظمة الحكم في بلادنا قد فرضت من الاحتياطات الأمنية ما لا يمكن مواجهته إلا بقوة مسلحة تمتلك قوة نيران كبيرة وعدداً من الدروع تستطيع به أن تفرض سيطرتها على العاصمة وخوض المعركة والصمود فيها من أسبوع إلى أسبوعين، تكون رؤوس النظام فيها قد صفيت ودب اليأس في صفوف بقية القوات.

٢- إن الحركة الإسلامية تملك آلاف الشباب الذين يتسابقون إلى الشهادة، لكن هؤلاء الشباب بلا تدريب ولا خبرة قتالية.

٣- إن اختراق الحركة الإسلامية للجيش سيواجه دائماً بحملات التطهير ومن العسير على الحركة أن تجند عدداً كبيراً من الضباط في صفوف الجيش دون أن ينكشف أمرهم نظراً للمتابعات الأمنية الدقيقة في صفوف القوات المسلحة.

٤- فكانت فكرة عصام هي تدريب عدة مئات من الشباب المسلم على السلاح وعلى استخدام وقيادة الدبابات ولو بصورة مبدئية.

٥- بالتعاون بين عدد صغير من الضباط وبين الشباب المجاهد المدرب يمكن تحريك عدد صغير من الدبابات إلى العاصمة، وبالتعاون بين هذه القوة وبين الشباب المجاهد يمكن الهجوم على أحد معسكرات النظام ذات الأعداد الكبيرة من الدبابات هجوم مفاجئ للاستيلاء على هذه الدبابات ثم استخدامها أو على أقل تقدير تدميرها في أماكنها.

وباستغلال الاستطلاع الجيد والرصد الدقيق لتوزيع النظام لقواته في العاصمة وحولها يمكن تحديد مكان الضربة الأولى بحيث تربك خطة دفاع النظام ولهذا فقد كانت المعلومات الفنية الدقيقة ذات دور محوري في فكرة عصام للتغيير.

٦- أما قوات الشرطة والأمن المركزي وما يتبع وزارة الداخلية فكان عصام ينظر إليها باستخفاف ويعتبرهم غثاء لا يلبث أن يتشرذم أمام أية قوة مدرعة ذات عقيدة راسخة.

وكان عصام ينتقد انشغال الشباب المسلم بالشرطة والهجوم عليها، وعدم نظرهم إلى الوضع العسكري نظرة علمية تحليلية مبنية على المعلومات.

وكان عصام يثق كثيراً في الشباب المسلم المدرب ويقول: "إن الشرطة تستأسد علينا لأن إخواننا غير مدربين، أما إذا دربناهم وأعطيناهم قليلا من السلاح فلن يقف أمامهم أحد."

وكانت هذه النظرية مجال نقاش بيني وبينه لفترات طويلة قبل السجن وأثناءه، وأشهد أن كثيرا من توقعاته صدقتها الأحداث.

وهذه الخطة جريئة تعتمد على الاستطلاع الدقيق والتحليل العلمي للمعلومات الواقعية، ولذلك فهي تتوافق تماما مع شخصية عصام التي تكاملت فيها هذه العناصر القلب الجريء والعلم العسكري والعمل الدءوب (رحمه الله)

متى تملك القلب الذكي وصارماً وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ولهذه النظرية تفاصيل كثيرة وجوانب متعددة ولكنني فقط أشرت إلى فكرتها المحورية.

وهي تعد من تراث الحركة الإسلامية واجتهاداتها الثرية التي يجب أن تنمى بالدراسة والبحث سواء اتفقنا معها أو اختلفنا.

وشاء الله سبحانه أن يقع عبود في الأسر، واكتشف المحققون من أن الضابط الهارب منذ ثمانية شهور قد ظهر مرة أخرى على سطح الأحداث. وبتكثيف التعذيب والمطاردات تم القبض عليّ ثم الهجوم على مخبأ عصام في حي الجمالية بالقاهرة حيث دارت معركة الجمالية الهامة.

وهذه المعركة تحتل أهمية هامة في تاريخ الحركة الإسلامية الجهادية لما أظهرت من حقائق خطيرة في المواجهة بين المجاهدين وقوات النظام ولما أظهرت من صدق نظرة عصام وبعد نظره.

وهنا لابد من وقفة لشرح بعض تفاصيل هذه المعركة:

دارت هذه المعركة في منطقة منشية ناصر في حي الجمالية، وهى منطقة فقيرة تزدحم فيها بيوت الفقراء المتلاصقة تفصل بينها الحواري والأزقة الضيقة.

وكان عصام مختبئا في ورشة للخراطة – أنشأها الأخ محمد عبد الرحيم الشرقاوي لتكون أحد قواعدنا – مع الأخوين إبراهيم سلامة ونبيل نعيم، وكانت هذه الورشة عبارة عن بيت متواضع يتكون من ممر غير مسقوف على يساره غرفتان وعن يمينه غرفتان، وفي بداية الممر باب حديدي.

وكانت الورشة تقع في زقاق ضيق – مسدود آخره – ويحيط بها عدد من المنازل، العديد منها مكون من أكثر من طابق.

ولما علمت وزارة الداخلية بأن عصام مختبئ في هذه الورشة حاصرت المنطقة كلها بالشرطة وقوات الأمن المركزي واستخدمت في الهجوم على الورشة أفضل قواتها: وهي كتيبة مكافحة الإرهاب في الأمن المركزي، واستمرت الكتيبة تحاصر الورشة لعدة ساعات نشرت خلالها أطواقها حول الورشة واحتلت أسطح المنازل المطلة وركزت عليها مدافعها الرشاشة.

وقبيل الفجر بدأ النداء من مكبر الصوت على الإخوة في الورشة بأن الورشة محاصرة وعليهم أن يسلموا أنفسهم، وعقب ذلك مباشرة بدأت مجموعة الاقتحام وهي تتكون من أفضل ضباط الأمن المركزي – المرتدين للدروع الواقية – في الهجوم على باب الورشة بإطلاق سيل لا ينقطع من الطلقات مع الصياح على الإخوة بالاستسلام واستيقظ الإخوة على هذا الدوي المفزع.

ولكن عصام ورفاقه كانوا مستعدين لهذا الاحتمال ولذا فقد ثبتوا سلكاً للكهرباء على بعد سنتيمترات من الباب الحديدي، وكان معهم رشاشان قصيران متهالكان ومسدسان وعدد من القنابل اليدوية.

ولما اقتحمت مجموعة الاقتحام الباب الحديدي صعقوا بالكهرباء فارتدوا للخلف مصدومين مفزوعين، وحينئذ لم يمهلهم عصام فعالجهم بقنبلة يدوية من فوق الباب سقطت في وسط مجموعة الاقتحام فسقطوا بين جريح وقتيل، وما أن سمع ضباط الكتيبة وجنودها – بعد ضوضاء الاقتحام – صراخ مجموعة الاقتحام حتى شلهم الرعب، ولف الليل سكون مطبق. وهنا قفز عصام وزميلاه فوق الورشة وبدؤوا يمطرون الأسقف المجاورة برصاص الرشاشين المتهالكين اللذين ما لبثا أن توقفا عن العمل، ولكن عصام ورفيقاه لم يتوقفا، فأمطروا القوة بعشرة قنابل انفجرت فيهم تسعة، وانقطعت مقاومة القوة، وهناك أدرك عصام أن الكتيبة المستأسدة قد تحولت لمجموعة من الأرانب، فخرج الإخوة من باب الورشة فوجدوا في وجههم جندياً شاهراً سلاحه، ولكنه استدار كاسفاً ظهره لهم من الرعب، فأرداه الأخ نبيل نعيم برصاصة في رأسه.

ثم أمرهم عصام بأن يكمنوا وينتظروا إلقاءه لقنبلة يدوية وأن ينطلقوا عدواً في اتجاه انفجارها، وانطلق الإخوة يعدون وسط أطواق الحصار وكأنهم يجرون وسط كتيبة من الموتى والأشباح. واستمر الإخوة في العدو حتى وصلوا لتلال المقطم القريبة، ومن بعد جلسوا يراقبون الكتيبة المذعورة المثخنة بالجراح وهي تلملم جنودها لينسحبوا إلى سياراتهم. وهنا اقترح الأخ إبراهيم سلامة أن هذه أفضل فرصة للهجوم على الكتيبة بما تبقى لدى الإخوة من ذخيرة، ولكن عصام قرر الاكتفاء بما أثخنوه فيهم.

واستمر الإخوة في السير في تلال المقطم، وكان في يد الأخ إبراهيم سلامة قنبلة يدوية كان قد نزع فتيلها ثم أعاده مرة أخرى، ولكنه يبدو أنه قد اهتز من مكانه في أثناء العدو. وتوقف الإخوة قليلاً قرب أحد المغارات.

وأراد الأخ إبراهيم سلامة أن يقضي حاجته فاستدار ليواجه مدخل الغار وظهري عصام ونبيل على بعد أمتار قليلة منه، وهنا سقطت منه القنبلة اليدوية ويبدو أن الفتيل تزحزح بعد قليل من سقوطها، وسمع الإخوة صوت انفجار الكبسولة، وهنا انكب إبراهيم فوراً فوق القنبلة ليحمي أخويه منها، وتمزق سكون الليل بانفجار القنبلة الذي مزق أحشاء إبراهيم، التي استوعبت كل انفجار القنبلة.

وكانت مفاجأة قدرية أخرى خارج أي توقع، فبعد أن يفر الإخوة سالمين من قوات الأمن المركزي التي تفوقهم قرابة مائة مرة، يسقط إبراهيم شهيداً على موعد مع قدره الذي لا يعلمه إلا علام الغيوب.

ووقف عصام ونبيل مشدوهان مذهولان من هول المفاجأة.

لقد ترك عصام (رحمه الله) كل ما يمكن أن يحرص عليه الناس من أجل قضية الإسلام، وصدق البارودي:

فلا غرو أن حزت المكارم عارياً   فقد يغشى السيف الوغى وهو حاسر

أو كما قال المتنبي في رثاء أبي شجاع فاتك:

أبو شجاع أبو الشجعان قاطبة   هول نمته من الهيجاء أهوال
كأن نفسك لا ترضاك صاحبها   إلا وأنت على المفضال مفضال
ولا تعدك صواناً لمهجتها   إلا وأنت لها في الروع بذال

لـــولا المشـــقة ســـاد النـــاس كلهـــم   الجـــود يفقـــر والإقـــدام قتـــال

أما عن الدروس المستفادة من هذه المعركة فهي باختصار:

١- أن المجاهد المسلم المدرب لا يصمد لإيمانه كتائب الطواغيت.

٢- أن الثبات عند الشدائد والخطوب – وهو من أجل نعم الله على العباد – من أهم أسلحة المؤمن في القتال والملاحم، فقد حدثني أخي نبيل نعيم أن عصاماً كان يتصرف في الجمالية بثبات عجيب، وكأنه في أهدأ أحواله.

٣- يجب أن يكون استخدام القنابل اليدوية خاصة – والمتفجرات عامة – لفك الحصار من الوسائل الأساسية في قتال المجاهد المسلم.

٤- أن سلاح المسلم الذي لا يقهر هو حرصه على الشهادة، وأن مقتل الطواغيت وأتباعهم هو في تكالبهم على الدنيا.

ويشاء القدر أن يقبض على عصام ثم يقدم إلى المحاكمة في قضية الجهاد، ولم تحضره النيابة لقاعة المحكمة – بالتواطؤ مع المباحث – في أول جلسة، وأحضروه هو والأخ رفاعي طه من حبسهما – في سجن القلعة – في الجلسة الثانية. وكشف عصام – في المحكمة – هذه المكيدة الخبيثة، وأصر على شرح ما يعانيه في سجن القلعة من عدوان ضباط المباحث عليه.

وحاول القاضي أن يمرر الموضوع، ولكن عصام أصر على الاستمرار في الكلام، وهدد القاضي عصام بالطرد، ولم يأبه عصام، ثم أمر بطرده فرفض عصام، وحاول ضباط الأمن المركزي أن يقتربوا من عصام في حذر ولكنه نهرهم، فخافوا وتراجعوا.

وانفلت زمام الجلسة وثارت ثائرة الإخوة المتهمين، وكنت وقتها مسئولاً من قبل الإخوة عن إدارة الجلسة، فطلبت من الإخوة الصمت ثم رفعت صوتي مهدداً بأنه إذا طرد عصام بالقوة – وكانوا يضعونه في قفص وحده بعيدا عن أقفاص بقية الإخوة المتهمين – فلن تكون هناك محاكمة.

وتوتر جو القاعة وأدرك القاضي أنه ينظر في قضية لا سابق لها، وأنه قد ورط نفسه بالصدام مع المتهمين، وهنا تدخل المحامون وقررت استمرار الجلسة.

وهكذا بدأ عصام المحاكمة – كعادته في كل أحوالها – بموقف قوي جرئ.

وطوال فترة السجن لم يكف عصام عن التعلم والتعليم والتدريس للإخوة، وكان أهم ما يفكر فيه هو كيف يدبر نجاة الإخوة المنتظر أن يحكم عليهم بالإعدام.

وشاء الله سبحانه وتعالى أن أتشرف بمرافقته لشهور عديدة في سجن ليمان طره في زنزانة واحدة، وكان طوال هذه الفترة لا يكف عن إعداد التصورات للمرحلة القادمة، ووضع الحلول العملية وإجراء الأبحاث لكثير من المشاكل الواقعية.

وشاء القدر أن نفترق، فقد حكم علي بالسجن لمدة ثلاثة سنوات أمضيت أغلبها قبل صدور الحكم، وحكم عليه بعشر سنوات استقبلها كالعادة بثباته وهدوئه الفريد، بل كان يثبتني ويشد من أزري ويقول لي: إني مشفق عليك مما ستحمله على كاهلك من عبء.

و بقى عصام في السجن لا يكف عن تدبير الخطط للهروب من السجن وبعد عدة محاولات نجح أخيراً هو والأخوان خميس مسلم ومحمد الأسواني في إنجاز الهروب البطولي الفائق من سجن ليمان طره العتيد في ١٧ يوليو ١٩٨٨ م.

ولم يكن هروباً عادياً فقد سبقه إعداد طويل ومعقد توج بالهروب الذي اتخذ أسلوب معركة اقتحام أسوار السجن، واختراق أطواق الحراسة من حوله، ثم عبور النيل إلى الضفة الأخرى.

ودون الدخول في تفاصيل فقد أسقط في يد وزارة الداخلية التي لم تتوقع أبداً مثل هذه الجرأة في الهروب الصاخب الذي بدأ بنزع قضبان نافذة الزنزانة، ثم أسر حراس العنبر، ثم اقتحام السور الذي يبلغ ارتفاعه قرابة أربعة أمتار بعد إلقاء القنابل الصوتية في اتجاهات متفرقة، ثم الاشتباك مع أحد حراس السور وانتزاع سلاحه منه، ثم الخروج من منطقة سجون طره في منتصف الليل وسط الحراسات المشددة. وبعد هروب عصام القمري ورفيقاه من السجن عبروا النيل إلى الضفة الغربية، ثم ساروا على أقدامهم وسط المزارع حتى وصلوا إلى وسط الدلتا.

ونظراً لكثرة المشي فقد بدأت أقدام خميس مسلم في التشقق ثم التقيح الذي أدى لإصابته بحمى ورعشة. وفي محاولة لعلاج خميس لجأ الإخوة إلى الأخ خالد بخيت الذي ترك لهم منزله بمنطقة مساكن إيديال بالشرابية.

ويشاء الله أن تهاجم قوة من مباحث أمن الدولة منزل خالد بخيت في فجر يوم ٢٥ يوليو ١٩٨٨ م في حملة الاعتقالات الموسعة التي (أعقبت) هروب الإخوة الثلاثة.

وهنا تدور معركة أخرى من معارك الشجاعة والبسالة، فبمجرد أن طرق قائد القوة وهو عقيد بمباحث أمن الدولة باب الشقة حتى انهارت عليه القنابل الصوتية التي أعدها الإخوة، ثم هجم عليه عصام القمري بسكين المطبخ، ففر هارباً، وألقى مسدسه، كما ولى جنوده وضباطه الأدبار مذعورين، فالتقط عصام مسدس قائد القوة، وسارع الإخوة بالهرب من العمارة إلى الشارع، وأخذوا في العدو.

وعلى ناصية الشارع وقف عصام القمري مشتبكاً بالنيران مع قوة الشرطة ليغطي انسحاب أخويه، فأصابته رصاصة في بطنه سقط فوراً على إثرها، فجاءه أخواه يحاولان أن يحملاه، فنهاهما وأعطاهما سلاحه، وأمرهما بمواصلة الانسحاب، وفاضت روحه إلى بارئها ليموت شهيداً –كما يستحق – والله حسيبه.

ويكفي للتدليل على مدى إحباط الوزارة، تلك الواقعة التي حكاها لي الأخ نبيل نعيم حيث حدثني أنه قال لضابط المباحث بسجن ليمان طره – عقب الحادث – بسخريته المعهودة: طبعاً سينفونك إلى الصعيد (جنوب مصر) الآن؟ فرد عليه الضابط بثقة: أبداً لن يستطيعوا، إن عليهم أن يعطوني وساماً لأني قد حافظت على عصام القمري طوال هذه السنوات في هذا السجن، وفعلاً لم ينقل الضابط المذكور من وظيفته!!

ومن المبشرات؛ أن الأخ نبيل نعيم حدثني أن عصاماً حدثه قبيل الهروب بعدة أيام أنه رأى الشهيد –كما نحسبه- صالح سرية وهو يناديه من ارتفاع أن تعال إلينا، فاستبشر عصام بهذه الرؤيا وأدرك أن شهادته قد اقتربت.

وهكذا مضى هذا الفارس المقدام تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه الكريم شهيداً كما نحسبه.

ولا أحسب أن الحركة الجهادية في مصر قد رزئت في أحد كما رزئت في عصام القمري، وهذه شهادة من عايشه عن قرب في الشدائد وفي أحلك الظروف قبل السجن وأثناءه.

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وهكذا مضى عصام القمري شهيداً –والله حسبه– كما كان يتمنى.

ونفـــس الشـــهيد لهـــا غايتـــان بلـــوغ المنايـــا ونيـــل المـــنى
وجســـد تجنـــدل في الصحصـــحان تناوشـــه جارحـــات الفـــلا

وبقي مثالاً يحتذى وقدوة تقتدي في البذل والعطاء والتضحية وفي عداء أعداء الإسلام؛ الأمريكان واليهود وعملائهم الحاكمين لنا، وثأراً يطلب من بأخذه كما قال شوقي في رثاء عمر المختار رحمه الله:

نصـــبوا رفاتـــك في الفضـــاء لـــواء يســـتنهض الـــوادي صـــباح مســـاء
يـــا ويحهـــم نصـــبوا منـــارا مـــن دم تـــوحي إلى جيـــل الغـــد البغضـــاء
خـــيرت فـــاخترت المبيـــت علـــى الطـــوى لم تـــبن جاهـــا أو تلـــم ثـــراء
الأســـد تـــزأر في الحديـــد ولـــن تـــرى في الســـجن ضـــرغاماً بكـــى اســـتخذاء

ومن الطرائف أني كنت أداعب عصاماً بقول شوقي في تلك القصيدة:

بطـــل البـــداوة لم يكـــن يغـــزو علـــى تنـــك ولم يـــك يركـــب الأجـــواء
لكـــن أخـــو خيـــل حمـــى صـــهواتها وأدار مـــن أعرافهـــا الهيجـــاء

الباب الخامس
المحاكـمة

"إنني مسلم أحيا لديني، وأموت في سبيله، ولا يمكن بحال أن أسكت والإسلام يحارب في كل مكان".

(عمر عبد الرحمن في قاعة المحكمة)

* * *

وبعد انتهاء فترة التحقيق والتعذيب، ثم انتهاء تحقيقات النيابة، حولت النيابة المتهمين إلى المحاكمة في أكبر قضية عرفها تاريخ القضاء المصري.

حيث قدمت النيابة للمحاكمة ثلاثمائة واثنين متهماً. وبدأت إجراءات المحاكمة بعد قرابة سنتين من قتل أنور السادات.

وكانت المحاكمة فريدة في نوعها مليئة بالمفاجآت، ولكن كان أهم حدثين في هذه المحاكمة هما؛ إلقاء الدكتور عمر عبد الرحمن لبياناته الشهيرة على مدى ثلاثة أيام، بالإضافة للشهادة التاريخية التي أدلى بها الشيخ صلاح أبو إسماعيل (رحمه الله).

وقد سجل الدكتور عمر عبد الرحمن بياناته – فيما بعد – في كتابه (كلمة حق).

وفي هذه البيانات عرض الدكتور عمر قضية الحكم بالشريعة والجهاد من أجلها بأدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، ورد على مرافعة النيابة وتقرير الأزهر الذي استعانت به. وقد مثلت هذه الشهادة خطراً على موقف الدكتور عمر عبد الرحمن القانوني؟ إذ أنها تقدم الأدلة على مناصرة الدكتور عمر للجهاد من أجل إقامة الشريعة، وقد حذره القاضي من أن كلامه قد يمثل خطراً عليه، وأن كلام المحامين عنه هو كلام الوكيل عن الأصيل وهو يمكنه أن يتراجع عنه، أما كلامه فهو مأخوذ به.

ولكن الدكتور عمر عبد الرحمن – فك الله أسره – أصر على أن يدافع عن قضية الإسلام في المحاكمة، ولو أدى الأمر لإدانته.

بل لقد وضع القاضي في موضع المتهم وحمله مسئولية الظلم الذي قد يوقعه على المسلمين وحذره من عذاب الله وقصاصه، ودعاه إلى الحكم بالشريعة وحذره من مغبة ترك الحكم بها.

وكانت هذه البيانات من القوة والوضوح إلى درجة أنها أثرت في فكر المحكمة التي ذكرت في حيثيات حكمها أن مصر لا تحكم بالشريعة الإسلامية وأن الدستور والقوانين المصرية تتناقض مع الشريعة الإسلامية في مواطن كثيرة.

وكان اجتهاد الدكتور عمر عبد الرحمن أن هذه فرصة لتبليغ قضية الحكم بما أنزل الله ولا يجب أن تفوت كما أن هذه البيانات هي أفضل دفاع يمكن أن يقدمه لإخوانه وخاصة المتوقع صدور الحكم عليهم بالإعدام، وذلك بإظهار عدالة قضيتهم ونبل مقصدهم.

وفعلاً لم يصدر القاضي أي حكم بالإعدام في هذه القضية وأعمل الظروف المخففة استناداً لنبل الغاية وشرف المقصد لدى المتهمين كما بين في حيثيات حكمه.

ولا أستطيع أن أترك الحديث عن بيانات الدكتور عمر عبد الرحمن في المحكمة دون أن اقتطف بعضاً من عباراتها القوية المدوية بالحق الراعدة بالصدق في موقف حرج تطلب النيابة فيه بإعدامه وتحاسبه على كل كلمة، ولكنه عالم المجاهدين ومجاهد العلماء والله حسيبه.

يقول الشيخ عمر:

"١- قالت النيابة: إن أولئك الذين رفعوا شعار الحكم لله، وأرادوا به أن يكون الحكم لهم قد وصفهم المسلمون ووصفهم التاريخ الإسلامي بأنهم (خوارج) على المجتمع.

نعم (إن الحكم إلا لله) كلمة حق وصدق، نادى بها من قبل الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نادى بها من داخل سجنه في مصر، ولم تمنعه قيود السجن من أن يعلن الحق الذي يدعو إليه كما أعلنها سائر الرسل.

فهي إذن دعوة المسلمين عبر التاريخ كله"

"إن الخوارج قالوها لإمام مصطبر بالحق يعطيه ....

قالوها لرابع الخلفاء الراشدين...

فإذا قيلت في العصر الأول فقائلوها خوارج، وإذا قيلت في هذا العصر فقائلوها مجاهدون.

وإن كنا نحن خوارج فمن تكونون أنتم؟ هل تكونون علياً وأصحابه؟! هل كان علي مقتبساً أحكام قانونه من شريعة الفرس أو الروم؟ هل كان حكمه يقوم على الاشتراكية الديمقراطية أم كان داعياً إلى الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي؟

أم كان علي حليفاً لليهود صديقاً لبيجن؟

أم كان علي تاركاً لحدود الله، منفذاً لعقوبات ما أنزل الله بها من سلطان؟

أم كان علي يعتبر المناداة بالخلافة جريمة لا تغتفر؟

أم كان علي محارباً للعفة والطهارة، داعياً لتحرير المرأة وسفورها؟

أم كان علي من المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين، الذين قالوا: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين؟".

"٨- تمتعض النيابة من تسمية المجتمع بالمجتمع الجاهلي، طبعاً حامية المجتمع كيف ترضى أن يكون جاهلياً؟ هل نحن الذين سميناه جاهلياً؟ لقد سماه الله في كتابه ذلك الاسم الذي لا ترضونه يا حماة المجتمع الجاهلي، قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }المائدة٥٠، {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ }الأحزاب٣٣، { يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ }آل عمران١٥٤، {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}الفتح٢٦.

٩- دافعت النيابة عن معاهدة السلام بيننا وبين اليهود، ولن أرد على النيابة فقد كتبت في ردي على لجنة الأزهر ما هو كاف في ذلك، إنما أرد على استدلال العالم الجهبذ في النيابة الذي استدل على صحة المعاهدة بقوله تعالى: { فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ}، وبقوله سبحانه: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }الأنفال٦١، نقول: هل استقام اليهود لنا؟ وهل جنحوا للسلم؟ أم أننا الذين جنحنا واستقمنا؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين؟".

ويقول أيضاً:

"٢٨- وختاماً: فجريمتي أنني نقدت الدولة، وأظهرت ما في المجتمع من مفاسد ومعاداة لدين الله، ووقفت في كل مكان أصدع بكلمة الحق التي هي من صميم ديني واعتقادي.....

إنني مطالب أمام ديني وأمام ضميري أن أدفع الظلم والجبروت، وأرد الشبه والضلالات، وأكشف الزيغ والانحراف، وأفضح الظالمين على أعين الناس، وإن كلفني حياتي وما أملك.

أنا لا يرهبني السجن ولا الإعدام، ولا أفرح بالعفو أو البراءة، ولا أحزن حين يحكم علي بالقتل فهي شهادة في سبيل الله، وعندئذ أقول: فزت ورب الكعبة، وعندئذ أقول أيضاً:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي

إنني مسلم أحيا لديني، وأموت في سبيله، ولا يمكن بحال أن أسكت والإسلام يحارب في كل مكان.

كلا وألف كلا لن نرضى بحكم الطواغيت، ولن نستكين لحكم العبيد، الذين يستبدون بالناس، ويذلونهم ويعبدونهم لغير الله.

أيها المستشار – رئيس محكمة أمن الدولة العليا – لقد أقيمت الحجة وظهر الحق، وبان الصبح لذي عينين، فعليك أن تحكم بشريعة الله، وأن تطبق أحكام الله، فإنك إن لم تفعل فأنت الكافر الظالم الفاسق، لأنه سيصدق فيك قول الله:{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }المائدة٤٤، (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }المائدة٤٥، وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }المائدة٤٧، وليس الحكم بمنته في هذه القاعة، ولا في هذه الدنيا، بل الحكم هناك ينتهي أمره في الآخرة، يحكم فيها الحكم العدل {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }إبراهيم٤٨.

وإننا لا نخشى سجناً ولا إعداماً، ولن نرهب بأي تعذيب ولا إيذاء، ونقول ما قاله السحرة لفرعون: {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا }طه٧٢.

واعلم أيها المستشار أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث، فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟. واذكر أيها

المستشار الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

فكيف بك أيها المستشار إذا ورد عليك مذل الملوك، وقاهر الجبابرة، وقاصم الطغاة، فألقاك صريعاً بين الأحبة والجيران، مفارقاً لأهل بيتك وإخوانك، لا يملكون لك نفعاً، ولا يستطيعون له دفعاً.

أيها المستشار رئيس المحكمة: إن الله يمنعك من الحكومة، وإن الحكومة لا تمنعك من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر، إنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

أيها القاضي المستشار، الحساب من ورائك سوط بسوط، وغضب بغضب، والله بالمرصاد، والسلام عليكم ورحمة الله".

أما شهادة الشيخ صلاح أبو إسماعيل (رحمه الله) فكانت شهادة خطيرة لأنها تضمنت إجابات واضحة حول عدد من المسائل الخطيرة المتعلقة بالحكم في مصر وموقفه من الإسلام.

فقد أكد الشيخ صلاح أبو إسماعيل في هذه الشهادة أن أنور السادات بإعلانه أن "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة" قد نفض يده من الإسلام، وسرد الشيخ صلاح أبو إسماعيل في هذه الشهادة محاولاته لتقنين الأحكام عبر مجلس الشعب، وانتهاءه إلى اليأس من تطبيق الشريعة عبر هذا الطريق نتيجة للمؤامرات والخدع المتواصلة من الحكومة التي دأبت على تزوير الانتخابات وتلفيق النتائج.

وكانت هذه الانتخابات درساً مؤلماً للذين سلكوا هذا الطريق، بدعوى أنهم سيحققون مصلحة الإسلام والحكم بالشريعة عبر مخالفة الشريعة، بزعمهم أن الظروف الحاضرة تتطلب مرونة سياسية في التعامل مع النصوص، فخسروا الدين ولم يكسبوا الدنيا.

أما أحكام المحكمة فجاءت مفاجأة للنظام وأجهزة أمنه وللنيابة، فلم تصدر المحكمة أية أحكام بالإعدام، وقضت ببراءة ١٩٤ متهماً من مجموع ٣٠٢ متهماً. وكانت حيثيات الحكم أهم وأخطر من الحكم:

- فقد اعترفت المحكمة بأن مصر لا تحكم بالشريعة الإسلامية.

- واعترفت بأن الحكم بالشريعة واجب وهو أمل كل مسلم.

- كما اعترفت بمناقضة الدستور والقوانين المصرية لأحكام الإسلام.

- واعترفت بانتشار الفساد والخروج على الإسلام في المجتمع المصري تحت رعاية القانون.

- واعترفت بوقوع التعذيب الجسدي على المتهمين مما أدى لإحداث عاهات مستديمة في بعضهم وطالبت بإحالة المسئولين عن التعذيب للتحقيق.

ونحن هنا نقتطف بعضاً من فقرات حيثيات حكم المحكمة التي قال فيها القاضي عبد الغفار محمد:

"بخصوص الموضوع الثاني: فالذي استقر في ضمير المحكمة أن أحكام الشريعة الإسلامية غير مطبقة في جمهورية مصر العربية وهذه حقيقة مستخلصة من الحقيقة الأولى وهي وجوب تطبيق الشريعة"

ثم راح القاضي يسرد الأدلة على غياب الشريعة من الحكم مثل: "وجود مظاهر في المجتمع المصري لا تتفق مع أحكام الشريعة الغراء من ملاه ترتكب فيها الموبقات ترخص بإدارتها من الدولة، إلى مصانع خمور ترخص بإنشائها من الدولة، إلى محال لبيع وتقديم الخمور ترخص بإدارتها من الدولة، إلى وسائل إعلام سمعية ومرئية ومقروءة تذيع وتنشر ما لا يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، إلى سفور للمرأة يخالف ما ينص عليه دين الدولة الرسمي وهو الإسلام.[٣]

كما قرر حكم المحكمة في حيثياته في موضع آخر:

"حقيقة أن المادة الثانية من الدستور بعد تعديلها نصت على أن الإسلام دين الدولة الرسمي واللغة العربية لغتها الرسمية ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، إلا أنه يكفي المحكمة تدليلاً على أن أحكام الدستور لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، ما

---

(٣) مسودة حيثيات الحكم في قضية ٨١/٤٦٢ أمن دولة عليا طوارئ المشهورة بقضية (الجهاد الكبرى) ص ٢٦٥، نقلاً عن كمال خالد المحامي: هؤلاء قتلوا السادات أسرار المرافعات–تنظيم الجهاد– دار الاعتصام– ص ٢٦٠، ٢٦١– أيضاً محمد مورو: تنظيم الجهاد –جذوره وأسراره– ص ٩٥، الشركة العربية الدولية للنشر والإعلام.

قرره عمر أحمد عبد الرحمن – باعتباره من علماء المسلمين- أمام المحكمة بجلسة ٣ سبتمبر سنة ١٩٨٣م من أن الدستور يتصادم مع الشريعة الإسلامية ولا يتحاكم إليها فالمواد (٨٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١٨٩) تعطى لمجلس الشعب حق التشريع وسن القوانين وهو في الإسلام لله وحده، كما أن المادة (٧٥) من الدستور لا تشترط الإسلام والذكورة في رئيس الدولة وهو أمر يخالف إجماع الفقهاء، والمادة (١٦٥) تنص على أن الحكم في المحاكم بالقانون الذي لا يتفق في أسلوب إصداره ونصوصه مع الشريعة الإسلامية.(٤)

كما قررت حيثيات حكم المحكمة في موضع آخر في معرض بيان حالة المجتمع المصري قبل أحداث القضية: "غياب شرع الله عن أرض جمهورية مصر العربية: وهو ما سبق للمحكمة أن دللت عليه بأدلة قاطعة لا نرى حاجة لتكرارها، ولكنها تشير إلى أن السلطة التشريعية لم تنته بعد من تقنين أحكام الشريعة الإسلامية، وكانت قد بدأت في هذا العمل منذ عام ١٩٧٩ م.

هذا (بالإضافة) إلى وجود مظاهر في المجتمع المصري لا تتفق بأي حال مع قواعد الإسلام، فلا يتصور أن دولة دينها الإسلام وترخص لملاه ترتكب فيها موبقات، وترخص لإنتاج الخمور أو محال لبيعها وشربها، أو تصرح لوسائل الإعلام المرئية أو السمعية أو المقروءة بنشر أو إذاعة ما لا يتفق مع شرع الله أو سفور المرأة بصورة تخالف ما نص عليه الإسلام". (٥)

وقد صدق رئيس الجمهورية على هذا الحكم باعتباره صاحب سلطة التصديق حسب قانون إنشاء محاكم أمن الدولة العليا (طوارئ)، فصدق بذلك على أنه:

- لا يحكم بالإسلام.
- وأن الدستور والقانون يخالفان الشريعة.
- وبأن الفساد منتشر تحت رعاية القانون.
- وأن حكومته تعذب المسلمين تعذيباً شديداً.

---

(٤) مسودة حيثيات الحكم السابق: ص ٣٦٣، ٣٦٤ ، نقلاً عن كمال خالد المحامي: المصدر السابق ص ١٨٠، ١٨١

(٥) كمال خالد: المصدر السابق ص ٢٧٢.

الباب السادس

أفغانستان (الهجرة والإعداد)

لـــــك البشـــــرى ترجـــــل عـــــن جـــــوادك أيهـــــا الرجـــــل
فـــــإن الإخـــــوة الغيـــــاب للميـــــدان قـــــد وصـــــلوا
ومـــــن بوابـــــة الأفغـــــان للتـــــاريخ قـــــد دخلـــــوا

(من قصيدة الشيخ يوسف أبو هلالة في رثاء الشهيد –كما نحسبه – عبد الله عزام (رحمه الله)).

* * *

بدأت صلتي بأفغانستان في صيف عام ١٩٨٠م بترتيب قدري حينما كنت أعمل بصفة مؤقتة مكان أحد زملائي في مستوصف السيدة زينب التابع للجمعية الطبية الإسلامية وهي أحد أنشطة الأخوان المسلمين. ففي أحد الليالي كلمني مدير المستوصف – وهو من الإخوان المسلمين – عن رأيي في السفر لباكستان للعمل في المساعدة الجراحية للمهاجرين الأفغان، فوافقت على الفور إذ وجدت في هذا العرض فرصة ذهبية للتعرف على ميدان من ميادين الجهاد التي يمكن أن تكون رافداً وقاعدة للجهاد في مصر والعالم العربي، قلب العالم الإسلامي، حيث تدور معركة الإسلام السياسية بين المسلمين ورؤوس الحملة الصليبية الجديدة أمريكا واليهود وحكام العرب المنفذين لسياساتهما.

وكانت مشكلة إيجاد قاعدة آمنة للعمل الجهادي في مصر تشغلني كثيراً، بالنظر إلى ظروف التيار الجهادي الذي يخوض معركته داخل مصر ذات النظام الأمني الخانق والحكم المركزي المستبد، والطبيعة الجغرافية السهلة التحكم، حيث يجري نهر النيل بواديه الضيق بين صحراوين ممتدتين لا زرع فيهما ولا ماء، تلك الطبيعة التي جعلت نشوء حرب عصابات في مصر أمراً غير ممكن، وبالتالي فرضت على سكان هذا الوادي الرضوخ للسلطة المركزية التي تتحكم في كل شيء بدءاً من تنظيم الري إلى السخرة والتجنيد الإجباري وقمع كل حركة تمرد.

وأصبح المنفس من ظلم الحاكم المستبد في تاريخ هذا الشعب هو الانفجارات المتباعدة كالبركان الخامد الذي لا يدري أحد متى سيقذف بحممه، أو كالزلزال الذي لا يعلم أحد متى ترتجف الأرض – بما عليها – من ضربته.

لذا لم يكن غريباً أن يكون تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر هو تاريخ حملات القمع المتعاقبة منذ الأربعينات حتى اليوم.

لذلك جاءت هذه الدعوة للمشاركة في العمل الطبي للمهاجرين الأفغان إليّ على قدر، ووافقت رغبة جادة في التعرف على الميادين المناسبة لإقامة قاعدة آمنة لاستمرار العمل الجهادي في مصر، خاصة في عهد أنور السادات حينما ظهرت ملامح الحملة الصليبية الجديدة واضحة لكل ذي رأي، بادية لكل مهتم بشؤون أمته.

وبالفعل سافرت إلى مدينة بيشاور الباكستانية بصحبة زميل متخصص في التخدير، ثم ما لبث أن لحق بنا زميل آخر متخصص في جراحة التجميل، وكنا نحن الثلاثة أول عرب يصلون للعمل الإغاثي للمهاجرين الأفغان.

وكان قد سبقنا إلى بيشاور الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) وكانت بصماته تسبقنا حيثما نذهب، فالمستشفى الذي بدأنا العمل فيه كان هو الرائد في إنشائه، وقادة المجاهدين الذين قابلناهم كانوا يحدثوننا عن مساعدته لهم وعن مجهوده في التوحيد بينهم.

وكمال السنانيري (رحمه الله) رغم أني لم ألتق به، إلا أن أعماله وأنشطته كانت تدل على بذله وعطائه في سبيل الله.

ولذا لم يكن غريباً أن يقتل كمال السنانيري في حملة الاعتقالات التي بدأت بقرارات التحفظ في سبتمبر ١٩٨١م.

لقد قتل كمال السنانيري تحت التعذيب الذي كان يمارسه عليه حسن أبو باشا مدير إدارة مباحث أمن الدولة ثم وزير الداخلية — بنفسه.

وقصة قتل كمال السنانيري (رحمه الله) لا بدا لها من وقفة.

فقد اعتقل كمال السنانيري في سبتمبر ١٩٨١م، وبعد اغتيال أنور السادات في أكتوبر ١٩٨١م أدرك النظام أن أجهزة أمنه — مباحث أمن الدولة والمخابرات الحربية والمخابرات العامة- كانت آخر من يعلم عما يدور داخل مصر من غضب مكتوم وثورة متصاعدة.

ونظراً للزلزال الذي أصاب النظام وكاد أن يدمر أركانه فقد قرر النظام أن يبحث عن سبب ما حدث. وكان أول ما فعله النظام الحاكم أن رفض كل نظريات أجهزة الأمن التي ثبت عجزها، وبدأ تحقيقاً دموياً وحشياً فتح فيه كل الملفات القديمة والجديدة.

وكان ملف الإخوان المسلمين أحد تلك الملفات التي فتحت من جديد بعد أن فقد النظام ثقته في تقارير مباحث أمن الدولة التي ظهر عجزها الواضح والتي لم تكتشف اغتيال السادات إلا بعد وقوعه، بل لم تكتشف شيئاً عن التنظيمات الجهادية التي أظهرها هذا الحادث فجأة.

بل بلغ الأمر بجهل مباحث أمن الدولة بما يدور في مصر أنها طمأنت السادات بأن حملتها — لاعتقال المعارضين في سبتمبر ١٩٨١م — قد أمنت البلد لصالحه من المعارضة السياسية عامة والإسلامية خاصة.

لذا سارعت المباحث إلى بدئ تحقيق جديد مع الإخوان المسلمين رغم قناعتها السابقة أنهم مسالمون، وركز التحقيق على مجموعة من الصف الثاني والثالث وكان من أهمهم الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) لعدة اعتبارات منها أن المرشد عمر التلمساني كان كهلاً لا يحتمل التعذيب، بالإضافة لوضعه المعنوي كمرشد عام للإخوان الأمر الذي قد يورط النظام في مشاكل إذا أعتدي عليه بالضرب والإهانة أو قتل تحت التعذيب، كما أن النظام كان يعلم أن مفاتيح الأمور وتفاصيل أنشطة الإخوان لم تكن بيد عمر التلمساني، ومنها النشاط الكبير الذي كان يقوم به كمال السنانيري في تحقيق الاتصال بين الإخوان في مصر والتنظيم الدولي في الخارج، ورحلاته المتكررة في هذا الصدد، ومنها تبنيه لقضية أفغانستان وريادته في دعم الجهاد الأفغاني والاتصال بقادته، ومنها موقع كمال السنانيري في داخل تنظيم الإخوان المسلمين.

فقد كان ترتيب الإخوان المسلمين عجيباً، فالقيادة الظاهرة كان يمثلها المرشد العام — عمر التلمساني — أمام الناس والنظام، أما القيادة الحقيقة فقد كانت في يد مجموعة النظام الخاص من أمثال مصطفى مشهور، والدكتور أحمد الملط (رحمه الله) والأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله).

ومن هنا اقتنعت مباحث أمن الدولة أن الإخوان المسلمين لو كان لهم تنظيم سري فسيكون سره عند الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله).

وبدأ التحقيق مع كمال السنانيري وحشياً، وحكى لي الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح – وكان زميلاً لي في كلية طب القاهرة – أثناء حديث بيننا عبر نافذتي زنزانتينا في معتقل القلعة، كيف أن الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) أخذ من بين إخوانه– ومنهم عبد المنعم أبو الفتوح – من أحد الزنازين في سجن استقبال طره، وكان يرتدي جلباباً وعباءة، ثم لم يره عبد المنعم أبو الفتوح بعد ذلك إلا في مبنى المدعى العام الاشتراكي حيث كان جسمه متورماً وتبدو عليه آثار التعذيب الشديد، وقال لهم إنه يتعرض لتعذيب لم يتعرض له إبان عهد عبد الناصر، ثم ذكر هذا التعذيب للمحقق التابع للمدعى العام الاشتراكي.

وبعد ذلك بفترة أخبر أحد الرقباء في السجن عبد المنعم أبو الفتوح أن أحد إخوانهم قد قتل اليوم من التعذيب، وتبين له بعد ذلك أنه الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله).

وأعلنت وزارة الداخلية أنه انتحر بشنق نفسه في ماسورة تصريف حوض المياه في زنزانته الانفرادية بواسطة حبل (الروب) الذي كان يرتديه بعد أن كتب على جدار الزنزانة (قتلت نفسي لأحمي إخواني).

وحكى لي عبد المنعم أبو الفتوح مدى التلفيق في هذه القصة المتهافتة، حيث أن الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) لما تركهم لي يكن يرتدي (روب) بل كان يرتدي جلباباً وعباءة، كما أن إدارة السجن لا تسمح لأي نزيل بالاحتفاظ بأي حزام أو حبل أو ربطة عنق معه، كما أن ماسورة تصريف حوض المياه لا يمكن أن تستخدم للشنق لقربها الشديد من الأرض.

ثم حكى لي الأخ طلعت فؤاد قاسم – الذي اختطفته أمريكا فيما بعد من كرواتيا وسلمته لمصر – أن كمال السنانيري كان محبوساً في الزنزانة المجاورة له في الزنازين الانفرادية في الدور الأرضي بعنبر (أ) في سجن استقبال طره، وفي ذات ليلية سمع جلبة وفتحت أبواب العنبر ودخلت جمهرة من الضباط والجنود فنظر من فتحة الباب فوجد العقيد / محسن السرساوي– مأمور سجن استقبال طره– يسأل في قلق واضطراب: أين زنزانة المرحوم؟ فدلوه عليها فأمر بفتحها ثم أدخلوه فيها جثة وأغلقوها.

وهذه الرواية تؤكد أن الأستاذ كمال السنانيري قد قتل خارج الزنزانة ثم أدخل فيها، لا كما تكذب وزارة الداخلية في روايتها المهلهلة.

كما حكى لي شاهد آخر كان موجوداً أثناء تعذيب الأستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) في آخر ليلة من عمره: أنه عذب (رحمه الله) تعذيباً شديداً، وأن المشرف على تعذيبه

كان حسن أبو باشا- مساعد وزير الداخلية حينئذ ثم وزير الداخلية فيما بعد- بنفسه وكان يسبه بأقذع الألفاظ ويسأله: من المرشد العلني؟ ومن المرشد السري؟ وكان الأستاذ كمال السنانيري في شدة من الإنهاك ويرد عليه بصوت أضناه التعذيب: ليس هناك مرشد سري".

العجيب بعد كل هذه الحقائق المعروفة والتي يوقن بها الإخوان المسلمون أنهم لم يتحركوا للقصاص لدم السنانيري – رغم علمهم التام بتفاصيل قتله – ولو حتى برفع دعوى قضائية ضد المسئولين- عن قتله- وهم معروفون، وإثبات الواقعة عليهم سهل، فقد دخل كمال السنانيري السجن على قدميه وخرج جثة هامدة، فمأمور السجن ومصلحة السجون ووزارة الداخلية مسئولون عما حدث، والصفة التشريحية للجثة ستدحض بجلاء أي قصة كاذبة كتلك التي اختلقتها وزارة الداخلية.

ومحامو الإخوان – وهم الخبراء في الشؤون القانونية – يستطيعون أن يدفعوا القضية ويصعدوها حتى ينالوا بها رئيس الجمهورية، وإعلامهم الواسع يستطيع – إن أرادوا – إثارة الرأي العام المصري والعربي والإسلامي حول هذه الجريمة البشعة.

ويستطيعون – إن أرادوا – أن يربوا شبابهم على الثأر من قتلة المسلمين وقتلة أكابرهم وقادتهم.

ولكن المضحك المبكى أنهم خرجوا من السجن ليمدحوا حسني مبارك لأنه في زعمهم لم يعذب الإخوان[٦]، ولأنه فتح باب الحريات[٧].

بل وأرسلوا برقيات تهنئة لحسن باشا – قاتل السنانيري – على نجاته من حادثة اغتياله[٨]، ووصفوا الحادثة بأنها مؤامرة صهيونية شيوعية[٩] ...... الخ.

وهكذا ضاع دم كمال السنانيري (رحمه الله) على مذبح المصالحة مع حسني مبارك، كما ضاع دم حسن البنا – من قبل – حينما توجه أتباعه ليوقعوا في دفتر تشريفات قصر عابدين بعد انتخاب مكتب الإرشاد الجديد مادين أيديهم إلى الملك فاروق قاتل شيخهم.

---

(٦) مأمون الهضيبي: مجلة المجتمع، عدد ٨١٥، أول رمضان ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧/٤/٢٨م.
(٧) راجع: عمر التلمساني: مجلة المصور، عدد ٢٧،٢٩٨٩ ربيع الأول ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢/١/٢٢م.
(٨) راجع مجلة: مايو ١٩٨٧م ص ٢٨، مجلة العالم ٢ شوال ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧/٥/٢٠م العدد ١٧٢ص ٢٠، مجلة المجلة: العدد ٢٧٩، ص ١٩، ٨٧/٥/١٩
(٩) راجع مجلة المجتمع عدد ٨٢٢- ٨٧/٦/٢٣ ص ٤٩ ،لواء الإسلام عدد ٢١١.

وكما قال الطيب المتنبي:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وعوده إلى بيشاور فأقول: باحتكاكي بساحة الجهاد الأفغاني تبين لي منذ عام ١٩٨٠ مدى ثراء هذه الساحة ومدى النفع الذي يمكن أن تقدمه للأمة المسلمة عامة وللحركة الجهادية خاصة، وأدركت ضرورة الاستفادة من هذه الساحة، ولذا بعد أن مكثت فيها — أول مرة — قرابة أربعة أشهر عدت مرة أخرى في مارس ١٩٨١ ومكثت قرابة شهرين، اضطررت بعدها إلى العودة لمصر نظراً للظروف الضاغطة هناك.

ثم شاء الله سبحانه — وهو المحمود على السراء والضراء — أن أمكث في السجن بمصر ثلاث سنوات انتهت في أواخر عام ١٩٨٤، ولكن نظراً لظروف خاصة بترتيب أوضاعي لم أتمكن من العودة إلى ساحة الجهاد الأفغاني إلا في منتصف عام ١٩٨٦.

وخلال احتكاكي وتعاملي مع العاملين في هذه الساحة اتضحت لي حقائق في غاية الخطورة لا بد من تسجيلها:

١- أن الحركة الجهادية في حاجة إلى ساحة جهادية تكون لها بمثابة المحضن الذي تنمو فيه البذرة النابتة، وتكتسب فيها خبراتها العملية والقتالية والسياسية والتنظيمية.

وكان الأخ الشهيد —كما نحسبه — أبو عبيدة البنجشيري (رحمه الله) يقول: "لقد زاد عمري في أفغانستان مائة عام".

٢- خاض الشباب المسلم في أفغانستان معركة تحرير الأرض المسلمة تحت شعارات إسلامية خالصة، وهو أمر في غاية الخطورة، إذ أن كثيراً من معارك التحرير التي جرت على أرض عالمنا الإسلامي اختلطت فيها شعارات القومية بالوطنية بالإسلام بل وأحياناً بشعارات اليسار والشيوعية، مما أحدث لدى الشباب المسلم انفصاماً بين عقيدته الجهادية الإسلامية التي يجب أن تقوم على أساس إخلاص الدين لله، وبين تطبيقها الواقعي.

وقضية فلسطين خير مثال على ذلك حيث اختلطت فيها الشعارات والعقائد تحت شعار التحالف مع الشيطان من أجل تحرير فلسطين، فتحالفوا مع الشيطان وخسروا فلسطين، وصدق الله العظيم: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }الحشر١٦

الأمر الآخر الهام هو أن هذه المعارك التي تعلوها رايات غير إسلامية أو رايات مختلطة قد أضاعت الحدود الفاصلة بين الأولياء والأعداء في منظور الشباب المسلم، فأصبح العدو مشكوكاً فيه، أهو العدو الخارجي الذي يحتل أرض المسلمين، أم هو العدو الداخلي الذي يمنع الحكم بالإسلام، ويبطش بالمسلمين، وينشر الفجور والتحلل تحت شعارات التقدم والحرية والقومية والتحرير، سائقاً الأوطان إلى هاوية الدمار الداخلي والاستسلام للعدو الخارجي، كما هو حال معظم بلادنا في ظل النظام العالمي الجديد.

أما أفغانستان فقد كانت الصورة واضحة جداً:

شعب مسلم يجاهد تحت راية الإسلام، وعدو خارجي معتد كافر يسانده نظام داخلي مرتد فاسد.

لذا كان انطباق النظرية على الواقع واضحاً وجلياً.

وهذا الوضوح قد أفاد أيضاً في دحض شبهات كثير من المتصدرين للعمل الإسلامي الهاربين من ساحة الجهاد بحجة غياب الساحة التي يتميز فيها المسلمون عن أعدائهم.

٣- كما كانت ساحة أفغانستان – خاصة بعد انسحاب الروس – نموذجاً عملياً على جهاد الحكام الخارجين عن الإسلام المتحالفين مع أعداء الإسلام الخارجين، فقد كان نجيب الله في أفغانستان نموذجاً متكرراً لحكامنا، فهو يصلي ويصوم ويحج، وفي نفس الوقت يمنع الحكم بالإسلام ويتحالف مع أعداء الإسلام ويدخلهم لبلاده ويبطش بالمسلمين المجاهدين.

٤- كما كانت أهمية معارك الجهاد في أفغانستان أنها حطمت وهم (القوة العظمى) في أذهان الشباب المسلم المجاهد، فالاتحاد السوفيتي – وهو القوة العظمى صاحبة أكبر قوة برية في العالم – تحطم وفرت فلوله هاربة من أفغانستان أمام أعين الشباب المسلم وبمشاركته.

فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن .... أمريكا.

٥- كما وفرت مشاركة الشباب المسلم المجاهد – من العرب والباكستانيين والأتراك ومسلمي وسط أسيا وشرقها وغيرهم – فرصة كبيرة لتعارف الشباب المسلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي على ساحة الجهاد الأفغاني، وعبر زمالة السلاح الموجه ضد أعداء الإسلام.

وهكذا تعارف الشباب المجاهد والحركات الجهادية مع بعضها البعض تعارفاً وثيقاً وتبادلوا الخبرات وتفهموا مشاكل إخوانهم.

وفي معسكرات التدريب وجبهات القتال تكوّن لدى الشباب المجاهد وعي واسع وإدراك أعمق بالمؤامرة المحاكة ضد الإسلام، وفهم شرعي أوثق بواجبهم الشرعي تجاه أعداء الإسلام الخارجيين وعملائهم الداخليين.

٦- وكان الشباب المسلم المجاهد في أفغانستان هو نواة ما عرف في الإعلام فيما بعد بالأفغان العرب، وهي تسمية مغرضة إذ إنهم لم يكونوا عرباً فقط بل كانوا مجاهدين من كافة أرجاء العالم الإسلامي، وإن كان العرب عنصراً متميزاً فيهم.

وقد مثل هؤلاء الشباب ظاهرة جديدة مباركة في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصر، وهي ظاهرة الشباب الذي نذر نفسه للجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الأمة المسلمة، متنقلاً من أفغانستان لكشمير والبوسنة وتاجيكستان ثم الشيشان، وبهذا أحيا هؤلاء الفتية الأبرار فريضة طالما حرمت الأمة الإسلامية منها.

٧- وبالطبع لم يكن النظام العالمي ليقبل بوجود هذه الظاهرة المتنامية المتمردة عليه والمهددة لوجوده، بعد أن بذل الاحتلال الغربي والشيوعي لبلاد الإسلام جهوداً متواصلة على مدى قرابة قرن من الزمان لإخضاع الشعوب المسلمة بالأنظمة والقوانين والانتخابات المزورة وحالات الطوارئ وقوانين الهجرة والجنسية.

فبدأ الضغط من أجل طرد الشباب العربي المجاهد من باكستان من بداية التسعينيات وبلغ أوجه في عام ١٩٩٢م.

وهكذا طردت حكومة باكستان العلمانية من دافع عن حدود الباكستان إلى المجهول. ومما يندى له الجبين أن الجانب الأفغاني من منفذ طورخم الحدودي بين باكستان وأفغانستان يضم مقبرة تحوي رفات قرابة مائة من شهداء المجاهدين العرب في أفغانستان، تقف دليلاً للتاريخ على خسة الحكومة الباكستانية مع من دافع عن حدود الباكستان ضد التهديد الشيوعي.

وتولى كبر هذه المؤامرة أمريكا والسعودية، بعد أن أحسوا أن الشباب المجاهد يفسد عليهم خططهم في السيطرة على أفغانستان.

وتشتت هذا الجمع الطيب في أصقاع المعمورة ما بين لاجئ أو مهاجر أو متخف أو أسير أو قتيل، أو مجاهد حمل السلاح لجبهة أخرى من ثغور الإسلام، أو يائس يحاول أن ينخرط في حياة الناس العادية، بعد أن رأى شراسة العداء، وشدة المطاردة ضد المجاهدين.

وبدأ الإعلام العربي والغربي في تشويه صورة هؤلاء الشباب وتصويرهم، بصورة أنصاف المجانين المهووسين الذين تمردوا على أمريكا التي دربتهم ومولتهم من قبل، وزادت وتيرة ترديد هذه الفرية بعد العودة الثانية للشباب المجاهد إلى أفغانستان في النصف الثاني من التسعينات، وخاصة بعد تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام.

والهدف من حملة التشويه واضح وجلي؛ وهو أن تحاول أمريكا حرمان الأمة المسلمة من شرف البطولة، وكأنها تريد أن تقول للمسلمين: "إن من تعدوهم أبطالاً هم في الحقيقة صبيتي ومرتزقتي تمردوا عليّ لما أوقفت دعمهم".

وهذه الفرية تحمل في طياتها تناقضها، فإذا كان الشباب المجاهد في أفغانستان صنيعة أمريكا فلماذا أصرت على مدى سنتين على طردهم؟

والحقيقة التي لا بد أن يعلمها الجميع أن أمريكا لم تدعم الشباب العربي المجاهد في أفغانستان بقرش واحد.

وإذا كانت أمريكا قد دعمت باكستان وفصائل المجاهدين بالأموال والعتاد، فإن علاقة الشباب العربي المجاهد بأمريكا كانت على النقيض تماماً.

بل إن وجود هؤلاء الشباب ونموهم وازدياد عددهم مثل إخفاقاً للسياسة الأمريكية ودليلاً متجدداً على الغباء السياسي الأمريكي الشهير.

لقد كان تمويل نشاط المجاهدين العرب في أفغانستان يأتي عبر الدعم الشعبي لأفغانستان وكان دعماً لا يستهان به.

ولم يتكفل المجاهدون العرب بتمويل أنفسهم فقط، بل لقد حملوا أيضاً تبرعات المسلمين إلى المجاهدين والمهاجرين الأفغان.

وقد أخبرني الشيخ/ أسامة بن لادن أنه – وهو خير شاهد – بقدر الدعم الشعبي العربي للمجاهدين الأفغان الذي نما إلى علمه، في الجانب العسكري فقط بمائتي مليون دولار على مدى عشر سنوات، فما بالك بالدعم الشعبي في المجالات غير العسكرية مثل الجانب

الطبي والصحي والتعليمي والحرفي والغذائي والاجتماعي (مثل كفالات الأيتام والأرامل والمعوقين)، ناهيك عن التبرعات التي كانت تأتي في المواسم مثل العيدين ورمضان ... الخ.

وعبر هذا الدعم الشعبي غير الرسمي أقام المجاهدون العرب مراكز التدريب والدعوة وأنشأوا الجبهات التي دربت وأعدت الآلاف من المجاهدين العرب، ووفروا لهم الإعاشة والسكن والسفر والتنظيم.

وإذا كان المجاهدون العرب مرتزقة لأمريكا تمردوا عليها كما تفتري. فلماذا تعجز الآن عن شرائهم مرة أخرى؟

ألا يعدون الآن – وعلى رأسهم أسامة بن لادن – الخطر الأول الذي يهدد مصالح أمريكا؟ أليس شراؤهم أوفر وأقل كلفة من ميزانيات الأمن والوقاية الخرافية التي تنفقها أمريكا دفاعاً عن نفسها ضدهم.

إن الأمريكان بطريقتهم المعهودة في التضخيم والمبالغة والسطحية في التناول يحاولون بيع الوهم للناس، قافزين فوق أبسط الحقائق. هل يمكن أن يكون أسامة بن لادن الذي نادى في محاضراته عام ١٩٨٧م في السعودية بضرورة مقاطعة البضائع الأمريكية تأييداً للانتفاضة في فلسطين، عميلاً للأمريكان في أفغانستان؟

وأذكر يومها أنه زارنا في مستشفى الهلال الكويتي في بيشاور وحدثنا عن هذه المحاضرات، وأذكر أني قلت له: منذ الآن يجب أن تغير طريقة حراستك ونظام أمنك، فإن رأسك منذ الآن أصبح مطلوباً من الأمريكان واليهود وليس الشيوعيين والروس فقط. فأنت الآن تضرب الأفعى على رأسها.

وهل يمكن أن يكون الشهيد – كما نحسبه – عبد الله عزام عميلاً لأمريكا وهو الذي لم يكل عن تحريض الشباب ضدها ودعم حركة حماس بكل ما يملك؟ وهل يمكن أن تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة للأمريكان وقد قتل خالد الإسلامبولي ورفاقه أنور السادات عميل أمريكا الأول في المنطقة، قبل نشوء ظاهرة المجاهدين العرب في أفغانستان؟

وهل يمكن أن تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة لأمريكا وهي تربي أبناءها على رفض إسرائيل وكل اتفاقيات الاستسلام لها وتعتبر أن الصلح معها متناقض مع شريعة الإسلام؟

إن أمريكا قد فوجئت بأن طبختها في أفغانستان قد أفسدها عليها المجاهدون العرب وأهل الصدق من المجاهدين الأفغان.

لقد أرادتها أمريكا حرباً بالوكالة ضد روسيا، فحولها المجاهدون العرب – بفضل الله– إلى دعوة لإحياء الفريضة الغائبة؟ الجهاد في سبيل الله.

ولذلك تنبهت أمريكا لهذا الخطر في البوسنة فكان الشرط الأول قبل تطبيق اتفاقية دايتون هو طرد المجاهدين العرب من البوسنة.

٨- لقد كانت خطورة وجود الشباب المسلم – وخاصة العربي – في ساحة الجهاد الأفغاني هو تحويل قضية أفغانستان من قضية إقليمية محلية إلى قضية إسلامية عالمية تشارك فيها الأمة كلها.

الباب السابع
السفارة المصرية في إسلام آباد

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم

(زهير بن أبي سلمة)

*   *   *

بعد حملة مطاردة المجاهدين العرب في باكستان وتشتتهم —كما ذكرنا — بدأت الحكومة المصرية تستأسد في باكستان، مستندة على الدعم الذي تقدمه لها حكومتي الولايات المتحدة والسعودية بنفوذهما القوي لدى الحكومة الباكستانية، وذلك لأن علاقة الحكومة المصرية كانت — منذ الخمسينات — سيئة مع الحكومة الباكستانية بسبب موقف الحكومة المصرية المساند للهند في قضية كشمير، واعتبار الحكومة المصرية — منذ عهد عبد الناصر — أن كشمير مشكلة داخلية هندية.

وبدأت الحكومة المصرية في تعقب من تبقى من العرب والمصريين خاصة في باكستان، ووصل الأمر إلى ترحيل أحد الطلاب المقيمين قانونياً من الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، ثم القبض على مصريين يحملان الجنسية الباكستانية لزواجهما من باكستانيتين، ووصل استسلام الحكومة الباكستانية لدرجة أنها سلمت الشخصين الحاصلين على الجنسية الباكستانية إلى الحكومة المصرية أثناء نظر القضاء في تظلمهما، دون اعتبار للدستور أو القانون الباكستاني.

وكان لا بد من رد على هذا التواطؤ الخبيث من الحكومة الباكستانية مع حكومات مصر وأمريكا والسعودية.

كما أن توسيع الحكومة المصرية لحملتها المعادية للإسلام في مصر وتحالف أمريكا السافر معها، ونقلها للمعركة إلى خارج مصر كان لا بد له من رد.

ولذا قررنا أن يكون الرد منصباً على هدف يؤلم هذا التحالف الخبيث.

وبعد الدراسة تقرر تشكيل مجموعة للرد وكلفت بالأهداف التالية على التوالي:

أولاً: ضرب السفارة الأمريكية في إسلام آباد.

فإن لم يتيسر فلتضرب أحد الأهداف الأمريكية في الباكستان.

فإن لم يتيسر فلتضرب سفارة دولة غربية مشهورة بعدائها التاريخي للمسلمين.

فإن لم يتيسر فلتضرب السفارة المصرية.

وبعد الاستطلاع المكثف والمفصل تبين أن ضرب السفارة الأمريكية فوق إمكانات المجموعة المكلفة، وضمن استطلاع أحد الأهداف الأمريكية في إسلام آباد تبين أن به عدداً قليلاً جداً من الموظفين الأمريكان، وأن الإصابات ستكون معظمها في الباكستانيين.

كذلك تبين أن ضرب السفارة الغربية الأخرى فوق إمكانات المجموعة المكلفة.

وهكذا استقر الأمر على ضرب السفارة المصرية في إسلام آباد التي لم تكن فقط تدير حملة المطاردة للعرب في باكستان، بل كانت أيضاً تقوم بدور تجسسي خطير على المجاهدين العرب، بالإضافة إلى ما اكتشفته أجهزة الأمن الباكستانية في مباني السفارة المدمرة من وثائق تكشف عن التعاون الهندي المصري في مجال التجسس على باكستان.

وقبيل التفجير أرسلت المجموعة المنفذة تخبرنا عن إمكانها القيام بضرب السفارة الأمريكية والمصرية معاً إذا دبرنا لها مبلغاً إضافياً، ولكننا كنا قد قدمنا ما معنا ولم نكن نستطيع تدبير المزيد، وهكذا ركزت المجموعة على نسف السفارة المصرية ووفقها الله في ذلك، وتركت خرائب السفارة رسالة بليغة المعنى واضحة البيان عن جزاء من يتعاون مع الأمريكان واليهود ضد المسلمين.

الباب الثامن

العمليات في مصر

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }الحج٣٩ ، {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }الحج٤٠

ذفإما تعرضوا عنا اعتمرنا   وكان الفتح وانك الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم   يعز الله فيه من يشاء

(حسان بن ثابت رضي الله عنه)

* * *

قد لا يكون من المناسب أن نقدم هنا – سرداً تفصيلياً – للعمليات الجهادية ضد النظام في مصر ولكننا سنحاول أن نقدم عرضاً مجملاً مع بيان أهم الأحداث ومعانيها في المرحلة المنصرمة ضد النظام المصري، وسنعرض أولاً لأهم العمليات، ثم للمعاني المستفادة من هذه العمليات.

أولاً: العمليات

١- يمكننا أن نبدأ رصد بداية العمليات في مصر بتسجيل عدوان الحكومة الغاشم على حي عين شمس بالقاهرة حين اقتحمت قوات الشرطة مسجد آدم عقب صلاة المغرب يوم الجمعة ١٢ أغسطس سنة ١٩٨٨م حيث تعقد الجماعة الإسلامية ندوتها الأسبوعية.

ومن الجدير بالذكر أن مسجد آدم قد سبق اقتحامه عدة مرات من قبل قوات الشرطة، كما أن اقتحام المساجد أصبح عادة متكررة لقوات الشرطة حيث يقتحمون بأحذيتهم المساجد، ويحطمون كل ما بداخلها ويمزقون الكتب، ويطلقون داخلها القنابل المسيلة للدموع وطلقات الرصاص بلا تمييز.

كل هذا العدوان أصبح يمثل جرحاً نازفاً في قلوب المسلمين وهم يشاهدون مساجدهم المقدسة وقد انتهكت حرمتها تحت نعال أجلاف الشرطة، كما أنه مصدر غضب متجدد

في صدور المسلمين، وأصبح مثالاً على عقلية الحكومة المصرية في تعاملها مع المقاومة الإسلامية، كما أصبح مثالاً على نفاق الإدارة الأمريكية التي تتظاهر باحترام شعائر المسلمين وفي نفس الوقت تغض الطرف عن النظام المصري وتباركه وتؤيده وتدعمه وتساعده في كل ممارساته ضد المسلمين.

إن العدوان المتكرر حتى اليوم على المساجد لا يمكن أن يمر بدون عقاب بإذن الله، وهذه الجرائم تتحمل مسئوليتها وزارة الداخلية، وحسني مبارك، والإدارة الأمريكية التي تتم هذه الجرائم برضاهم وتحت سمعهم وبصرهم وتنفيذاً لسياساتهم في كبت المقاومة الإسلامية ضد التوسع الإسرائيلي في المنطقة.

بدأ الاقتحام بتحطيم نوافذ المسجد، ثم إلقاء القنابل المسيلة للدموع والقنابل الحارقة داخله لإجبار الموجودين به على الخروج، وعندما بدأ الأخيرون بالخروج اقتحمت قوات الشرطة المسجد وأطلقت الرصاص بلا تميز.

وكانت هذه الجريمة كافية لاستفزاز أهالي المنطقة الذين انضموا تلقائياً إلى أعضاء الجماعة الإسلامية ضد عدوان الشرطة فاتسع نطاق الاضطرابات حتى شمل المنطقة بأسرها.

وجن جنون وزارة الداخلية فأصدرت الأوامر بإطلاق الرصاص وتساقط الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وامتلأت الشوارع والبيوت بالجرحى والقتلى الغارقين بدمائهم، كما امتلأت لوريات الشرطة بمئات المعتقلين. وكان من الطبيعي أن يرد الأهالي على العدوان الغاشم، فألقت النساء والأطفال بالحجارة على الشرطة من شرفات ونوافذ المنازل، وأصيب ضابطان وأربعة جنود، وتوفي الضابط محمد زكريا متأثراً بإصابته بحجر في رأسه ألقته أم ثائرة من أعلى سطح منزلها، لأنها شاهدت طفلها الوحيد على الأرض يتلوى من الألم وسط بركة من الدماء لإصابته بيد أحد الضباط، كما أحرق الأهالي سيارتين للشرطة انتقاماً للمذابح الوحشية التي قامت بها الشرطة ضد المواطنين.

وبالطبع فرضت أجهزة الأمن حظر التجول في جميع شوارع المنطقة، ودفعت وزارة الداخلية بأعداد هائلة من القوات التابعة لمختلف أجهزتها لتأديب المنطقة.

أذاقت القوات على مدى أسبوع كامل أهالي المنطقة ألواناً مختلفة من صنوف البطش والانتقام والتنكيل، وتعرض المعتقلون لتعذيب وحش؟! داخل أقسام الشرطة والسجون المختلفة التي تم توزيعهم عليها.

٢- وكانت الحملة الثانية على حي عين شمس يوم الأربعاء ٧ ديسمبر ١٩٨٨م. حين انتهز وزير الداخلية - زكي بدر — ورود معلومات عن مسيرة سلمية تنوي الجماعة الإسلامية تنظيمها إلى القصر الجمهوري بالقبة للإعراب عن تأييدها للانتفاضة الفلسطينية في فلسطين المحتلة.

ولكن عجرفة الحكومة المصرية لم تكن لتسمح لها بأن تترك الجماعة الإسلامية لتعبير عن وجودها في الشارع بمظاهرة مهما كان السبب.

واقتحمت الشرطة مسجد آدم قبل صلاة الفجر واعتقلت كل من بداخله، وقامت بحملة اعتقال واسعة النطاق لجميع أعضاء الجماعة الإسلامية في مناطق عين شمس والمطرية والألف مسكن ومساكن عين شمس، واعتقلت أكثر من ١٨٠ شخصاً.

وخرجت صحف الحكومة ببيان لوزارة الداخلية لفقت فيه الحقائق يتضمن اعترافاً بالحملة على عين شمس واعتقال عشرات من أعضاء الجماعة الإسلامية، وزعم البيان أنه تم ضبط منشورات وأسلحة بحوزة بعض المعتقلين، كما اعترف البيان بأن قوات الشرطة أغلقت مسجد آدم !!!، وأنها تواصل تمشيط المنطقة بحثا عن أعضاء الجماعة الإسلامية المطلوب اعتقالهم، ولكن البيان لم يذكر اعتقال النساء من زوجات وأمهات وأقارب الهاربين وأطفالهم كرهائن لإجبارهم على تسليم أنفسهم، ولم يذكر أيضا ما تعرضوا له من تعذيب وحشي بأماكن ذويهم.

مقتل عصام شمس:

وفي تطور سريع للأحداث، طعن بائع بسوق عين شمس ضابط الشرطة المقدم/عصام شمس وكيل مباحث شرق القاهرة، وتوفى الضابط متأثرا بإصابته، وفر البائع الذي ثبت من تحقيقات النيابة اسمه شريف محمد أحمد، وكان قد تعرض للضرب المبرح عدة مرات على أيدي ضباط المباحث، كما سبق اعتقاله في أحداث أغسطس المذكورة آنفا وتعرض لتعذيب وحشي في قسم عين شمس.

وكانت نهاية الأحداث تمثيلية سيئة الأدوار قامت فيها قوات الشرطة بدور المحقق والقاضي والجلاد في آن واحد، وقتلت شريف محمد أحمد وآخرين معه هما خالد إسماعيل وأشرف درويش رمياً بالرصاص، ثم زعمت وزارة الداخلية في بيان أصدرته أن القتلى الثلاثة قاوموا الشرطة أثناء القبض عليهم لمدة ثلاث ساعات في أحد شوارع شبرا، رغم عدم إصابة ضابط أو جندي بطلقة!!!. كما زعم البيان أنه قد تم العثور على بعض الأسلحة بجوار

جثث القتلى الثلاثة، وقتل أيضاً أحد قيادات الجماعة الإسلامية بالمنطقة ويدعى جابر محمد أحمد، وادعت الشرطة —كالعادة — أنه قاوم السلطات وحاول قتل أحد الضباط، فاضطرت القوات إلى إطلاق الرصاص عليه.

وفور وقوع الحادث فرض حظر التجول في شوارع المنطقة، وشنت حملة اعتقالات واسعة على المشتبه في صلتهم بالحادث، وكان من أسباب ذلك الحادث دور الضابط المذكور في التعذيب الوحشي للمعتقلين في قسم شرطة عين شمس.

مظاهرات الأطفال احتجاجاً على وحشية الشرطة:

وأبى أطفال مدرسة الحرية الإعدادية إلا أن يعبروا عن سخطهم على وحشية الشرطة عقب مصرع الضابط / عصام شمس، فنظموا مظاهرة صاخبة داخل مبنى المدرسة، ورداً على ذلك اقتحمت الشرطة المدرسة وأطلقوا داخلها القنابل المسيلة للدموع واعتدوا على التلاميذ بلا رحمة بالضرب بالهراوات والعصي الغليظة والعصي المكهربة، واعتقلوا ٢١ طفلاً وأصابوا العشرات بجراح بالغة.!!!

وصدرت الأوامر بإلغاء الفترة المسائية في جميع مدارس المنطقة، وتم تعيين قوات من مباحث أمن الدولة لمراقبة المدارس ومنع الأطفال من التظاهر احتجاجاً على عدوان الشرطة.

وقد أمر زكي بدر — وزير الداخلية — باعتقال ٣٠ سيدة وفتاة من أمهات وزوجات وشقيقات قيادات الجماعة الإسلامية الهاربين، وعقب تعذيب بشع تعرضن له في قسم عين شمس تم نقلهم إلى إدارة مباحث أمن الدولة في لاظوغلي، حيث تم تجريدهن من ملابسهن، وتعرضن للصفع والركل وألوان السباب البذيء الهابط، وهددهن الضباط بتحريض جنود الأمن المركزي على اغتصابهن، وتلفيق قضايا مخلة بالشرف لهن إذا لم يرشدن عن أماكن اختباء ذويهن.(١٠)

هكذا كانت أحداث عين شمس اعتداءً صارخاً على الجماعة الإسلامية بل وعلى الشعب في كل المنطقة، وكان الهدف منها واضحاً؛ وهو تدمير النشاط الدعوي السلمي الذي كانت تقوم به الجماعة الإسلامية في تلك المنطقة، بعد أن حازت على تأييد الناس نتيجة للنشاط الاجتماعي والوعوي الذي بذله أعضاؤها، ولكن الحكومة التي انتهجت

---

(١٠) جريدة الوفاء الأربعاء ١٦ رجب ١٤٠٩هـ — ٨٩/٢/٢٢، أيمن الظواهري: الكتاب الأسود — قصة تعذيب المسلمين في عهد حسني مبارك.

سياسة قتل أفراد الجماعات الإسلامية ومنع أي نشاط لها لم تكن لتسمح بذلك، تلك السياسة التي عبر عنها زكي بدر – وزير الداخلية حينئذ – بسياسة (الضرب في سويداء القلب، والضرب في المليان).

وإذا كان القتل جزاؤه القتل، فما بالك إذا كان القاتل معادياً للإسلام مدافعاً عن مصالح أمريكا مستسلماً لإسرائيل، وكان المقتول مطالباً بحكم الإسلام ساعياً إلى تحرير مصر من سيطرة أمريكا وتخليص القدس من احتلال إسرائيل، هنا يصير العداء عقائدياً بين المستكبرين المحاربين للإسلام والمستضعفين المدافعين عنه.

٢- وقررت الجماعة الإسلامية أن ترد، وكان الرد هو إعداد كمين لموكب زكي بدر بواسطة سيارة ملغومة في ٢٦ ديسمبر ١٩٨٩م، ولكن الكمين فشل لخلل في المتفجرات داخل السيارة وقبض على سائقها.

وحفظت القضية لأن زكي بدر صار شخصية ممقوتة بعد أن تطاول على كل السياسيين والوزراء بل وصل تطاوله إلى حسني مبارك، فعزل من الوزارة وحفظت قضية الهجوم عليه.

٣- ولم تلبث وزارة الداخلية أن قتلت الدكتور علاء محي الدين في الشارع في وضح النهار في ٢ سبتمبر ١٩٩٠م. وكان علاء محي الدين (رحمه الله) من قيادات الجماعة الإسلامية الداعين للحوار مع الحكومة، وعبر عن ذلك في عدة مناسبات رافعاً شعار (مرحباً بالحوار الحر المتكافئ)، وهي سياسة ثبت فشلها تماماً مع حكامنا عملاء الروس سابقاً والأمريكان حالياً.

وكان قتل علاء محي الدين (رحمه الله) رسالة واضحة إلى الجماعة الإسلامية أن الدعوة للحوار جزاؤها القتل، وأن النظام لن يقبل بوجود الجماعات الجهادية، وكان النظام منطقياً مع نفسه فالجماعات الجهادية هي أخطر معارضة في مواجهته. فهي أقدر الجماعات على تجميع الشباب المسلم والانتشار بينه. وهي أخطر الجماعات على سياسة التطبيع مع إسرائيل، **ولن يهنأ لإسرائيل مقام فوق أرض مصر طالما كان تهديد الجماعات الإسلامية قائماً**.

٤- وردت الجماعة الإسلامية على قتل علاء محي الدين (رحمه الله) بنصب كمين لوزير الداخلية عبد الحليم موسى، ولكن شاء الله أن يمر موكب رفعت محجوب – رئيس مجلس الشعب – بدلاً منه فوقع في الكمين وقتل.

وهكذا تحولت الجماعة الإسلامية من خطها الدعوي طويل المدى إلى خط مقاومة عدوان الحكومة عليها بالقتال.

٥- وفي مطلع التسعينات حدث تطور هام آخر، وهو القبض على عدد كبير من إخواننا في جماعة الجهاد وتقديم ثمانمائة منهم إلى المحاكم العسكرية فيما عرف بقضايا طلائع الفتح، وحكمت المحكمة على أربعة منهم بالإعدام.

وخرجت الصحف الحكومية مزهوة متفاخرة بالقبض على ثمانمائة عضو في جماعة الجهاد دون إطلاق طلقة واحدة. وقررنا أن ندخل معركة المواجهة مع الحكومة، بعد أن كان خطنا السابق هو الانتشار وتجنيد العناصر استعداداً لمعركة التغيير.

٦- وكان ردنا هو الهجوم على موكب وزير الداخلية – حسن الألفي – بدراجة نارية ملغومة، نجا الوزير من الموت ولم يصب إلا بكسر مضاعف في ذراعه، وحال بينه وبين الموت كومة من الملفات كان يضعها إلى جانبه، استقرت بها الشظايا.

٧- وتلا ذلك هجوم الإخوة في الجماعة الإسلامية على وزير الإعلام – صفوت الشريف – ونجا وزير الإعلام من الكمين.

٨- وتزامن مع ذلك هجوم الجماعة الإسلامية على قائد المنطقة العسكرية المركزية باعتباره القائد المصدق على أحكام المحاكم العسكرية، ولم ينجح الهجوم لأن سيارته كانت مصفحة.

٩- وقام إخواننا في جماعة الجهاد بالهجوم على موكب رئيس الوزراء – عاطف صدقي – بسيارة ملغومة ولكن رئيس الوزراء نجا من الهجوم بخروج سيارته من دائرة الانفجار بأجزاء من الثانية بعد أن أصابتها شظايا الانفجار.

وقد نتج عن الهجوم المذكور مقتل طفلة تدعى شيماء، كانت تلميذة في مدرسة مجاورة، وكانت تقف قريباً من موقع الحادث.

وقد استغلت الحكومة مقتل الطفلة شيماء (رحمها الله) وصورت الحادث على أنه هجوم من جماعة الجهاد على الطفلة شيماء وليس على رئيس الوزراء عاطف صدقي.

وأظهرت الصحف صور والدي شيماء وهما ينتحبان على ابنتهما وصور شيماء في طفولتها المبكرة. وحاولت تهييج مشاعر الجمهور بهذه الأساليب، لتبعد أنظار الناس عن

القضية الأساسية في الصراع بين المجاهدين والحكومة، وهي قضية الدفاع عن الإسلام المعتدى عليه وقضية الوطن المسلم الذي أبيح لجنود الكفار وسفاراتهم ومخابراتهم، وقضية الشريعة التي انتزعت من مكانتها واستبدلت بها القوانين الوضعية والدساتير العلمانية بالقوة والبطش والتزوير.

وكان إخواننا المنفذون للهجوم — عند استطلاعهم لمكانه — قد وجدوا مدرسة تحت الإنشاء فظنوها خالية من التلاميذ، ولكن تبين — فيما بعد — أن الجزء الخارجي من المدرسة فقط هو الذي كان تحت التجديد، أما بقية المدرسة فكانت تعمل.

وقد آلمنا مقتل هذه الطفلة البريئة دون قصد. ولكن ما حيلتنا ولا بد لنا من جهاد الحكومة المحاربة لشرع الله والموالية لأعدائه.

وقد أنذرنا أفراد الشعب من قبل عدة مرات — وخاصة بعد الهجوم على وزير الداخلية حسن الألفي — أن يبتعدوا عن مقار أركان النظام ومساكنهم وطرق تحركاتهم.

وأركان النظام لا يتميزون في مساكن ومكاتب ومواكب بعيدة عن الجمهور، ولكنهم يختلطون بهم ويحتمون بزحامهم، فليس لنا بد من ضربهم مع إنذارنا لعامة الناس.

وقد لخص أخونا السيد صلاح هذا الموقف بقوله — عندما سئل في تحقيق النيابة عن قوله في قتل الطفلة شيماء — إنه يأسف لمقتل هذه الطفلة، ولكن الجهاد لا يجب أن يتوقف.

وهذا الذي ذكرناه هو قول جمهور الفقهاء من المذاهب الربعة، وملخصه أن رمي تجمعات الكفار — حتى وإن اختلط بهم مسلمون أو من لا يجوز قتله من الكفار — جائز لحاجة الجهاد أو ضرورته دون تعمد قصد المسلمين أو من لا يجوز قتلهم من الكفار بالرمي.

وقد شرحت هذه المسألة تفصيلاً في رسالتي المسماة (شفاء صدور المؤمنين).[١١]

---

(١١) لمزيد من التفصيل حول آراء الفقهاء في هذه المسألة راجع: تفسير القرطبي — سورة الفتح الآية ٢٥–ج١٦– المجلد الثامن– ص٢٨٦ إلى ٢٨٨ — طبعة مؤسسة مناهل العردان بيروت، أحكام القرآن للحصاص —تفسير سورة الفتح– باب: رمي المشركين مع العلم بأن فيهم أطفال المسلمين وأسراهم —ج٢ —ص ٣٩٥، ٣٩٦– طبعة دار الفكر بيروت،سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني– حديث رقم ١١٩٠ —ح٤– ص ١٢٤٥– المكتبة الأثرية لاهور، المغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للشربيني الخطيب — ح٤– ص ٢٢٤– طبعة البابي الحلنى القاهرة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م، حاشية ابن عابدين —

وفيما يتعلق بالآثار المترتبة على إصابة المسلمين – دون قصد – من هذا الرمي فقد اخترنا قول الإمام الشافعي (رحمه الله) بأداء الدية إلى أولياء القتيل أخذاً بأحوط الآراء في المسألة.

لذا فنحن نعتبر أن قتل المسلمين قدراً – بدون قصد – في مثل هذه العمليات فعلينا لأوليائه حق دفع الدية لهم.

والمسألة لا يجب أن ينظر إليها من زاوية ضيقة وهي زاوية سقوط ضحايا من الشعب المسلم – دون قصد – في العمليات الجهادية ضد النظام، بل يجب النظر إليها باعتبار كل الظروف المحيطة بمقاومة الأمة المسلمة بطوائفها – وعلى رأسها الطائفة المجاهدة– للأنظمة المفروضة عليها والمحاربة للإسلام.

إن المجاهدين في مصر ما خرجوا إلا دفاعاً عن دينهم وعن شعبهم وآبائهم وإخوانهم وأمهاتهم وأخواتهم.

وإذا أردنا أن نضع قضية شيماء في الميزان الصحيح فعلينا أن نضع في الكفة الأخرى للميزان بناتنا ونسائنا اللاتي تيتمن وترملن بلا ذنب، بل بسبب قيام آبائهن وأزواجهن بأشرف فريضة؛ فريضة الجهاد في سبيل الله.

لقد اقتادني النظام ومعي ٢٨٥ أخاً إلى المحاكمة وطالبت النيابة بإعدامنا جميعاً، أي طالبت بالحكم على ابنتي الصغيرة التي كانت تبلغ عامين من عمرها وعلى بنات إخواني بالتيتم!! فمن الذي بكى على بناتنا واهتم بشأنهن؟.

والأخ سيد قربي اقتحمت الشرطة منزله فلما جرت ابنته مذعورة من طلقات الرصاص أردتها الشرطة قتيلة على الفور، فمن الذي بكى على بنت سيد قربي؟.

ج٣–ص ٢٢٣– دار الكتب العلمية بيروت، فتح القدير لابن الحلني لابن الهماه الحنفي – ج٥–ص٤٤٨– دار الفكر بيروت، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير –ج٢–ص١٧٨– دار الفكر بيروت، منح الجليل شرح مختصر خليل– ج٣– ص ١٥١– دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الأم للشافعي –ج٢– ص٢٤٦،٢٤٤، مجموع الفتاوى لابن تيميه– ج٢٨– ص ٥٤٧، ٥٤٦، الفتاوى الكبرى لابن تيميه –ج٤– ص ٦٠٨،٦٠٧، طبعة دار المعرفة بيروت، المغني لابن قدامة –ج٤– ص ٤٥٠، ٤٥١ – ج٨– ص ٤٤٩، ٤٤٨– طبعة مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، الإنصاف في معرفة الخلاف للمرداوى –ج٤– ص ٢٩

وعشرات الآلاف من نسائنا وأخواتنا وأمهاتنا يقفن على أبواب السجون على أمل زيارة أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن، فمن الذي اهتم لمأساتهن؟.

لقد كسرت ذراع سناء عبد الرحمن حين ضربتها الشرطة – بوحشية – هي وابنتها خديجة البالغة من العمر ثلاث سنوات أمام سجن استقبال طرة، لأن الأمهات المنتظرات أخذن في البكاء والعويل لما خرج أحد المعتقلين في طريقه إلى المحكمة، وقال لهن: "المعتقلين بيموتوا، افعلوا أي شيء، اذهبوا للنائب العام"، ونشرت جريدة الشعب صورة سناء وذراعها في الجبيرة وبجانبها ابنتها خديجة.(١٢) لقد أصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً خطيراً في مارس ١٩٩٧ بعنوان: " مصر.. سناء ضحايا بسبب صلات القرابة" تحدث عن عدوان الشرطة وأجهزة الأمن على عشرات من النساء واحتجازهن رهائن وتعذيبهن بسبب قرابتهن لأعضاء في الجماعات الإسلامية، فمن الذي تحرك لوقف العدوان على هؤلاء المعذبات؟.

ثم دعونا نتناول الأمر من زاوية أخرى تزيده وضوحاً: ماذا تريد هذه الحكومة الفاسدة لكل بنت من بناتنا سواء كانت شيماء أو غير شيماء؟

من الذي يمنع الحجاب في المدارس والنقاب في الجامعات محاربة لآداب الإسلام، ولإكراه بناتنا على زي الغرب وتبرجه؟

ومن الذي ينشر الرذيلة والانحلال في الإعلام الفاسد الذي يقوده الوزير صفوت الشريف؟ الذي كان مسؤولاً عن وحدة السيطرة في جهاز المخابرات العامة، تلك الوحدة التي كانت مسؤولة عن توريط المستهدفين في أوضاع فاضحة، ثم تحولت إلى إشباع النزوات الشخصية وقدم بسببها صفوت الشريف للمحاكمة في قضية فساد جهاز المخابرات.

وإذا كان صفوت الشريف في عهد عبد الناصر يتحكم في عدة آلات للتصوير، ويتعامل مع حفنة من الساقطين والساقطات، فإن حسني مبارك قد سلطه على كل وسائل الإعلام، ومنحه من الأموال ما يمكن به أن يوظف كافة الساقطين والساقطات في مصر.

ومن الذي يمكن لإسرائيل في بلادنا؟ ومن الذي يحمي بشرطته وأجهزة أمنه سياسة التطبيع التي تستهدف ديننا وأخلاقنا وأجيالنا؟

---

(١٢) جريدة الشعب عدد ١٩٩٤/٢/١٨،ص٧.

بل من الذي يحمي دولة الدعارة والقمار والفساد في مصر تحت اسم تشجيع السياحة؟ تلك الدولة الرهيبة التي تستخدم بنات الفقراء في ممارساتها المنحطة مستغلة عوزهن وفقرهن تحت حماية الشرطة.

هل يمكن أن تكون هذه الحكومة أمينة على بناتنا: شيماء وجيل شيماء؟

إن الحقائق تواجهنا وتطاردنا وتحاصرنا وتقيم حجتها علينا. وإن ديننا وعزتنا وكرامتنا يفرضون علينا — من أجل شيماء وكل شيماء — أن نقضي على هذا الفساد.

١٠- كما قام إخواننا في جماعة الجهاد بإعداد كمين لموكب حسني مبارك على طريق صلاح سالم، ولكنه لم يمر من هذا الطريق في ذهابه لصلاة العيد.

١١- وواكب ذلك محاولة لاغتيال حسني مبارك في مطار سيدي براني قام بها إخوة من الجماعة الإسلامية، ولكنها لم تنجح لاكتشافها قبل التنفيذ.

١٢- وكان من أهم العمليات التي نفذتها الجماعة الإسلامية مقتل اللواء رؤوف خيرت في ٩ إبريل عام ١٩٩٤ م. وكان رؤوف خيرت من أخطر ضباط مباحث أمن الدولة المحاربين للإسلام، وكان يتخذ عدداً من الاحتياطات الأمنية الشديدة منها تغيير مسكنه كل عدة أشهر، وعدم وضع أي حراسة على منزله، وقيادته لسيارته بنفسه في محاولة للظهور بمظهر الشخص العادي الذي لا صلة له بالسلطة، ولكن إخوة الجماعة الإسلامية استطاعوا التوصل إليه، وعند خروجه من بيته وركوبه لسيارته اقترب منه أحد الإخوة المجاهدين وألقى قنبلة يدوية داخل سيارته فقتل على الفور.

١٣- وصعدت الجماعة الإسلامية فهاجمت موكب حسني مبارك في أديس أبابا في صيف ١٩٩٥ م، ولكن الهجوم لم ينجح ونجا حسني مبارك بسبب تعطل إحدى السيارتين المشاركتين في الهجوم.

١٤- وقام إخواننا في جماعة الجهاد بالتخطيط لعمليتين في وقت متقارب واحدة في الخارج لتفجير السفارة المصرية في إسلام آباد في خريف ١٩٩٥ م — وقد ذكرناها آنفاً_ وأخرى في الداخل ضد السياح الإسرائيليين، وعرفت بقضية خان الخليلي.

١٥- وفي يوليو عام ١٩٩٧م أصدرت الجماعة الإسلامية من داخل السجن مبادرة وقف العنف من جانب واحد.

لكن عقب تلك المبادرة قام فريق من إخوة الجماعة الإسلامية بعملية الأقصر ضد السياح الغربيين.

كان ما سبق سرداً موجزاً سريعاً لأهم وقائع العمل الجهادي ضد النظام المصري — من عام ١٩٨٨م حتى عام ١٩٩٧م- متخطين كثيراً من التفاصيل.

ثانياً: المعاني التي أبرزتها العمليات الجهادية ضد النظام المصري

١- هدفت حملة البطش التي تقوم بها الحكومة المصرية منذ اغتيال أنور السادات إلى كسر إرادة الحركة الإسلامية ونواتها الصلبة المتمثلة في الجماعات الجهادية، وقد اتخذت هذه السياسة منحى تصاعدياً خطيراً منذ استلام زكي بدر لوزارة الداخلية، حيث بدأ يتبجح علناً بأن علاج الجماعات الإسلامية هو الضرب في سويداء القلب.

وكان هدف حملة البطش واضحاً ألا وهو زرع اليأس في قلوب الشباب المسلم، وإيهامهم بأن أية مقاومة لا جدوى منها، ولن تؤدي بأصحابها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام لسياسة النظام الداعية إلى التنازل أمام أمريكا وإسرائيل.

وكان السكوت عن الرد على هذه الحملة نتيجته المؤكدة هو فقدان الحركة الإسلامية لثقتها في نفسها، وتراجعها إلى الخلف والانزواء والصمت والعودة إلى عهد الرعب الناصري، وكان هذا التيئيس من جدوى أي مقاومة هو حجر الزاوية في التوسع اليهودي في المنطقة.

إذ إن الأمريكان واليهود من خلفهم أدركوا أن الأمة المسلمة في قلب العالم الإسلامي لن تقبل بوجود إسرائيل ولا هيمنة أمريكا تحت أية مبررات أو حجج، وأدركوا بالتالي أن قمع المقاومة المضادة لهم لن ينجح إلا إذا زرعوا روح اليأس في نفوس المسلمين.

وأن هذا اليأس لا يمكن أن يثمر ثماره إلا عبر حملة من البطش والقمع والتعذيب والقتل تجعل من الحركات الإسلامية عبرة لمن يعتبر، وتحيل كل من يتصدى لسياسة النظام إلى كتلة مهمشة تبث الرعب والقنوط في نفس كل من ينظر إليها.

٢- في مقابل ذلك فإن الرد على هذه الحملة كفيل بأن يفسد كل هذه الخطط ويقلب المائدة على الحكومة.

إن الرد على هذه الحملة الباطشة بالعمليات الجهادية لن يقي الشباب المسلم فقط من اليأس ولكنه أيضاً سيملأ نفوسهم بالأمل والثقة بالنفس بعد الثقة بالله تعالى.

ليس هذا فقط ولكنه سيكشف أيضاً عن ضعف النظام أمام ضربات المجاهدين ويشجع الشباب المسلم على مزيد من الضربات للنظام.

وسيكتشف الشباب المسلم أن النيل من النظام ورجاله ليس أمراً صعباً.

ولا تتوقف ثمرة المقاومة الجهادية على بث الأمل في نفوس الشباب المسلم بل إنها أيضاً توجه نفس السلاح إلى أعوان النظام، فتنال منهم الحرب النفسية وتتحطم معنوياتهم وهم يرون زملاءهم يتساقطون من حولهم.

٣- كما أن تصعيد العمل الجهادي للنيل من الأهداف الأمريكية واليهودية يبعث روح المقاومة بين أفراد الشعب الذي يعتبر اليهود والأمريكان رمزاً بشعاً على التكبر والطغيان.

٤- وبرد المسلمين على النظام الأمريكي اليهودي أصبح معلوماً لهذا المثلث المتحكم في بلادنا أن أي بطش للمسلمين لن يمر بدون ثمن ولا قصاص ولا خسائر، وأن عهد الإرهاب الناصري قد انتهى – بقوة الله وقدرته – إلى غير رجعة، وأن التوسع الصهيوني والسيطرة الأمريكية سيكون ثمنها اليوم – عند الشعب المسلم – غالياً جداً.

٥- نعم قد يستطيع النظام – وخاصة بتحالفه الأمريكي الغربي – أن يضعف من المقاومة الإسلامية ضده في بعض الأحيان، لكن الخط العام والتيار التاريخي السائد هو خط المقاومة وتيار الجهاد.

إن الأمة المسلمة تقاوم اليوم في مصر وفلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها.

لقد أصبحت المقاومة حقيقة ثابتة وواقعاً لا يمكن إنكاره.

ولقد بدأ الصراع وهو مستمر في تصاعده، ولن يتوقف قبل تحرير القدس ومكة والمدينة والقاهرة وجروزني إن شاء الله، وهو ما سنعرض له في الأبواب التالية بإذن الله.

٦- من أجل كل هذا كان لا بد من المقاومة، بل ولا بد من استمرار المقاومة.

إن أي محلل للوضع يستطيع أن يدرك مدى الكوارث التي يمكن أن تقع لو لم يقتل أنور السادات، ولو لم تستمر المقاومة ضد النظام المصري حتى اليوم بعون الله.

٧- وتحليل الوضع السياسي في مصر يظهر أن مصر تتنازعها قوتان: قوة رسمية تتمثل في رئيس الجمهورية وقواته المسلحة وشرطته وأجهزة تعذيبه وأمنه.

وقوة شعبية ضاربة الجذور هي الحركة الإسلامية عامة ونواتها الجهادية الصلبة خاصة.

والقوة الأولى تدعمها أمريكا والغرب وإسرائيل ومعظم الحكام العرب. أما القوة الثانية فتعتمد على الله وحده، ثم على انتشارها الشعبي الواسع وتحالفها مع الحركات الجهادية على مستوى أمة الإسلام كلها من الشيشان شمالاً حتى الصومال جنوباً ومن تركستان الشرقية شرقاً حتى المغرب غرباً.

أما سبب العداء بين القوتين فواضح في غاية الوضوح، ألا وهو إصرار القوة الأولى على:

أ- إقصاء الإسلام عن الحكم وإبعاده عن مناحي الحياة المختلفة بالقوة والبطش والانتخابات المزورة والإعلام الفاسد.

ب- وعلى إباحة البلاد لأعداء الإسلام – الأمريكان واليهود- باتفاقيات الاستسلام، ومعاهدات تحريم أسلحة الدمار الشامل علينا فقط، وبنزع سلاح سيناء، والاحتلال الأمريكي المباشر لأرضنا، والمناورات المشتركة.

إنها معركة عقائد، وصراع وجود، وحرب لا هدنة فيها.

الباب التاسع
حصاد المرحلة

{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [آل عمران : ١٤١]

لكنني أسأل الرحمن المغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
وطعنة بيدي حران مجهزة ... بحرية تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

(عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- عند خروجه إلى غزوة مؤتة)

* * *

والآن بعد هذا الاستعراض الموجز السريع لتاريخ الحركة الإسلامية المجاهدة في مصر يمكننا أن نقف نلتفت فيها إلى هذا الماضي القريب لنرى ما هو حصاد هذه المرحلة التي استمرت من عام ١٩٦٦م حتى عام ٢٠٠٠م تقريباً؟

وإجابة على هذا السؤال نقول إن حصاد هذه المرحلة يمكن تلخيصه فيما يأتي:

١- **الانتشار**: لاشك أن الحركة الإسلامية المجاهدة قد حققت خلال تلك الفترة انتشاراً واسعاً متزايداً وخاصة بين صفوف الشباب في مصر، وإن هذا الانتشار – بفضل الله – في تنام وتزايد.

٢- **الصدام**: اتسمت الحركة الإسلامية المجاهدة بطابع الهجوم على أعداء الإسلام والمقاومة حتى آخر رمق. وما الأحداث الكبار التي وقعت ابتداء من حادثة الكلية الفنية العسكرية في عام ١٩٧٤م إلى حادثة الأقصر في عام ١٩٩٧م إلا دليل على ذلك.

٣- **البذل الضخم المتواصل**: قدمت الحركة الإسلامية المجاهدة – حتى الآن – عشرات الآلاف من المعتقلين والمعذبين والمصابين وآلاف القتلى في صراعها المستمر مع النظام في مصر، وأثبتت بذلك أمرين:

الأول: أنها قوة ذات جذور عميقة وروافد خصبة، فرغم كل هذه الضربات والتضحيات – التي لا يمكن أن تصمد لها أية قوة سياسية أخرى في مصر – لا زالت الحركة الإسلامية المجاهدة في الميدان تواصل العمل والإعداد في سبيل الله.

الثاني: أنها لا تزال تمثل الخطر الأول على أمن النظام، والدليل على ذلك استمرار قوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية وقوانين مكافحة الإرهاب دون أن يتوقع انتهاء العمل بها في المستقبل القريب، ناهيك عن السجون الممتلئة بقرابة ستين ألفاً من الشباب المسلم مضى على بعضهم قرابة عشرين عاماً في السجون دون توجيه تهمه له.

٤- **التحالف الدولي والمطاردة الدولية**: لم يجد النظام المصري بداً من أن يسعى لتحويل المعركة ضد الحركة الإسلامية المجاهدة إلى معركة دولية، بعد أن اقتنعت أمريكا أن النظام المصري لا يستطيع أن يصمد وحده أمام هذه الحملة الجهادية، واقتنعت أيضاً أن هذه الروح الجهادية ستقلب – على الأرجح – الأمور في المنطقة رأساً على عقب وتطرد أمريكا منها، وحينئذ سيقع الزلزال الذي يرتجف الغرب من احتمال حدوثه ألا وهو، قيام دولة الخلافة الإسلامية في مصر، تلك الدولة التي إن قدر لها – إن شاء الله – أن تقوم فستصبح – بما تمثله مصر من ثقل في قلب العالم الإسلامي- قادرة على أن تقود العالم الإسلامي في جهاده ضد الغرب، ومرشحة لأن يلتف حولها مسلمو العالم كله، وحينئذ سيدور التاريخ – إن شاء الله – دورة جديدة في الاتجاه المعاكس ضد إمبراطورية أمريكا وحكومة اليهود العالمية.

٥- **استمرار المعركة**: يلاحظ أي راصد لتطور الحركة الإسلامية المجاهدة أن معركتها مع النظام لا زالت مستمرة حتى اليوم، وأن المعركة لم تتوقف طوال الستة وثلاثين عاماً الفائتة، فالحركة الإسلامية المجاهدة إما أنها في هجوم أو إعداد لهجوم.

ويحاول النظام وإعلامه – عبثاً – أن يقنعوا الناس في الداخل والخارج أن المعركة قد انتهت، رغم استمرار حالة الطوارئ وميزانيات الأمن الباهظة التي تثبت أن النظام لا يزال في حالة خوف وترقب وحذر بالغ بسبب استمرار المعركة، وأن الموقف لا زال قابلاً للانفجار في أية لحظة، والنظام متأكد أن الحركة الإسلامية المجاهدة تفرخ أجيالاً جديدة يستعصي على أجهزة الأمن القضاء عليها.

ونظام حسني مبارك قد غير حتى الآن ستة وزراء للداخلية يصرح كل منهم بأنه سيقضي على الإرهاب ثم يعزل ويأتي من بعده فيكرر نفس التصريحات!!.

٦- **إيضاح الفكر والمنهج**: استطاعت الحركة الإسلامية المجاهدة – إلى حد كبير- أن توضح المعالم الأساسية لمنهجها مستندة على أصول قوية من أدلة القرآن والسنة وإجماعات الفقهاء المعتبرين، مما وفر لها قاعدة متينة رفعت فوقها رايتها التي تجتذب كل يوم – بفضل الله تعالى- أنصاراً جدداً.

٧- **ضعف التخطيط والإعداد للأعمال الجهادية**: لا بد لنا أن نعترف أن التخطيط والإعداد الجيدين كانا غائبين في كثير من الأعمال الجهادية الكبرى، ففي حادثة الفنية العسكرية وفي أحداث أسيوط كان القصور في التخطيط ظاهراً.

وإذا كان التخطيط في قتل أنور السادات وهروب عصام القمري واغتيال المحجوب والهجوم على مبارك في أديس أبابا ونسف السفارة المصرية في إسلام آباد جيداً، إلا أن الحركة الإسلامية الجهادية عليها أن تتخلص من طابع التعجل والعشوائية الذي لا زال مسيطراً على كثير من أعمالها.

٨- **ضعف الخطاب الشعبي**: لا زال خطاب الحركة الإسلامية المجاهدة في الأعم الأغلب خطاباً للصفوة والمتخصصين، دون أن يكون خطاباً مفهوماً للعامة والجماهير، وهذه ثغرة لا بد للحركة الجهادية أن تسعى لسدها بكل جد كما سنفصل إن شاء الله.

فإذا أضيف إلى ما سبق الحصار الإعلامي المفروض على خطاب الحركة المجاهدة، ثم حملة التضليل والافتراء التي تقوم بها أجهزة الإعلام الحكومي لاتضح لنا مدى الفجوة في التفاهم بين الحركة المجاهدة وعامة الشعب.

٩- **نكول بعض القيادات عن الاستمرار في المواجهة**: ولعل أكبر مثال على ذلك هو مبادرة وقف العمل العسكري التي أطلقتها قيادات الجماعة الإسلامية في سجن ليمان طره، وهو ما سنتعرض له تفصيلاً إن شاء الله.

١٠- **المحصلة**: هل فشلت الحركة الجهادية أم نجحت خلال الستة وثلاثين عاماً الماضية؟

الجواب:

أ- لا بد أن نعترف أن هدف الحركة الإسلامية وهو قيام الحكومة الإسلامية في مصر لم يتحقق حتى الآن.

ب- ولكن هذا الهدف لم تضع له الحركة الإسلامية المجاهدة توقيتاً معيناً للوصول إليه، والأهم من ذلك أنه هدف قد يستغرق تحقيقه عدة أجيال، فالصليبيون في الشام وفلسطين خرجوا بعد قرنين من الجهاد المتصل، وكانت الأمة الإسلامية لها سلاطين مجاهدون وجيوش معدة منظمة، تقودها أئمة أعلام متبعون كالعز بن عبد السلام والنووي وابن تيميه (رحمة الله) عليهم أجمعين، ومع ذلك لم يخرج الصليبيون في ثلاثين أو خمسين عاماً.

والانجليز احتلوا مصر سبعين عاماً، والفرنسيون احتلوا الجزائر مائة وعشرين عاماً.

ج- والذي أراه واضحاً أن الحركة الإسلامية المجاهدة قد قطعت شوطاً طويلاً في طريق النصر:

(١) فهي تمتلك منهجاً فكرياً واضحاً يستند على أسس شرعية ثابتة وحقائق واقعية ملموسة.

(٢) كما أنها استطاعت أن تنشر بين الشباب قضايا كانت غائبة عن فكر جماهير الأمة المسلمة مثل حاكمية الشريعة وردة الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله ووجوب قتال النظام وأعوانه ووجوب الخروج على الحكام الموالين لأعداء الإسلام.

(٣) كما كشفت الحركة الجهادية عن الصلة الوثيقة بين النظام الدولي والنظام المصري في تحالفهما ضد الإسلام.

(٤) ولم تكتف الحركة الجهادية بالطرح النظري لهذه القضايا بل طبقتها في أسلوب هجومي هز أركان النظام عدة مرات. واستطاعت قتل رئيس الجمهورية السابق، ومطاردة رئيس الجمهورية الحالي في الداخل والخارج.

(٥) ونتيجة لما سبق فقد كان للحركة الجهادية تأثيرها القوي على الشباب المسلم فكراً وعملاً، مما أدى إلى نشر روح الجهاد بين جماهير غفيرة من شباب مصر.

ليس هذا فحسب بل لقد أثرت الحركة المجاهدة على شرائح عريضة من شعب مصر، فعلى سبيل المثال ذكر لي أحد الإخوة المحاكمين في قضية اغتيال السادات أن أحد المحامين اقترب من أقفاص المتهمين وقال لهم بدهشة وحماس: **من أنتم ومن أين جئتم؟**، فقد أحيا الشباب المجاهد – بقتله السادات وما تلاه من أعمال جهادية- الأمل في قلوب أمة طال يأسها.

(٦) بل **إن معظم التيارات الإسلامية تؤمن الآن: ألا حل إلا بالجهاد، حتى وإن سكتت عن ذلك أو أعلنت خلافه!!**

(٧) والمراقب للحركة الإسلامية المجاهدة يستطيع أن يدرك الفرق الواضح في حجم الحركة وفكرها وازدياد حركتها بين بدايات الحركة وواقعها اليوم.

(٨) ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الحركة الجهادية في نماء وتقدم على المستوى العام، وإن أصابها شيء من الفتور أو التراجع على المستوى الخاص نظراً لحملات البطش أو فترات الحصار.

ولذا فعلى الحركة الإسلامية المجاهدة ألا تتوقف عن المقاومة، وأن تشرك الأمة كلها معها في معركتها.

الجزء الثاني

نظرة على الواقع

{وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً } [النساء : ١٠٤]

تمرست بالآفات حتى تركتها　　　　تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

(أبو الطيب المتنبي)

*　*　*

رأينا أنه لنلقى نظرة على واقع الحركة الجهادية في مصر فلا بد لنا أن نبدأ بنظرة أوسع على منطقة قلب العالم الإسلامي، لذا سنقسم الكلام في هذا الجزء إلى بابين:

الباب الأول: حول أعداء الإسلام.
والباب الثاني: حول التيارات الإسلامية.

الباب الأول

أعداء الإسلام

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} [الأحزاب :٢٢]

ألا أبلـــغ أبـــا ســـفيان عـــني   مهلهلـــة فقـــد بـــرح الخفـــاء
فـــإن ســـيوفنا تركتـــك عبـــداً   وعبـــد الـــدار ســـادتها الإمـــاء
فـــإن أبي ووالـــده وعرضـــي   لعـــرض محمـــد مـــنكم وقـــاء

(حسان بن ثابت رضي الله عنه)

*   *   *

ونقسم الكلام فيه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأمريكان.
الفصل الثاني: اليهود.
الفصل الثالث: الأنظمة الموالية لهما.

الفصل الأول
الأمريكان

وجاهـــل مـــده في جهلـــه ضـــحكي	حـــتى أتتـــه يـــد فراســـة وفـــم
إذا رأيـــت نيـــوب الليـــث بـــارزة	فـــلا تظـــنن أن الليـــث يبتســـم

(أبو الطيب المتنبي)

* * *

تبرز في سياسة أمريكا تجاه الإسلام معالم عدة منها:

١- دور أمريكا الأساسي في إنشاء ودعم إسرائيل، وهو ما سنتعرض له بشيء من التفصيل في الفصل التالي.

٢- الاحتلال الأمريكي السافر للأرض الإسلامية.

ففيما عدا إسرائيل التي تعد قاعدة أمريكية ضخمة، لم تلجأ أمريكا – في الفترة السابقة – إلى الوجود العسكري الظاهر الكثيف! لإدارة مصالحها في الشرق الأوسط مكتفية بدور وكلائها في المنطقة.

إلى أن وقعت حرب الخليج الثانية فاندفعت أمريكا بأساطيلها وقواتها البرية والجوية إلى المنطقة لتشرف على إدارة مصالحها بنفسها وتحت فوهات مدافعها.

وبهذا الوجود العسكري الأمريكي الظاهر، ظهرت حقائق جديدة منها:

أ- انتقال أمريكا من دور محرك الأحداث من وراء الستار إلى دور الخصم المباشر في معركتها مع المسلمين.

فسواء في الصراع العربي الإسرائيلي أو إدارة الشؤون الداخلية للدول التابعة لأمريكا، كانت الإدارة الأمريكية تحرص دائماً على أن تظهر بدور المحايد أو على أقل تقدير بمظهر الخصم غير المباشر الذي يدعم فقط – على زعمها – قيم الديمقراطية والحرية ومصالح الغرب.

أما الآن فقد برز دور القوة الأمريكية واضحاً في ضرب العراق وفي حماية البترول بل وفي إدارة الشؤون الأمنية في مصر، حيث يقع مكتب المباحث الفيدرالية الأمريكية في القاهرة، حيث يوجد مكتب للمخابرات الأمريكية في مبنى إدارة مباحث أمن الدولة يتلقى يومياً تقارير عن عدد المعتقلين والمفرج عنهم.

ناهيك عن القواعد الأمريكية في مطار غرب القاهرة ووادي قنا ثم قاعدة رأس بناس البحرية حيث يتمركز قرابة عشرين ألفاً من الجنود الأمريكان.

فإذا أضفت إلى ذلك المناورات المشتركة مثل مناورات النجم الساطع التي تتدرب فيها أمريكا وحلفاؤها على غزو مصر من ساحلها الغربي للوصول إلى القاهرة لمهاجمة أي نظام إسلامي يصل للحكم فيها لأدركت مدى بروز هذا الدور المباشر.

ففي المناورات الأخيرة – المسماة بمناورات النجم الساطع ٩٩ – شاركت ٩ دول بالإضافة إلى أمريكا ومصر، كما شارك مراقبون من ٣٣ دولة. وكان حجم القوات المشاركة ٧٣ ألف جندي و ٢١٠ طائرة و ٥٥ سفينة بالإضافة لحاملة الطائرات كنيدي مع مجموعة القتال البحرية والجوية التابعة لها.

ووصفت تلك المناورة بأنها أكبر مناورة عسكرية في العالم. كما وصفها الجنرال هيرفيه – قائد القوات الفرنسية – في المناورات بأنها: "أهم تمارين متعددة الجنسيات في العالم".(١٣)

وكان هدف المناورات –كما أسلفنا – هو التدريب على إنزال القوات الغازية على ساحل مصر الغربي ثم التقدم جنوباً حتى القاهرة لاحتلالها، أي نفس طريق نابليون بونابرت في حملته لغزو مصر.

أي أن القوات المصرية لا تتدرب – الآن – على صد الهجوم من إسرائيل المعادية على حدود مصر، وإنما تتدرب على تحرير عاصمتها مستعينة بأعداء الإسلام الخارجيين، وهو نفس سلوك الخديوي توفيق مع الإنكليز عند غزوهم لمصر.

وبعبارة أخرى لم يعد عدو النظام الحاكم في مصر هو عدو مصر – التقليدي – إسرائيل – على حدود مصر الشرقية، وإنما أصبح عدو النظام هو الشعب المسلم في القاهرة.

---

(١٣) الشرق الأوسط: عدد السبت ١٤ رجب ١٤٢٠هـ ١٩٩٩/١٠/٢٣ م.

واكتفاء الأمريكان بهذا القدر من الظهور وإيكال بقية العبء في حماية مصالحهم في مصر إلى الحكومة المصرية له سببان:

أولهما: أن هذا العبء فيه كثير من الأعمال القذرة التي يستنكف الأمريكان عن القيام بها طالما وجدوا من يخدمهم فيها.

وثانيهما: اتساع هذا العبء عن قدرات الأمريكان، الذين يلقون بجزء ضخم من عبء حماية مصالحهم على عملائهم.

ولكن إذا أحس الأمريكان بضرورة توليهم مباشرة لتلك الأعباء فلن يترددوا في ذلك.

ب- وسبب انتقال الأمريكان من دور محرك الأحداث من خلف الستار إلى دور المدافع مباشرة عن مصالحهم له سببان:

أولهما: عجز الوكلاء - في نظر أمريكا - عن حماية مصالحها مثلما أظهرت حرب الخليج التي ظهرت فيها فضيحة العجز العسكري السعودي والخليجي رغم الميزانيات الفلكية التي تنفق على الدفاع في تلك الكيانات.

ومثل عجز الحكومة المصرية حتى الآن عن إخماد المقاومة الإسلامية، واستمرارها في فرض حالة الطوارئ لأكثر من عشرين سنة، وتغيير حسني مبارك لستة وزراء داخلية لفشلهم في كبح المقاومة الإسلامية المتصاعدة، حتى أنه اضطر إلى توبيخ آخر المعزولين - حسن الألفي - أمام عدسات الإعلام حتى يرضي الحكومات الغربية بعد حادثة الأقصر.

وثانيهما: تصاعد الأحداث في المنطقة إلى درجة اضطرت أمريكا إلى أن تمارس الضغط بنفسها وقواها وأسلحتها وأجهزة أمنها.

فتنامي الحركة الإسلامية وزيادة المقاومة للوجود الصهيوني ولسياسات الاستسلام له بلغت من القوة والحدة لدرجة رأت عندها أمريكا أن وكلاءها ليسوا فقط عاجزين رغم كل المساعدات التي تقدم لهم ولكن خصمهم أيضاً قد بلغ من القوة درجة لابد من التصدي لها بالقوة العسكرية المباشرة المستعدة والمتمركزة في ميدان الصراع.

ج- وهذا الوجود العسكري الأمريكي المكشوف يمثل خطوة جديدة على طريق التورط في سياسة (الكبت بالقوة) التي اختارتها أمريكا في المنطقة.

فأمريكا –كما أسلفنا – أدركت أن إقناع الأمة المسلمة بقبول وجود إسرائيل وتوسعها لإقامة إسرائيل الكبرى، وإقناعها بالوجود الاحتلالي للقوات الأمريكية واستمرار نهب أمريكا لثروات المسلمين، وإقناعها بالتخلي من المطالبة بتطبيق أحكام الإسلام يعد من المستحيلات.

وأدركت أمريكا ومن ورائها الحكومة اليهودية العالمية أن الإسلام هو المطلب الشعبي المجمع عليه لشعوب منطقة قلب العالم الإسلامي، وأنه لا سبيل للالتقاء في منتصف الطريق حول هذه القضايا، لذا اختارت أمريكا أن تفرض إرادتها بالقوة والبطش والتزوير والإعلام المضلل الفاسد عبر الحكومات التابعة لها، ثم أضافت إلى ذلك الوجود العسكري المباشر في المنطقة.

وهذه السياسة – مهما طالت – سياسة قصيرة الأجل لابد أن تتسبب في انفجارات متتالية.

ولكن ما هو البديل لدى أمريكا وإسرائيل؟

إن أي سماح للحركة الإسلامية ببعض من الحرية سيزلزل أركان النظم الموالية لأمريكا.

لذا فلتكن سياسة (الكبت بالقوة) وسد فوهة البركان هي السياسة المختارة، على أمل أن فرض الأمر الواقع قد يحدث تغييراً نفسياً لدى الشعوب، وتنشأ أجيال جديدة تنسى عقيدتها المقصاة وحقوقها المسلوبة.

أضف إلى ذلك أن سياسة فرض الأمر الواقع بالقوة تسعى إلى فرض أوضاع جديدة على الأرض المسلمة، يكون من العسير على أي تحرك إسلامي يصل للحكم في مصر أو ما حولها من البلاد أن يغيرها إلا بمجهود جبار خاصة في بداية حكمه مما يوفر ضماناً مستقبلياً لأمن إسرائيل.

ولكن التاريخ يكذب كل ذلك. فالصليبيون مكثوا في الشام مائتي عام ثم رحلوا رغم أنهم كانوا نموذجاً للاحتلال الاستيطاني مثل إسرائيل اليوم، والشيوعية ذهبت إلى متحف التاريخ باللعنات بعد سبعين عاماً من القهر وطمس الهوية وترحيل الشعوب.

د- وهنا تبرز أهمية استمرار المقاومة وعدم التراجع أمام المخطط الأمريكي الصهيوني حتى لا يحقق أهدافه وحتى تبقى قضية الإسلام حية في أفئدة أبناء الأمة.

إن استمرار المقاومة يبقي البركان في حالة غليان مستمر وفي حالة استعداد للانفجار عند أقل استفزاز.

واستمرار المقاومة ينقل الغضب الشعبي في الأمة من جيل إلى جيل فيظل الثأر حياً في النفوس.

أما استشراء مفاهيم التصالح والاستكانة والرضا بالواقع فإنه قد ينقل ميراثاً من اليأس والركون إلى الاستسلام من جيلنا إلى أبنائنا، **وتضيع في أرضنا أندلس جديدة**.

وهكذا إذا سقطت شهيداً دفاعاً عن الإسلام، فسيهب ولدي ليأخذ بثأري، أما إذا انتهيت سياسياً أجادل الحكومات حول بعض الحلول الجزئية فما الذي سيحرك ولدي ليمتشق سلاحي الذي بعته في سوق المساومات.

وهذه المقاومة قبل كل ذلك؛ هي الفريضة الشرعية، فإن فقهاء الإسلام قد أجمعوا على أن العدو إذا نزل بدار الإسلام صار دفعه فرضاً عينياً على كل مسلم كما سنفصل إن شاء الله.

٣- المطاردة الدولية:

استطاعت أمريكا بتفردها بالتفوق العسكري بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أن تفرض إرادتها على كثير من الحكومات، وكان من نتائج هذه السيطرة فرض الاتفاقات الأمنية على كثير من البلاد، وبذلك اتسع نفوذ الحكومات التابعة لها -كالحكومة المصرية- في مطاردة المجاهدين في كثير من البلدان، ولا شك أن هذا قد أثر على مرونة الحركة الجهادية، لكنه تحد جديد واجهته الحركة الجهادية بما يكبحه وهو إدخال أمريكا كهدف في المعركة كما سنرى بإذن الله.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى مؤتمر شرم الشيخ الذي عقد في مارس ١٩٩٦م وحضرته الدول العربية - فيما عدا السودان والعراق وسوريا ولبنان- مع أمريكا وروسيا والعديد من الدول الغربية، للاتفاق على تأمين إسرائيل من هجمات المجاهدين وكان المنظر في غاية الإهانة والإذلال ولكن كما قال المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

وخرج المؤتمر بقرارات علنية واتفاقات سرية تدور حول التعاون الأمني لخدمة أمن إسرائيل.

وبرعاية أمريكا وتوجيهها انعقدت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب، وانتهت إلى توقيع اتفاقية مكافحة الإرهاب التي يضيفون إليها كل عام قيداً جديداً.

ولم تكتف أمريكا بالاتفاقات والمؤتمرات فقط بل إنها حركت **منظمتها (هيئة الأمم المتحدة)** لاستصدار قرار بفرض العقوبات الاقتصادية على أفغانستان لامتناعها عن تسليم من تطلبهم أمريكا وعلى رأسهم الشيخ/ أسامة بن لادن.

٤- التغاضي الأمريكي عن حملة الروس على الشيشان:

واجهت أمريكا في التسعينيات ظاهرة جديدة مثلت تحدياً عنيفاً لسلطانها وكبريائها؛ وهي ظهور دولتين إسلاميتين حررتا أرضهما تحت شعار الجهاد في سبيل الله ضد الكفار المحتلين لأراضي المسلمين.

وهاتان الدولتان هما أفغانستان والشيشان، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن هاتين الدولتين الناشئتين أصبحتا موئل ومأوى المهاجرين والمجاهدين من أنحاء العالم الإسلامي أو من تسميهم أمريكا بالأفغان العرب أو الأصوليين أو الإرهابيين ... الخ.

ومثل تحدي الإمارة الإسلامية الأفغانية – تحت إمارة أمير المؤمنين الملا محمد عمر المجاهد – لطلب أمريكا بتسليم أسامة بن لادن ورفاقه، ثم استمرارها في التحدي والثبات على موقفها بعد ضرب الصواريخ الأمريكية للأراضي الأفغانية تحدياً لم تستطع أمريكا استيعابه ولا التكيف معه، ولكن فشل غارة الصواريخ الأمريكية في تحقيق أهدافها وعدم تعاون الجارين الأساسيين لأفغانستان: باكستان وإيران في الضغط على أفغانستان لظروف إقليمية متشابكة جعل أمريكا في وضع في غاية الحرج.

فإما أن تصعد من مواجهتها مع أفغانستان وتتورط عسكرياً في حرب معها وهي تعرف مسبقاً نتيجة غزو أفغانستان عبر التاريخ، وما تحطم الاتحاد السوفيتي على جبال أفغانستان عنها ببعيد.

وإما أن تتراجع وترضخ لامتناع أفغانستان عن تسليم أسامة بن لادن ورفاقه.

وفي نفس الوقت شكل تحدي الشيشان المجاهدين لروسيا وإصرارهم على تحرير القفقاز المسلم وإكمال جهاد الإمام شامل – رحمة الله عليه – ضد روسيا القيصرية خطراً كبيراً على نفوذ أمريكا ومصالحها:

أ- فالقفقاز على بحر من البترول لا يقل في توقعات إنتاجه عن بترول الخليج العربي.

ب- ونفوذ أمريكا في وسط أسيا في تزايد مستمر في صورة القواعد العسكرية ومحطات التجسس وشركات البترول والمناورات المشتركة.

ج- وتحرير القفقاز سيشكل بؤرة جهادية (أو أصولية كما تسميها أمريكا) تؤوي آلاف المجاهدين المسلمين من أركان العالم الإسلامي وخاصة من العرب، مما يشكل تهديداً لأمريكا يتمثل في دعم وتقوية الحركة الجهادية على مستوى العالم الإسلامي.

د- ووصول المجاهدين من الشيشان والقفقاز إلى سواحل بحر قزوين الغني بالبترول يجعل بينهم وبين أفغانستان جمهورية تركمنستان المحايدة فقط مما سيشكل حزاماً إسلامياً مجاهداً جنوب روسيا متصلاً شرقاً مع باكستان – التي تموج بحركات الشباب المجاهد في كشمير – وجنوباً وغرباً مع إيران وتركيا المتعاطفين مع مسلمي وسط أسيا، الأمر الذي سيؤدي إلى كسر الحصار حول القفقاز المسلم واتصاله بالعالم الإسلامي عامة والحركات المجاهدة خاصة.

هـ- كما أن تحرير القفقاز المسلم سيؤدي إلى تفتت روسيا الفيدرالية، وإلى تصاعد حركات الجهاد الموجودة فعلاً في جمهوريتي أوزبكستان وتاجيكسان اللتين تدعمهما روسيا ضد تلك الحركات.

وتفتت روسيا الفيدرالية على صخرة الجهاد الإسلامي بأيدي مسلمي القفقاز ووسط أسيا سيسقط حليفاً أساسياً لأمريكا في مواجهة الصحوة الجهادية الإسلامية.

من أجل كل ذلك اختارت أمريكا أن تبدأ بسحق الشيشان بالتمويل الغربي للجيش الروسي حتى إذا ما نجحت هذه الحملة الوحشية على مجاهدي الشيشان، توجهت الحملة جنوباً إلى أفغانستان إما بواسطة عملاء أمريكا من دول الاتحاد السوفيتي السابق بواسطة روسيا أو بمشاركة قوات أمريكية تحت دعوى القضاء على الإرهاب وتجارة المخدرات ودعوى تحرير المرأة.

وبذلك تكون أمريكا قد قضت على بؤرتي المقاومة الباقيتين ضدها في العالم الإسلامي.

ومن أجل ذلك أيضاً سكتت أمريكا عن المجازر الوحشية وحمم النيران التي تصب على جمهورية الشيشان الصغيرة، تلك المجازر التي لم يشهد لها العالم مثيلاً منذ الحرب العالمية الثانية، بل واعتبرت أن الأمر مشكلة داخلية روسية مع بعض الاستنكار والتذمر ذراً للرماد في العيون.

وأكد ذلك تصريحات كلينتون المتعددة بأن قطع الدعم عن روسيا لن يكون في مصلحة أمريكا.

وتجدر الإشارة هنا إلى التعاون اليهودي الروسي في الحملة ضد الشيشان، الأمر الذي تأكد بوقوع خبراء أمنيين يهود أسرى في يد المجاهدين الشيشان.

أي أن أمريكا التي تحاربنا في مصر وتدعم إسرائيل في قلب العالم الإسلامي هي نفسها التي تقود المعركة ضدنا في الشيشان والقفقاز.

٥- ولا يفوتنا هنا أن نتعرض لجريمة حصار الشعب العراقي التي تتزعمها أمريكا بدعوى الضغط على صدام حسين.

هذا الحصار الذي يدفع ثمنه الأطفال والمرضى والنساء والكهول وبسبب هذا الحصار الإجرامي لقي مليون طفل عراقي حتفهم حتى الآن حيث يموت في العراق طفل كل ست دقائق.

٦- وفي الصومال قتل ثلاثة عشر ألف صومالي في سبيل ما تزعمه أمريكا من حملتها لتوزيع الغذاء في الصومال، وارتكبت باسم توزيع الغذاء الفظائع البشعة ضد الصوماليين، والتي كشفت وقائعها فيما بعد والتي تضمنت شي المعتقلين وانتهاك أعراضهم على أيدي قوات التحالف الدولي التي جاءت لإنقاذ الصومال!!

٧- وفي أفغانستان استهانت أمريكا علانية بالشريعة الإسلامية حينما دعتها إمارة أفغانستان الإسلامية إلى تقديم أدلتها ضد الشيخ / أسامة بن لادن إلى المحكمة الشرعية.

فقد كان رد أمريكا: إنها لا تعترف بمحاكم الشريعة وأنها تطالب بتسليم أسامة بن لادن إلى بلد يمكن أن يواجه فيه العدالة!!

هذه هي أمريكا ... !!

الفصل الثاني

اليهــود

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ}

حيفـا تـئن فهـل سمعـت أنـين حيفـا — وشممـت عـن بعـد شـذى الليمـون صـيفا
تبكـي فـإن لمحـت وراء الأفـق طيفـا — سـألته عـن يـوم الخـلاص مـتى وكيفـا

(هاشم الرفاعي)

* * *

في استعراضنا لواقع الحركة الجهادية في مصر رأينا أنه لا بد لنا أن نعرض للصراع اليهودي الإسلامي بإيجاز، ونحن هنا نتناول – في هذا الفصل – بعض معالمه البارزة:

أ- إنشاء إسرائيل هدف للغرب منذ أكثر من قرنين:

فقد سعت دول الغرب إلى إنشاء إسرائيل منذ أكثر من قرنين من الزمان، واعتبرت وجودها في المنطقة العربية ضمانة أساسية لتحقيق المصالح الغربية باعتبارها تفصل بين مصر والشام، وهما الإقليمان الكبيران اللذان شكلا – لقرون عديدة – حائط الصمود ضد الغزوات الصليبية والتتارية، ولا زالا حتى اليوم يشكلان هذا الثقل البشري في قلب العالم الإسلامي.

أ- أما فرنسا فقد حرصت منذ نهاية القرن الثامن عشر على إنشاء إسرائيل ومن أمثلة ذلك:

(١) حينما توجه "نابليون بونابرت" إلى الشام – بعد غزوه لمصر – ليفتحها، واستعصت عليه عكا في عام ١٧٩٩م، أصدر نداءه الشهير إلى اليهود في كل مكان، وجرى توزيع هذا البيان في فلسطين وفي الوقت نفسه في فرنسا وإيطاليا والإمارات الألمانية وأسبانيا، مما يشير إلى أن القضية أكبر بكثير من ظرف محلي واجهه نابليون حينما استعصت عليه أسوار القدس. وكان النداء يقول:

" من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذي لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين – وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل اشعياء ويوئيل – قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله (كلمة إسرائيل في اللغة العبرية تعني أسير الله أو عبد الله) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه. إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حسب أهوائهم.

لا بد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألفي سنة.

إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز.

إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به، ويمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه، قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها.

يا ورثة فلسطين الشرعيين..

إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها، تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء، انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم القوي شرفاً لأسبرطة وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة.

سارعوا ! إن هذه هي اللحظة المناسبة – التي قد لا تتكرر لآلاف السنين – للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك التي سلبت منكم لآلاف السنين

وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة إلهكم يهواه، طبقاً لعقيدتكم، وافعلوا ذلك في العلن، وافعلوه إلى البد.

بونابرت"

وإذا كان نابليون قد أصدر نداء إلى المسلمين بمصر أنه الصديق الصدوق لخليفة المسلمين العثماني، وأنه الحريص على تثبيت سلطانه المهدد من المماليك في الداخل والملوك المسيحيين في الخارج. ووصل به الحال إلى ادعائه الإسلام، وإذا كان نداؤه للمسلمين خدعة فإن نداءه إلى اليهود كان شيئاً مختلفاً.

لقد كان نداؤه إلى المسلمين في مصر نداءً إلى كتلة بشرية عددهم في ذلك الوقت يفوق المليونين، وفي استطاعتهم إذا قاموا أن يجعلوا مصر مصيدة لجيوشه وليس رأس جسر، وهو لهذا مستعد لخديعتهم وللكذب عليهم.

أما نداؤه لليهود فهو حالة مختلفة لأن اليهود في فلسطين في ذلك الوقت لم يزد عددهم على ألفين.(١٤)

لقد كان هدف نابليون واضحاً:

– فقد أراد غزو مصر ومنها إلى الشام.

– ثم هناك بين مصر والشام يزرع هذا الحاجز اليهودي المتحالف مع فرنسا.

– وبذلك تضمن فرنسا عدم اتصال مصر بالشام، وتضمن قصب السبق في إرث الدولة العثمانية حينما يحين موعد تقسيمه.

– وتضمن السيطرة على عقدة المواصلات في العالم.

–وتضمن فوق ذلك عدم قيام دولة إسلامية في المنطقة الخطيرة التي هزم المسلمون فيها الصليبيين مرتين: أولاهما إبان الفتح الإسلامي، وثانيهما لما ردوا الحملات الصليبية إلى أوروبا مدحورة مهزومة.

(١٤) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية – الطبعة الثالثة إبريل ١٩٩٦ –دار الشروق– القاهرة– ص ٣٠ إلى ٣٣.

(٢) وعندما أصبح نابليون إمبراطورا لفرنسا دعا إلى عقد مجمع يهودي سنة ١٨٠٧م، يحضره كل يهود أوروبا ممثلين في رؤوس طوائفهم، إلى جانب مشاهير حاخاماتهم، ليلم "شمل الأمة اليهودية" على حد قوله، وكان أحد قرارات المجمع قراراً نص على: "ضرورة إيقاظ وعى اليهود إلى حاجتهم إلى التدريب العسكري لكي يتمكنوا من أداء واجبهم المقدس الذي يحتاج إليه دينهم ".[١٥]

ب- أما بريطانيا فقد سعت بكل ما تستطيع إلى إنشاء دولة إسرائيل إلى أن حمّلت هذه الأمانة للولايات المتحدة الأمريكية.

(١) ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر، وخصوصاً في عهد بالمرستون رئيس وزرائها تبنت بريطانيا المسألة اليهودية. وقد ذكر الزعيم الصهيوني ناحوم سولوكوف- رفيق هرتزل – أسباب تأييد بريطانيا للمشروع الصهيوني في فلسطين فقال في مقدمة مذكراته:" إنني سألت نفسي كثيراً عن أسباب تأييد إنجلترا لحركتنا وتوصلت إلى أربعة أسباب أرتبها كما يلي:

١- الطبع الإنجيلي للشعب الإنجليزي.

٢- تأثير الإنجيل في الأدب الإنجليزي.

٣- محبة فلسطين عند الإنجليز.

٤- السياسة الإنجليزية في الشرق الأدنى طوال القرن التاسع عشر".

وكانت أهم مصالح إنجلترا في ذلك الوقت هي ضرب محمد علي بإخراجه من سوريا – واحتوائه في مصر – وخلق حاجز عازل بين مصر وسوريا.

وفي نهاية سنة ١٨٣٨م كتب قائد الجيوش البريطانية – وقاهر نابليون – اللورد ولنجتون تقريراً إلى اللورد بالمرستون يقول فيه ملخصاً أحوال الشرق الأدنى:"في هذا العام نشبت أزمة خطيرة بين مصر وتركيا نتيجة لصراعات وتناقضات سببها والي مصر.

فقد استطاع محمد علي في عشر سنوات أن ينشئ أسطولاً وجيشاً يفوقان كل ما يحتاجه للضرورات الشرعية لحكومته.

---

(١٥) المصدر السابق.

فقد جند مائة ألف رجل وحشدهم ضد سيده الخليفة العثماني وأعلن أمام قناصل الدول في مصر أنه يريد إعلان استقلال مصر، كما أنه يطالب بضم سوريا. ونجح محمد علي فعلاً في أن يشن حرباً ناجحة ضد الخلافة. وتقدم بجيشه حتى نصيبين على الحدود التركية السورية.

ولم تقتصر قوة محمد علي على جيشه البري، وإنما تمكن أسطوله أيضاً من هزيمة الأسطول التركي.

إن هذه الأوضاع تتطلب تصرفاً سريعاً من الحكومة الإنجليزية كما تتطلب تدخلاً عاجلاً يكفل بإعادة "الباشا" الذي يتصور نفسه لا يقهر إلى عقله وإلى الخضوع والطاعة للسلطان".

ولم يكن بالمرستون يحتاج إلى أكثر من ذلك لكي يقتنع بضرورة العمل وبأسرع ما يمكن أمام القوة الجديدة البازغة في مصر.

ولأن أكثر ما ضايقه أن محمد علي بأسطوله يمكن أن يصبح قوة مؤثرة في البحر الأبيض وحول شواطئه، فهو يستطيع إنشاء دولة عربية قوية في مصر، أو يستطيع أن يزحف إلى اسطنبول لتجديد شباب الخلافة العثمانية، وفي الحالتين يخلق قوة تتصدى للمحاولات الأوروبية لاقتسام تركة العثمانيين، وهذه كلها أمور لم تكن السياسة الإنجليزية على استعداد لقبولها.[١٦]

والجدير بالذكر هنا أن بريطانيا وهي أحد القوى العظمى أعطت لنفسها حق تحديد الضرورات الشرعية للدفاع لغيرها من الحكومات الأضعف منها وما يزيد عن ذلك يعد غير شرعي، وهو نفس القانون الذي تطبقه أمريكا والقوى العظمى على غيرها من الدول، فمن حق أمريكا والدول العظمى أن تمتلك أسلحة الدمار الشامل، بينما يحرم ذلك على غيرها من الدول الأضعف.

وانتهز اليهود الظروف السياسية المعقدة في تلك الفترة فبالمرستون لا يريد أن يموت الرجل المريض (تركيا) الآن قبل الاستعداد لتقسيم تركته، كما أنه في نفس الوقت لا يريد له العافية، ويلخص الزعيم الصهيوني ناحوم سولوكوف هذه المعضلة في مذكراته بقوله:

" ١- إن السلطان وحده وبغير مساعدة لا يملك القوة الكافية للاحتفاظ بسوريا.

---

(١٦) المصدر السابق: ص٤٢،ص٤٣.

٢- إن مصر لا حق لها في سوريا إلا إذا خشيت من خطر يجيء إليها عن طريق تركيا.

٣- إن مصر لها الحق في الاستقلال إذا استطاعت أن تحصل عليه.

٤- ولكن عودة سوريا لتكون جزءاً من تركيا سوف تظل باستمرار تهديداً لمصر.

٥- وإذا ظلت سوريا جزءاً من مصر فذلك سوف يجعل تركيا غير آمنة.

٦- وإذا أحست تركيا بعدم الأمان فذلك سوف يهدد السلام في أوروبا.

ونتيجة لذلك فمن الضروري إنشاء كيان عازل يفصل بين مصر وتركيا، ويبقى كلاًّ منهما في مكانه، **ويمنع أيهما من أن يصبح أقوى مما ينبغي!!** ".

ويستطرد سولوكوف من هذا السياق إلى أن تلك كانت الفرصة الذهبية أمام الحركة اليهودية لكي تملأ هذا الفراغ وتطالب "ببعث إسرائيل من جديد"، فهذا هو الحل للمشكلة اليهودية، وجزء من الحل بالنسبة للمسألة الشرقية، لأنه يؤجل طرح مسألة خلافة الدولة العثمانية إلى موعد لاحق يكون الجميع قد استعدوا له.(١٧)

وهكذا كان الصراع المصري التركي فرصة ذهبية لليهود، ومن ورائهم الإنجليز لزرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي.

وبناء على هذه السياسة فقد أرسل بالمرستون في ١١ أغسطس ١٨٤٠ إلى سفيره في أستانبول بتعليمات جاء فيها: "عليك أن تقنع السلطان وحاشيته بأن الحكومة الإنجليزية ترى أن الوقت أصبح مناسباً لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها، لقد حان الوقت لكي يعود هذا الشعب المشرد إلى أرضه التاريخية.

إن السلطان وحاشيته قد لا يقتنعان بهذا المنطق الأخلاقي، ولذلك عليك أن تجعلهما يدركان أن اليهود في العالم يملكون ثروات ضخمة ولديهم كنوز من المال وفيرة، وإذا حصلوا على حماية السلطان فسوف يكون في مقدوره أن يقنعهم بمساعدته، وهم بلا شك سوف يقدرون عطفه عليهم.

---

(١٧) المصدر السابق: ص٤٤.

عليك أن تذكر السلطان وحاشيته بأنه يقوم الآن بين اليهود المبعثرين في كل أوروبا شعور قوي بأن فرصتهم في العودة إلى فلسطين آخذة في الاقتراب، ومن المعروف جيداً أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن المؤكد أن أي قطر يختاره اليهود ليستوطنوا فيه سوف يحصل على فوائد عظيمة من ثروات هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان إلى فلسطين فسوف يكون ذلك مصدر ثراء له، **كما أنه سوف يكون حائلاً بين محمد علي – أو أي شخص آخر يخلفه– وبين تحقيق خطته الشريرة في الجمع بين مصر وسوريا وتهديد الدولة العليا**.

وحتى إذا لم يؤد هذا التأييد الذي يمنحه السلطان إلى استيطان أعداد كبيرة منهم في فلسطين، فإن إصدار قانون يعطيهم حق الاستيطان سوف يعمل على نشر روح من الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسوف ترى الحكومة على الفور أنها كسبت أصدقاء أقوياء ومفيدين بقانون واحد من هذا النوع.(١٨)

وفي رسالة تالية بتاريخ أول ديسمبر ١٨٤٠م يكتب بالمرستون إلى سفيره في استانبول: " أن يسعى لإقناع حاشية السلطان والسلطان نفسه بأن محمد علي قد يحاول مرة أخرى، وإذا تركت له الفرصة فإنه سيعود مرة أخرى إلى دمشق ويعلن فيها تأسيس خلافة جديدة تعيد ذكريات الخلافة الأموية، ويدعو العرب فيها إلى إنشاء إمبراطورية كبيرة تجمعهم، وتؤثر على الموازين في الشرق الأدنى والبحر البيض المتوسط، وسوف تتكفل هذه الإمبراطورية إذا قامت بتهديد تركيا وربما إنهاء وجودها كدولة.

والحل السريع الممكن هو إقامة عازل بين الدولة العثمانية وبين طموحات محمد علي وحلفائه، وعلى السلطان وحاشيته أن يدركا أن مطامع محمد علي لا تقتصر فقط على شرق البحر الأبيض وإنما تمتد مطامعه أيضاً إلى البحر الأحمر وحتى عدن لكي يؤكد سيطرته على الإمبراطورية.

إن العازل الذي يمكن التفكر فيه هو توطين اليهود في فلسطين، لأن ذلك يجعل منهم شوكة في خاصرة محمد علي تمنعه من تهديد تركيا من ناحية، كما تمنعه من العربدة في البحر الحمر كما يحلم.

---

(١٨) المصدر السابق: ص ٤٥، راجع أيضاً:موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية: ص ٢١٦ – نشر مؤسسة صقر الخليج – الكويت ١٩٨٤، ونقلها عن صالح بويصير: جهاد شعب فلسطين – دار الفتح– بيروت.

إن الحكومة الإنجليزية سوف تكون مستعدة إذا ما قبل السلطان بمشورتها أن تضع المستعمرات اليهودية في فلسطين تحت حمايتها لكي يكون ذلك تحذيراً دائماً لمحمد علي حتى يرتدع عن تهديد الدولة العليا.[١٩]

ثم يعود بالمرستون بعد شهرين فيكتب إلى سفيره في تركيا: " عليك أن تلح على السلطان أنه يستفيد فائدة كبرى إذا ما قام بإغراء وتشجيع اليهود المبعثرين في أوروبا بالذهاب والتوطن في فلسطين.

إن السلطان سوف يدرك أن اليهود في فلسطين سوف يطلبون نوعاً من الأمان الحقيقي والملموس، ولا ترى الحكومة البريطانية بأن يتحمل عبء هذا الأمان، ولذلك فنحن نقترح أن يكون في استطاعة هؤلاء اليهود أن يعتمدوا على حماية إنجلترا وأن يكون من حقهم أن ينقلوا شكاواهم إلى الباب العالي عن طريق السلطات الإنجليزية".[٢٠]

وفي عام ١٨٤٠م فرضت القوى الأوروبية على محمد علي معاهدتين بعد هزيمته. الأولى بحقه وحق ورثته في تولي ولاية مصر، والثانية سميت بمعاهدة (تهدئة الأحوال في سوريا) وكان ظاهر نصوصها تحقيق خروج قوات محمد علي من سوريا، ولكنها في حقيقة أمرها كانت تمهد الطريق لهجرة يهودية واسعة إلى فلسطين، ولتحقيق المطلب الأساسي في إرث ممتلكات الخلافة العثمانية في الشرق، وبالتحديد في تلك الزاوية الإستراتيجية الهامة المحيطة بشرق البحر الأبيض حيث مصر والشام.

وهذه الحقيقة كانت بارزة وقتها في مقالات الصحف، وفي مذكرات الساسة الشخصية التي يتحدثون فيها بصراحة بعيداً عن مجاملات السياسة. وفي هذا الصدد ذكر اللورد شافتسبري — صهر رئيس الوزراء بالمرستون وأقرب الأصدقاء إليه — في مذكراته يوم ٢٤ أغسطس ١٨٤٠م: "افتتاحية جريدة التايمز التي فرغت من قراءتها الآن تثير مخاوفي، كما أنها تسعدني وفي نفس الوقت تقلقني، لأنها قد تكون كشفاً مبكراً عما نريد تحقيقه، وقد يكون في ذلك ما يستعدي قوى وعناصر كثيرة ضد المشروع في وقت لا يزال فيه هذا المشروع يحتاج إلى جهد كبير لتعزيز إمكانية وفرصة تنفيذه، ولكنها تسعدني من ناحية أخرى لأنها تتحدث بصراحة عن أن **اتفاقية لندن لتهدئة الأحوال في سوريا تمهد الطريق لعودة اليهود إلى وطنهم في فلسطين**، وهذا انتصار لأفكار وخطط ناقشناها واقتنعنا بها.

(١٩) محمد حسنين هيكل: المصدر السابق.

(٢٠) محمد حسنين هيكل: المصدر السابق ص ٤٦، موفق بني المرجه: المصدر السابق.

قال لي بالمرستون إنه كتب إلى اللورد بونسوبي – سفيرنا في استانبول – يطلب إليه أن يفتح خطاً مباشراً مع رشيد باشا لكي يبذل جهده مع السلطان في إقناعه بتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وفي طمأنته إلى قدرتنا على حمايته هناك".

وعقب توقيع معاهدة (تهدئة الأحوال في سوريا) أرسل بالمرستون – رئيس وزراء بريطانيا – منشوراً سرياً إلى كل قناصل إنجلترا في دمشق وحلب والقدس وبيروت جاء فيه: " إننا خرجنا بعد هزيمة محمد علي وإخراجه من الشام ونحن والأتراك حليفان وبيننا تعاون لا بد أن نحرص عليه، ونحن لن نخذلهم في أمره، ولكن ذلك لا يمنعنا من تنفيذ ما تقتضيه سياستنا في المنطقة.

إن الأتراك يعرفون ما ينبغي عليهم عمله تجاه اليهود في هذه المنطقة، ولكن من المتعين علينا أن نتابع ذلك بجهد منظم هدفه أن نتأكد من أن اليهود لا يتعرضون هناك لأي تمييز ضدهم أو اضطهاد.

ونحن مطالبون الآن بأن نجعل اليهود يثقون بنا، وأن يتأكدوا أن حكومة إنجلترا تعتبر نفسها مسئولة عن سلامتهم وراغبة في حمايتهم ومصممة على ذلك.

إني أرى أن يكون هذا التعهد معروفاً لكل اليهود في الشام بمن في ذلك اليهود من رعايا دول أخرى غير إنجلترا، ولا بد أن يعرف اليهود النمساويون أو الفرنسيون، أو الأوربيون بصفة عامة، أنه يحق لهم أن يلجئوا إلى القنصل البريطاني لحمايتهم في حالة تقصير قناصل دولهم الأصلية عن توفير هذه الحماية. فكلهم يجب أن يستقر في وعيهم أن **إنجلترا هي حامية اليهود**".

وفي عام ١٨٤٩م عقد في لندن مؤتمر يهودي صغير برعاية عائلة ورتشيلد، وانتهى إلى إعلان مطلبين:

الأول: إعلان قبول يهود العالم للحماية الإنجليزية لهم حيث كانوا.

والثاني: التوجه بالرجاء إلى الحكومة الإنجليزية بأن تسهل لليهود استعمار فلسطين على نمط ما يحدث في مناطق أخرى.[٢١]

(٢١) المصدر السابق.

(٢) وفي عام ١٨٧٥م تسرب إلى رئيس وزراء بريطانيا – دزرائيلى- خبر يفيد بأن والي مصر – الخديوي إسماعيل- يرغب في بيع حصته من أسهم شركة قناة السويس.

ودزرائيلى هو أول وآخر رئيس وزراء يهودي في تاريخ إنجلترا. وإذا كان الساسة الإنجليز مدفوعين – سواء بعاطفتهم الدينية البروتستانتية أو بمصالحهم العسكرية السياسية- إلى إنشاء إسرائيل، فإن سياسياً يهودياً مثل دزرائيلى وجد أن هذا المناخ لا بد أن يستغل في خدمة أبناء دينه، فقد ذكر على لسان أحد أبطال رواياته التي كتبها في بداية حياته: "إن إنجلترا أكبر بكثير من أن يحولها بعض ساستها إلى مكتب محاسبات تجاري كبير .. إن إنجلترا لها قلب ولها ضمير، ولهذا فهي تقف مع اليهود مدركة أن الله ذاته يحارب من أجل بعث إسرائيل".

وما أن بلغ – خبر رغبة الخديوي إسماعيل في بيع أسهمه- إلى دزرائيلى حتى أدرك أن هذه هي فرصته الذهبية لكي تضع بريطانيا موطئ قدم لها في مصر ممهدة الطريق لإنشاء إسرائيل.

وراح دزرائيلى يفكر بسرعة، وكانت المعضلة أمامه أن الخديوي يريد الثمن نقداً ويريد إتمام البيع سراً. وكان هذان الشرطان يمنعانه من عرض الصفقة على البرلمان، ووجد الحل بسرعة في البارون روتشيلد الذي دبر له المبلغ وهو أربعة ملايين جنيه ذهباً في اليوم التالي.

وبشراء إنجلترا لحصة مصر في قناة السويس تدافعت الأحداث بسرعة في خدمة اليهود:

- ففي سنة ١٨٧٧م أي بعد ما يزيد قليلاً عن سنة من إتمام الصفقة كانت عائلة روتشيلد تمول إنشاء أول مستعمرة استيطانية لليهود في فلسطين على مساحة ٢٢٧٥ فداناً، وهي مستعمرة (بتاح تكفاه).

- وفي نفس السنة كانت الحكومة الإنجليزية تطلب من السلطان السماح لها بإنزال قوات عسكرية في قبرص، لأن ذلك ضرورة عسكرية لمراقبة ما يجري في سواحل الشام عن بعد، وذلك تطبيقاً لاتفاقية (المساعدة) الإنجليزية التركية التي عقدت بعد انتهاء حرب القرم، التي تعهدت إنجلترا للسلطان بمقتضاها أن تحمي ممتلكاته الشرقية.!!!

وهكذا أعمى حرص السلطان العثماني – على ممتلكاته – عينيه عن عداوة الإنجليز الكفار للإسلام والمسلمين، فضاعت فلسطين وضاعت الدولة العثمانية كلها بعد ذلك.

– وفي سنة ١٨٨٢م تذرعت بريطانيا بوجود قلاقل في مصر (ثورة عرابي) فاتخذت قراراً باحتلال مصر وقمع الثورة العرابية، وكانت حجّة بريطانيا أن عرابي خارج على السلطان.[٢٢]

وهكذا دخلت عساكر الكفار ديار الإسلام تحت حماية السلطان.!!!

– وتزايدت حركة الهجرة اليهودية بشدة عقب الاحتلال الإنجليزي لمصر، وارتفع عدد المستعمرات الاستيطانية، حتى أنه في ظرف عشر سنوات من احتلال الإنجليز لمصر أنشئت قرابة عشرين مستعمرة تتراوح مساحاته ما بين ٢١٠ إلى ٣٨٠٠ فداناً غرب وشرق نهر الأردن.

وفي سنة ١٨٩١م أنشأ البارون اليهودي دي هيرش مع البارون روتشيلد مؤسسة للمشروعات الزراعية برأسمال قدره مليوني جنيه استرليني، وشارك في المشروع مالي يهودي ثالث هو السير أرنست كاسل الذي أبدى اهتماماً ملحوظاً بالمشروعات الزراعية في مصر ذاتها، وأنشأ شركة (وادي كوم أمبو) التي تملكت مساحات شاسعة من الأراضي قرب مدينة كوم أمبو في صعيد مصر.[٢٣]

وهكذا فإن تسلسل الحوادث في تلك الفترة يشير إلى تخطيط مسبق يتقدم على الأرض خطوة بعد أخرى.

(٣) ومع بداية القرن العشرين نشبت الحرب العالمية الأولى، وقبيل هذه الحرب كانت السياسة البريطانية تدرك ما تريد تحديداً في فلسطين، وظهر ذلك بجلاء في توصية تقدم بها رئيس الوزراء البريطاني كامبل باترمان في الفترة السابقة على الحرب مباشرة جاء فيها بالنص: **" إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض والبحر الحمر هو مطلب يجب أن يكون هادياً لنا باستمرار.**

ويتعين علينا أن نضع في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة معادية لأهل البلاد وصديقة للدول الأوروبية وعارفة لمصالحها".

---

(٢٢) المصدر السابق: ص ٥٩، ٦١، ٦٢.

(٢٣) المصدر السابق: ص ٦٤.

ومن المحتم أن نجد الوسيلة العملية لتنفيذ هذا المطلب.[٢٤]

وكان ذلك يعني بوضوح الإصرار على إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

(٤) وفي أثناء الحرب طلبت الحكومة البريطانية سنة ١٩١٥ من السير هربرت صمويل أن يضع تصوراً لما ينبغي أن يكون عليه وضع فلسطين بعد النصر.

وكتب هربرت صمويل بوصفه عضواً في وزارة الحرب – إلى جانب كونه يهودياً وصهيونياً أيضاً – مذكرة بعنوان (مستقبل فلسطين) في ٥ فبراير ١٩١٥م وكان مما توصل إليه فيها:

"إن الحل الذي يوفر أكبر فرصة للنجاح ولضمان المصالح البريطانية، ويستطيع الحكم البريطاني فيها أن يعطي تسهيلات للمنظمات اليهودية في شراء الأراضي وإقامة المستعمرات وتنظيم الهجرة والمساعدة على التطور الاقتصادي بحيث يتمكن اليهود من أن يصبحوا أكثرية في البلاد"، "هذا مع ملاحظة أن هناك عطفاً واسع الانتشار وعميق الجذور في العالم البروتستانتي لفكرة إعادة الشعب العبراني إلى الأرض التي أعطتها لهم النبوءات القديمة.[٢٥]

ولذا لم يكن غريباً أن يعين هربرت صمويل فيما بعد حاكماً عاماً لفلسطين.!!!

(٥) وفي ربيع ١٩١٥م – أي بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بعدة أشهر– ظهر على مسرح الأحداث فجأة شخص قدم لليهود أجل الخدمات، ذلك هو مارك سايكس الذي وقع مندوباً عن بريطانيا في الاتفاقية الشهيرة – اتفاقية سايكس بيكو – التي ذهبت بآمال حلفاء بريطانيا من العرب أدراج الرياح مع كلمات الشرف إلى ضمنها التاج البريطاني.

ومارك سايكس لم يكن يهودياً وإنما كان كاثوليكياً، ولكنه كان صهيونياً بالمعنى المسيحي، ويمكن أن يقال إنه كان واقعاً تحت تأثيرات يهودية غالبة، فوالدته الليدي هنريتا سايكس كانت لسنوات طويلة عشيقة للسياسي البريطاني الشهير بنجامين دزرائيلى، أول وآخر يهودي يتولى رئاسة الوزراء في بريطانيا كما ذكرنا.

---

(٢٤) المصدر السابق: ص ٦٤.

(٢٥) المصدر السابق: ص ١١٠، ١١١.

وكان مارك – ابن هنريتا- موضع اهتمام دزرائيلى الذي ظل في رئاسة الوزراء أو خارجها سياسياً واسع النفوذ شديد الارتباط بالفكرة الصهيونية، ومن الطبيعي أن يتأثر مارك بأفكار رجل من أمثال دزرائيلى في وسط المناخ الذي كانت تحياه بريطانيا في ذلك الوقت.

وقبل الحرب كان مارك سايكس قد أصبح عضواً في مجلس العموم البريطاني، واشتهر بالفعل بتعاطفه مع اليهود والحركة الصهيونية، وكانت صلاته وثيقة بكثيرين منهم، وأولهم اللورد روتشيلد.

وقد كلف مارك سايكس في ربيع ١٩١٥م – أي بعد أشهر من نشوب الحرب العالمية الأولى كما أسلفنا بمهمة رسم خريطة الشرق العربي بالتنسيق مع فرنسا، أي كيفية اقتسام تركة الرجل المريض – تركيا العثمانية – في المشرق العربي.

وسافر "سايكس" إلى القاهرة، ثم عاد بعد ذلك إلى باريس ليلتقى بجورج بيكو – الذي أصبح قنصل فرنسا في القاهرة – ويبدأ معه المفاوضات التي انتهت بينهما بالاتفاقية التي اشتهرت باسم (سايكس – بيكو).[٢٦]

وقد جعلت تلك الاتفاقية فلسطين من نصيب بريطانيا، وبذلك خطت بريطانيا خطوة متقدمة قي سبيل تسليم فلسطين لإسرائيل.

وبنجاح مارك سايكس في ترتيب الأمور مع فرنسا في اتفاقية سايكس – بيكو فقد اكتسب حماساً إضافياً في خدمة القضية الصهيونية.

ويكفي أن نذكر هنا شهادة ناحوم سولوكوف – المسؤول الأول عن اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني بعد وفاة هيرتزل- الذي كتب ما نصه: " إنه من واجبي أن أوجه تحية خاصة إلى السير مارك سايكس، فقد كان هو الروح الملهمة والمحركة في توجيه عملنا في تلك الفترة الدقيقة والحساسة.

إن سايكس أصبح الرجل الذي يتولى في واقع الأمر معظم أمورنا، ويقوم بالتنسيق مع وزارة المستعمرات ووزارة الحرب والقيادة العليا ووزارة الخارجية واللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني، لقد سألني سايكس في أول لقاء بيننا:

– هل أنت المسؤول عن الحركة الصهيونية؟

(٢٦) المصدر السابق: ص ٩٦، ٩٧.

ورددت عليه قائلاً:

- نعم ... وسوف ننجح إذا ساعدتنا.

ورد عليّ بنبرة قاطعة وحاسمة:

- حسناً هذه مسئوليتي".

ويواصل سولوكوف شهادته فيكتب:

"كنا نعتبر أن هذه الحرب هي التي ستعطينا بعد النصر وطننا اليهودي في فلسطين.

وفي الفترة الحاسمة من عملنا كان مارك سايكس هو الذي يقوم بكل الاتصالات وينسق كل الجهود من اجل تعهد واضح من الحلفاء بعد النصر بأن يعطونا الفرصة والحق في إنشاء وطننا اليهودي في فلسطين.

إن سايكس لم يقم بهذه المهام في لندن وحدها، ولكنه أخذ على عاتقه أن يمهد لنا الطرق في باريس مع الحكومة الفرنسية، وفي روما مع الحكومة الإيطالية ومع الفاتيكان.

إن سايكس في هذه الفترة لم يكن ليسمح لنفسه بفرصة للراحة أو للنوم، فقد كان يعمل بلا كلل وقد جعل من الصهيونية جزءاً أساسياً من حياته.

وهو لم يقم بجهد فقط مع الدول، وإنما مهد لنا أيضاً مع الرأي العام الإنجليزي، فقد كان هو الذي رتب للدكتور حاييم وايزمان أن يلتقي بأهم صحفي في إنجلترا، هوس. ب. سكوت رئيس تحرير جريدة (المانشستر جارديان). ولن أنسى له أبداً أنه صحبني معه حينما كان برفقة رئيس الوزراء لويد جورج والأميرال جيليكو القائد العام للأساطيل البريطانية، وفي هذه المقابلة أتيحت لي الفرصة لأن أتحدث إلى رئيس الوزراء الذي قال لي:" إن هذه الحرب سوف تكون بلا فائدة إذا لم نستطع أن نعطي للشعوب حقها في تقرير المصير، بمن في ذلك اليهود في فلسطين".[٢٧]

(٦) وتكشف الوثائق البريطانية عن فكرة خطيرة سيطرت على السياسة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى وظلت مسيطرة عليها لفترة طويلة، ومجمل هذه الفكرة أن الأماكن

---

(٢٧) المصدر السابق: ص ١١١، ١١٢.

المقدسة لكل الأديان في الشرق يجب أن تكون تحت السيطرة البريطانية، وقد وردت هذه الفكرة بوضوح فيما قاله اللورد كتشنر – وزير الحربية في أثناء الحرب والمعتمد البريطاني في مصر قبل ذلك- في مناقشات وزارة الحرب حين قال: " **إن الأماكن المقدسة للمحمديين في مكة وفي المدينة يجب أن تكون تحت الحماية البريطانية بطريق غير مباشر لمراعاة التعصب الإسلامي**، وكذلك يجب أن تكون كربلاء والنجف في العراق، ونفس الشيء ينطبق على كنيسة القيامة وقبة الصخرة وحائط المبكى في القدس. فذلك يعطي الإمبراطورية البريطانية حق أن تواجه العالم باعتبارها حامية كل المقدسات الدينية".(٢٨)

وهذه العبارة الخطيرة تحمل مدلولات أخطر:

(أ) فبسيطرة بريطانيا على الأماكن المقدسة الإسلامية وتولية وكلاء فها عليها، تضمن بريطانيا عدم استخدام أي حاكم مسلم للقوة المعنوية لهذه المقدسات وللأثر الإيماني للحج إلى مكة في إعلان الجهاد ضد بريطانيا.

بل على العكس فإن بريطانيا يمكنها بواسطة عملائها الحاكمين لتلك المقدسات أن تفرغ الإسلام من محتواه الجهادي وأن تحارب أي دعوة جهادية ضدها.

(ب) وهذه السياسة لا زالت سارية حتى اليوم ورثتها أمريكا عن بريطانيا، وقدمت عن طريقها إسلاماً أمريكياً يستعين بالقوات الأمريكية لحماية الحرمين الشريفين، ويعترف بإسرائيل، وينهب ثروات المسلمين ليسلمها لأمريكا بأبخس الأسعار، ويدعو المسلمين إلى طاعة ولاة الأمور الغارقين في العمالة والملذات والشهوات، ويصف الجهاد بأنه التطرف والتكفير والهوس الديني، كل هذا لا تصدر به بيانات من لندن أو واشنطن، بل تصدر به فتاوى من مشايخ وزارات الأوقاف وإدارات الفتوى في القاهرة ومكة والمدينة ومشيخات الخليج.!!!

(ج) وهذه السيطرة لا شك أنها كانت أول طعنة للجهاد ضد اليهود في فلسطين وحجر الأساس لإقامة دولة إسرائيل.!!!

(٧) وتسجل الوثائق البريطانية أن موسى قطاوي باشا رئيس الطائفة اليهودية في مصر توجه في يوليو ١٩١٦م ليطلب من الجنرال ماكسويل القائد العام للقوات البريطانية في مصر السماح بتشكيل كتائب يهودية تدخل ضمن جيش الجنرال اللنبي الذي كان يستعد للزحف

---

(٢٨) المصدر السابق: ص ١٠١.

على الأتراك في فلسطين والشام. ووافق الجنرال ماكسويل، وسمح لجنود هذه الكتائب أن يضعوا نجمة داود على مقدمة قبعاتهم لكي يكون واضحاً أنها كتائب يهودية.[(٢٩)]

(٨) وفي هذه الأجواء المشبعة بالشره في اقتسام تركة الدولة العثمانية وبالكراهية للإسلام والتعصب الأعمى لليهود صدر وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وكان نصه ما يلي:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بالعطف إلى **إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين**، وسوف تبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهدف.[(٣٠)]

(٩) وبعد انتهاء الحرب وأثناء إعداد وثائق السلام في مؤتمر السلام في فرساي أصرت الحركة الصهيونية على ضرورة أن يحتوي قرار المؤتمر بانتداب بريطانيا على فلسطين إشارة بأن المهمة الرئيسية للانتداب البريطاني على فلسطين هي العمل على **إنشاء وطن قومي لليهود**.[(٣١)]

(١٠) وفي سنة ١٩٢١م طلب اللورد اللنبي قائد القوات البريطانية – التي غزت فلسطين وأخرجت الأتراك منها– ثم المعتمد البريطاني على مصر من مدير العمليات في الشرق الأوسط الكولونيل ريتشارد ماينر تزهاجن صياغة مذكرة تحوي توصيات محددة بشأن مصر وفلسطين لترفع لرئيس الوزراء لويد جورج، وجاء في هذه المذكرة:

" إننا نسير بحكمة زائدة، مستهدفين السماح لليهود بإنشاء وطنهم القومي في فلسطين، فقد حررنا العرب من النير التركي، ولن نستطيع البقاء في مصر إلى الأبد، فقد تمخض مؤتمر الصلح عن وليدين، القومية اليهودية والقومية العربية، وشتان بينهما: فالأول يمتاز بحيويته ونشاطه، على حين يمتاز الثاني بكسله وخموله المكتسبين من الصحراء.

يضاف إلى ذلك أن اليهود بالرغم من تشتتهم يمتازون بولائهم ورقة شعورهم وعملهم ... كما أنهم قدموا لبريطانيا أحد رؤساء حكوماتها الممتازين دزرائيلى، وسيلتصق العرب واليهود من الآن إلى خمسين سنة بقوميتهم، وسوف يزدهر الوطن القومي اليهودي إن عاجلاً أو آجلاً ويصل إلى مرحلة السيادة، وإني أفهم أن بعض أعضاء حكومة جلالته يتطلعون إلى

---

(٢٩) المصدر السابق: ص ١٥٣.
(٣٠) المصدر السابق: ص ١١٣.
(٣١) المصدر السابق: ص ١١٤.

هذه المرحلة، وكذلك ستتطور مرحلة القومية العربية إلى مرحلة المناداة بالسيادة من المحيط إلى الخليج.

ومما لا شك فيه أن السيادتين العربية واليهودية ستصطدمان. وإذا قدر لمشروع الهجرة اليهودية إلى فلسطين أن ينجح، فإن الصهيونية ستتوسع على حساب العرب دون سواهم، وسيبذل العرب قصارى جهدهم للقضاء على قوة وعظمة فلسطين اليهودية، وهذا يعني سفك الدماء.

وبريطانيا تتحكم الآن في الشرق الأوسط، ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود في آن واحد، وإني أقترح **منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم**، بتقدير أنهم الشعب الذي سيكون صديقنا المخلص الموالي في المستقبل. إن اليهود مدينون لنا كثيراً، وهم يحفظون لنا هذا الجميل، وسيكونون ثروة لنا، بعكس العرب الذين سيكونون سلبيين معنا برغم خدماتنا لهم.

سوف تكون فلسطين حجر الزاوية في الشرق الأوسط، فبينما تحدها الصحراء من جهة، يحدها البحر من جهة أخرى، ولها ميناء طبيعي ممتاز (حيفا)، وهو أحسن ميناء على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ثم إن اليهود يراهنوا على كفاءتهم الحربية منذ احتل الرومان البلاد، على حين يمتاز العربي بقسوته في الحرب، وحبه للسلب والتدمير والقتل.

والآن دعني أتكلم عن فلسطين بالنسبة إلى مصر، ففي حالة تطور السلاح من طائرات ودبابات، سيكون الفصل في المعركة للسلاح الأحدث، وللشجاعة وقوة الأعصاب والصبر، لذلك فإني أرى في **مصر العدو المسلح لليهود**.

وبتطور القوميتين العربية واليهودية إلى مرحلة السيادة، وبخسارتنا قناة السويس في سنة ١٩٦٨م، أي بعد ٤٧ سنة، فإن بريطانيا ستخسر مراكزها في الشرق الأوسط ولتقوية هذه المراكز أقترح **ضم سيناء إلى فلسطين**.

وفي حالة ضم سيناء إلينا، فإننا نربح **حداً فاصلاً بين مصر وفلسطين**...

ومن حسنات هذا الضم أنه سيحبط أية محاولة مصرية لإغلاق القناة في وجهنا".[٣٢]

ولنا وقفة هنا:

(٣٢) المصدر السابق: ص ١١٥، ١١٦.

فمن الجدير بالنظر أن هذه هي السياسة التي طبقت اليوم **بنزع سلاح سيناء لتكون عازلاً بين مصر وإسرائيل طبقاً لاتفاقية السلام مع إسرائيل.**

ألا يفسر هذا حملة البطش الرهيبة التي ينفذها النظام المصري ضد الحركة الإسلامية بإشراف أمريكا خدمة لإسرائيل.!!!

فإذا كانت مصر هي العدو الأول لإسرائيل، وإذا كانت الحركة الإسلامية هي القوة الشعبية الغالبة في مصر، فلا بد من سحق الحركة الإسلامية، لإزالة أهم عائق في طريق التوسع الإسرائيلي وإقامة إسرائيل الكبرى.

(١١) ولم تتوقف جهود بريطانيا على الخدمات التي تقدمها لليهود عسكرياً وسياسياً بنفسها، بل لقد مارست الضغط على حلفائها العرب الذين ثاروا – بالاتفاق معها – ضد دولة الخلافة لكي يقبلوا وجود إسرائيل.

فعند انكشاف بنود اتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٧م وما توافق معها من صدور وعد بلفور أصيب الحلفاء العرب بصدمة شديدة، وهنا أرسلت بريطانيا الكوماندور هوجارت – ممثلاً لمكتب القاهرة – لمقابلة الشريف حسين في جدة ليشرح له الظروف ويواصل الضغط على الحليف التابع الذي لم يجد بداً من الانسياق في خط التبعية. ومما جاء في تقرير الكوماندور هوجارت عن المقابلة ما يلي: " فيما يتعلق بسايكس بيكو قال الشريف حسين إنه إذا كان هناك تعديل ثانوي في الخطط الأصلية تفرضه ضرورات الحرب، فهو مستعد أن يعترف بمثل هذه الضرورة صراحة.

ولكنه طلب أن نبلغه بمثل هذه الصراحة تفاصيل التعديلات المطلوبة والضرورات التي تقتضيها.

ثم أثار الشريف حسين مطالب فرنسا في سوريا، ورد عليه الكوماندور هوجارت قائلاً: : إن فرنسا صارت ترى الأمور بعيوننا (يقصد بعيون الإنجليز) فيما يتعلق بسوريا، وكل ما تريده هو أن تحمي وتساعد على استقلال سوريا"، وبدا أن الشريف حسين كان مقتنعاً.

وفيما يتعلق بوعد بلفور فإن الكوماندور هوجارت راح يشرح للشريف حسين تفاصيل طويلة عن نمو الحركة الصهيونية خلال الحرب وعظم قيمة المصالح اليهودية والنفوذ اليهودي، وإنه من المفيد التعاون معهم (يقصد اليهود ومصالحهم ونفوذهم).

كان رد الشريف حسين يفيد **باستعداده لقبول صيغة وعد بلفور**." وروي الكوماندور هوجارت في تقريره لوزارة الحرب في لندن: " إن الشريف حسين وافق بحماسة قائلاً: إنه يرحب باليهود في كل البلاد العربية."(٣٣)

أما الأمير فيصل ابن الشريف حسين فقد أقنعه مخطط حركته ضابط المخابرات البريطاني الشهير لورانس بلقاء حاييم وايزمان في العقبة، ثم رتب بعد ذلك لقاء بينهما في لندن – تمهيداً لمؤتمر الصلح في فرساي – في الأسبوع الأول من يناير ١٩١٩م، حيث وقعا اتفاقاً بينهما جاء فيه: " إن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها، والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنه، يدركان القرابة في الجنس والصلات القديمة بين العرب والشعب اليهودي.

وهما متأكدان أن أضمن الوسائل لبلوغ أهدافهما الوطنية هو في الأخذ بأقصى ما يمكن من أسباب التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وتقدم **فلسطين**، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية:

١- يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية **وفلسطين** أقصى درجة من النوايا الحسنة والتفاهم المخلص، وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس وتقوم وكالات عربية يهودية معتمدة حسب الأصول في كل بلد منهما.

٢- تحدد بعد ختام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وبين **فلسطين**، من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣- عند وضع دستور لإدارة شؤون فلسطين، تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر ١٩١٧م (وعد بلفور).

٤- يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع، والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين والمستأجرين العرب، ويجب مساعدتهم في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

---

(٣٣) المصدر السابق: ص ١١٩، راجع أيضاً: الموسوعة العسكرية – مادة الثورة العربية الكبرى – ج١ ص٤٠٧- طبعة ١٩٨٢- المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

٥- يجب ألا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريق في ممارسة الحرية الدينية...

٦- إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

٧- تقترح المنظمة الصهيونية العالمية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها.

سوف تستخدم المنظمة الصهيونية العالمية أقصى جهودها لمساعدة الدول العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية في البلاد.

٨- يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم الكاملين في جميع الأمور التي شملتها الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

٩- كل نزاع يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى **الحكومة البريطانية** للتحكيم

فيصل – وايزمان"(٣٤)

وبالنظر إلى نصوص هذه الاتفاقية يتبين لنا:

- إن فيصل قد اعترف بفلسطين دولة على قدم المساواة بالدولة العربية، بل واعترف بأن تكون هناك حدود نهائية بين الطرفين.

إذن فلم يكن أنور السادات هو أول من وقع صلحاً منفرداً بين العرب وإسرائيل.

- كما أكدت هذه الاتفاقية على تشجيع الهجرة اليهودية على مدى واسع، بل واعترفت بوعد بلفور.

وعندما جلس فيصل ليوقع الاتفاقية أضاف إليها تحفظاً بخط يده جاء فيه: "يجب أن أوافق على المواد المذكورة أعلاه شرط أن يحصل العرب على استقلالهم. ولكن إذا وقع تعديل أو تحويل في مطالبهم فيجب ألا أكون عندها مقيداً بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة ولا شأن لها ولا قيمة قانونية لها، ويجب ألا أكون مسؤولاً بأية طريقة مهما كانت.

(٣٤) المصدر السابق: ص ١١٩، ١٢٠.

فيصل" (٣٥)

أي أن فيصل أراد أن يشتري من الإنجليز ملكه ببيع فلسطين لليهود!!

أو بعبارة أخرى تحالف مع الشيطان من اجل قيام المملكة العربية. فحق عليه جزاء من يتحالف مع الشيطان من اجل الدنيا؛ ألا وهو ضياع الدنيا والدين.

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }الحشر١٦

٢– وإذا كان إنشاء إسرائيل هو هدف الغرب منذ أكثر من قرنين من الزمان، فإن أمريكا تحملت هذا العبء فيما ورثته من تركة القوى الاستعمارية التي سبقتها، ومنها اقتناعها بضرورة تفتيت الأمة المسلمة في قلب العالم الإسلامي بزرع إسرائيل فيها.

أ– ففي يناير ١٩٤٤ قرر الكونجرس: "الطلب إلى حكومة الولايات المتحدة بأن تبذل كل مساعيها الحميدة، وأن تقوم بكافة الخطوات الضرورية لفتح أبواب **هجرة اليهود** إلى فلسطين، وان يكون لهم الحق في استعمار **هذه البلاد وإنشاء دولة يهودية** حرة ديمقراطية فيها". (٣٦)

ب– وفي ٩ مارس ١٩٤٤م ذكرت وكالة رويتر في برقية صادرة من واشنطن ما يلي:

" إن الحاخامين الدكتور ستيفن وايز والدكتور ابا هيلل سيلفر ممثلين عن الحركة الصهيونية الفلسطينية قابلا الرئيس روزفلت اليوم، وقد صرح لهما بإعلان البيان التالي على لسانه: "إن الحكومة الأمريكية لم توافق مطلقاً على الكتاب الأبيض الصادر في لندن سنة ١٩٣٩م والذي حدد هجرة اليهود إلى فلسطين، إن الرئيس روزفلت يعلن عن سعادته لأن أبواب فلسطين سوف تفتح الآن أمام اللاجئين اليهود، وعندما يجيء الوقت لتقرير شؤون منطقة الشرق الأوسط فإن الحقوق العادلة سوف تتأكد لكل هؤلاء الذين يطالبون بوطن قومي لليهود في فلسطين. إن ذلك الهدف تنظر إليه الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي بعطف عميق.

---

(٣٥) المصدر السابق: ص ١٢١.
(٣٦) المصدر السابق: ص ١٧٣.

والآن أكثر من أي وقت مضى فإن مأساة مئات ألوف من اليهود لابد أن تلفت نظر الجميع وأن توجههم على العدل والخير". (٣٧)

ج- وفي ١٧ مارس ١٩٤٥م اصدر روزفلت بناء على طلب الحاخام وايز تصريحاً أكد فيه تصريحه المذكور آنفاً، حيث نشرت جريدة (النيويورك تايمز) الخبر التالي:

اجتمع الحاخام وايز أمس مع الرئيس روزفلت في البيت الأبيض، وقد خرج بعد المقابلة التي استمرت خمسين دقيقة ليدلي ببيان جاء فيه: "إن رئيس الولايات المتحدة خولني أن أنقل عنه التصريح التالي وعلى لسانه:

"إني أوضحت لكم موقفي فيما يتعلق بالصهيونية في لقاءات سابقة، ولم يتغير موقفي اليوم عما كان عليه، وسوف أظل أعمل من أجل هذا الهدف الصهيوني وتحقيقه في أسرع وقت ممكن". (٣٨)

د- وعندما تولى الرئيس ترومان أصدر في أغسطس ١٩٤٥م امراً يعلن فيه أنه قرر السماح لمائة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين. (٣٩)

هـ - وفي ٢٦ يونيو ١٩٤٦م أرسل رئيس الوزراء البريطاني كلمنت آتلى إلى هاري ترومان الرئيس الأمريكي رسالة سرية يخطره فيها أن الحكومة البريطانية تنوي اتخاذ إجراءات صارمة في يوم ٢٩ يونيو ١٩٤٦م تتضمن احتلال مكاتب الوكالة اليهودية، وقد تشمل هذه الإجراءات القادة العسكريين للهاجاناه (قوات الدفاع التابعة للوكالة اليهودية)، وأية عناصر خارج هذه المنظمة لمنع الهجرة غير المشروعة التي تحميها الوكالة بالسلاح، ولإيقاف العمليات التي تقوم بها الجماعات الصهيونية ضد القوات البريطانية.

وتحركت جماعات الضغط اليهودي بسرعة في واشنطن وظهرت ثمرة تحركها سريعاً إذ صدر بيان صحفي من البيت الأبيض في ٢ يوليو ١٩٤٦م كان نصه كالآتي:

"اجتمع الرئيس هاري ترومان اليوم بعدد من الأعضاء الأمريكيين في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين، وهم: الحاخام ستيفن وايز، والدكتور ناحوم حولدمان، والمستر لويس ليبسكس، والحاخام أبا هيلل سيلفر.

---

(٣٧) المصدر السابق:ص ١٨٠، ١٨١.
(٣٨) المصدر السابق: ص ١٩٧.
(٣٩) المصدر السابق: ص ٢٠٠.

إن ممثلي الوكالة عرضوا على الرئيس وجهة نظرهم فيما جرى أخيراً من أحداث في فلسطين.

وقد أخطر ممثلي الوكالة اليهودية أن الولايات المتحدة لم تستشر مقدماً في الإجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية هناك.

إن الرئيس أضاف إلى ذلك إعرابه عن أمله في الإفراج عن كل القيادات اليهودية في فلسطين على الفور.

إن الرئيس أضاف كذلك عزمه على أن الأحداث الأخيرة في فلسطين لن تؤثر على سياسة فتح أبواب فلسطين لهجرة مائة ألف يهودي من أوروبا إليها".

ولم يشر البيان الصحفي الصادر عن الاجتماع إلى أهم الوقائع التي جرت فيه، وإن كانت مجموعة الوثائق الأمريكية لسنة ١٩٤٦م في صفحة ٦٤٥ تشير إليها، وخلاصتها أن الرئيس ترومان بحث التكاليف المالية لهجرة مائة ألف يهودي إلى فلسطين، وأنها تصل إلى ٤٥٠ مليون دولار (بقيمة الدولار في ذلك الوقت وهي تساوي عشرة أمثال قيمته اليوم).

وقد تطوع الرئيس ترومان على الفور بأن الولايات المتحدة سوف تتحمل وحدها نفقات النقل، وفي نفس الوقت أبدى الزعماء اليهود بأن لديهم ٢٥٠ مليون دولار جاهزة لعملية التوطين، وإن كانت لا تفي إلا بجزء منها.[٤٠]

و- وفور إعلان قيام الدولة اليهودية عقب انتهاء الانتداب البريطاني في ١٤ مايو ١٩٤٨م اعترفت الولايات المتحدة بالدولة الجديدة وطالبت الأمم المتحدة بالاعتراف بها.[٤١]

٣- واستمرت أمريكا في دعم وتأييد إسرائيل وتشجيعها على الاعتداء على جيرانها العرب، والتوسع على حسابهم، بل وفرض تفوقها عليهم، وإرغام العرب على الاستسلام لها.

والوقائع والأحداث في هذا الصدد أكثر من أن تحصر ولكننا هنا نشير إلى بعض الأمثلة الهامة فقط.

(٤٠) المصدر السابق: ص٢٢٨ إلى ٢٣٠.
(٤١) المصدر السابق: ٢٥٢، ٢٥٣.

أ- ففي حرب أكتوبر ١٩٧٣م بين العرب وإسرائيل أنشأت أمريكا فور قيام الحرب جسراً جوياً بين أمريكا وإسرائيل، نقلت به الأسلحة والمعدات والذخائر بل والدبابات من مخازن وحدات الجيش الأمريكي العاملة مباشرة إلى ميدان القتال.

وعن هذا الجسر الجوي يقول محمد عبد الغني الجسمي وزير الحربية المصري الأسبق:

"واستمر الجسر الجوي الأمريكي مدة ٣٣ يوماً اعتباراً من ١٣ أكتوبر حتى ١٤نوفمبر ١٩٧٣م استخدم فيها حوالي ٢٤% من حجم طائرات النقل التابعة لقيادة النقل الجوي في اليوم الواحد طوال مدة عمل الجسر.

- وقد تمكن الجسر الجوي من نقل ٢٢،٤٩٧ ألف طن من الأسلحة والمعدات والذخيرة إلى إسرائيل، ونقل منها حوالي ٣٩% خلال الفترة ١٣ . ١٤أكتوبر ١٩٧٣م وذلك بالإضافة إلى ٨ طائرات مدنية إسرائيلية من طراز (٧٤٧، ٧٠٧) قامت بنقل ٥٥٠٠ طن معدات خلال الفترة نفسها.

واستكمالاً لإمداد إسرائيل بالأسلحة والمعدات، أنشأت جسراً بحرياً خصص أساساً لنقل المعدات كبيرة الحجم، حيث وصلت أول سفينة إلى إسرائيل يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٣م بحمولة ٣٣٢١٠ أطنان من الدبابات والمدافع والعربات.

وبلغ إجمالي ما تم نقله بالجسر البحري ٧٤% من إجمالي حجم خطة الإمداد والمعونة العسكرية العاجلة.

وكان الغرض من ذلك هو تعويض خسائر الحرب، وسرعة رفع الكفاءة القتالية.

لقد تنوعت وتعددت الأسلحة والمعدات والذخيرة التي وصلت إلى إسرائيل بواسطة الجسر الجوي.

وكان أبرز الأنواع التي نقلت هي محركات الطائرات فانتوم وأجنحتها، ومستودعات قنابل جو/ أرض، ومجموعات أجزاء طائرات سكاي هوك، ومعدات نظام دفاع جوي من طراز فولكان وشابؤال، وصواريخ جو/ أرض، وعبوات إعاقة، ومعدات فنية لصيانة محركات الطائرات.... الخ.

أما عن أسلحة القوات البرية فقد اشتملت على الدبابات، والصواريخ المضادة للدبابات من طراز تاو، وأنواع مختلفة من المدفعية، ومواسير مدافع، وذخيرة دبابات ومدفعية، وأجهزة إشارية... الخ.

ومن الملاحظ أن الجسر الجوي الأمريكي بدأ يوم ١٣ أكتوبر وهو اليوم السابق لتطوير الهجوم المصري في اتجاه المضايق يوم ١٤ أكتوبر، وتمكنت إسرائيل من صد هذا الهجوم.

ومما يلفت النظر أيضاً أن أبرز الأيام التي تميزت بضخامة حجم المجهود الجوي المخصص للنقل إلى إسرائيل كانت هي أيام ١٥، ١٦، ١٧، ٢١ أكتوبر، وهي الفترة التي حدثت فيها ثغرة الدفرسوار، وكان لإسرائيل المبادأة فيها على الجبهة المصرية، حتى إيقاف النيران يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣م.

وبهذا الجسر الجوي تمكنت أمريكا من رفع الكفاءة القتالية للقوات الإسرائيلية في المرحلة الأخيرة من حرب أكتوبر، الأمر الذي جعل ميزان القوة العسكرية يتحول إلى جانب إسرائيل.

كما أبرزت أمريكا دعمها وتأييدها المطلق لإسرائيل في هذه الحرب. وفي تقديري: كان الجسر الجوي الأمريكي، وكذا الاستطلاع الجوي الأمريكي لجهة القناة يوم ١٣، ١٥ أكتوبر (......) سبباً رئيسياً لإحداث تفوق عسكري إسرائيلي، جعلها قادرة على تنفيذ الثغرة (معركة الدفرسوار) بنجاح.

وبدون هذا الدعم العسكري لإسرائيل بطريقة مباشرة وسافرة ما كان يمكن لإسرائيل تحقيق هذا النجاح الذي حققته في المرحلة الأخيرة من الحرب".[(٤٢)]

ب- ولم يتوقف التأييد السياسي لإسرائيل أو ممارسة الضغوط على جيرانها يوماً منذ إنشائها. ومن أمثلة ذلك أنه في نفس يوم توقيع معاهدة السلام في واشنطن في ١٩٧٩/٣/٢٦م، وقعت أمريكا وإسرائيل اتفاقاً باسم (اتفاق التفاهم بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بشأن تقرير الولايات المتحدة لضماناتها العسكرية لإسرائيل في حالة انتهاك معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية).

ومما جاء في هذا الاتفاق الخطير:

---

(٤٢) محمد عبد الغني الجسمي: مذكرات الجسمي، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ص ٣٩٧ إلى ٣٩٩- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م –المنشورات الشرقية- باريس ١٩٩٠.

٢- وإذا ما اتضح للولايات المتحدة أن انتهاكاً لمعاهدة السلام أو تهديداً بانتهاكها قد حدث، فإن الولايات المتحدة تستشير الأطراف حول التدابير الواجب اتخاذها لوقف هذا الانتهاك.

وسوف تتخذ ما تعتبره ملائماً من الإجراءات. بما في ذلك الإجراءات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية المذكورة فيما بعد.

٣- سوف تقوم الولايات المتحدة باتخاذ ما تراه لازماً مساندة لما تقوم به إسرائيل من أعمال لمواجهة انتهاكات على هذا النحو لمعاهدة السلام، خاصة إذا ما رئي أن انتهاك معاهدة السلام يهدد أمن إسرائيل، بما في ذلك على سبيل المثال تعرض إسرائيل لحصار يمنعها من استخدام الممرات المائية الدولية، أو انتهاك معاهدة السلام بشأن الحد من القوات، أو شن هجوم مسلح على إسرائيل فإن الولايات المتحدة على استعداد لأن تنظر بعين الاعتبار وبأقصى سرعة في اتخاذ إجراءات مثل تعزيز وجود الولايات المتحدة في المنطقة وتزويد إسرائيل بالمستحقات العاجلة، وممارسة حقوقها البحرية لوضع حد للانتهاك.

٥- سوف تعترض الولايات المتحدة وتعارض عند الضرورة أي **عمل أو قرار للأمم المتحدة يتعارض – في وجهة نظرها– مع معاهدة السلام!!!**

٦- إن الاتفاقات والتأكيدات القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل **لا تلغيها أو تعدلها معاهدة السلام!!!**"

وسلمت الولايات المتحدة صورة من المذكرة إلى السادات في اليوم السابق على توقيع المعاهدة، ولكن ذلك لم يمنع السادات من التوقيع على المعاهدة في اليوم التالي. بل ووقع أيضاً على وثيقة جديدة بعنوان (الاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وغزة).(٤٣)

ويتبين بالنظر في هذا الاتفاق عدة معان في غاية الخطورة:

(١) فأمريكا أعطت نفسها الحق في استخدام قوتها العسكرية ضد مصر إذا حاولت أن تقوم بعمل تعتبره أمريكا انتهاكاً لمعاهدة السلام أو تهديداً لأمن إسرائيل.

(٤٣) محمد فوزي: حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ –دراسة ودروس ص ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٤٧- الطبعة الأولى ١٩٨٨م- دار المستقبل العربي القاهرة.

(٢) وأمريكا وقعت هذا الاتفاق مع طرف واحد من طرفي المعاهدة – وهو إسرائيل– وليس مع الطرفين. أي لأن تهديد أمريكا باستخدام نفوذها وقوتها العسكرية موجه ضد مصر فقط، إذا حاولت انتهاك المعاهدة وليس ضد إسرائيل.

(٣) وأمريكا أعطت لنفسها حق الاعتراض على أي عمل أو قرار للأمم المتحدة يتعارض – في نظرها– مع معاهدة السلام.

أي أن معاهدة السلام وأمن إسرائيل أهم عند أمريكا من الأمم المتحدة وقرارها. ومن هنا يتضح مدى النفاق الأمريكي في استخدام الأمم المتحدة وصنم الشرعية الدولية لخدمة مصالحها.

فأمريكا تعلن بصراحة عدم التزامها بقرارات الأمم المتحدة فيما يخص أمن إسرائيل، بينما تلزم دول العالم الفقير – وخاصة الإسلامي – بالانصياع التام إلى حد الإذلال وقتل مئات الألوف من الأطفال لقرارات الأمم المتحدة.

(٤) وأمريكا تعتبر أن هذا الاتفاق لا تلغيه أو تعدله معاهدة السلام. أي أن ذلك الاتفاق له الأولوية على معاهدة السلام. بينما نصت المادة السادسة من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل على:

"في حال وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزاماتها الأخرى، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة".

أي أن اتفاقية السلام لها الأولوية على أية معاهدة تلزم مصر بإعلان الحرب ضد إسرائيل. وهذا القيد مقصود به تخلى مصر عن التزاماتها التي التزمت بها في معاهدة الدفاع العربي المشترك، والتي تلزم مصر بالتدخل ضد أي عدوان يقع على أي دولة مشتركة في تلك المعاهدة.

وبالتالي فإن هذه المادة المذكورة من اتفاقية السلام تحظر على مصر التدخل إذا هددت إسرائيل أية دولة عربية.

فانظر إلى الوضع المذل الذي وضع السادات مصر فيه في مقابلة أمريكا وإسرائيل. فبينما تعلن أمريكا – في اتفاق موثق – أن التزامها بحماية أمن إسرائيل فوق معاهدة السلام، يوقع السادات على أن معاهدة السلام فوق التزام مصر بالدفاع عن جيرانها العرب ضد هجمات إسرائيل.

وقد ظهر أثر هذا القيد المذل واضحاً، فبعد معاهدة السلام ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي، وغزت جنوب لبنان وأنشأت فيه جيشاً عميلاً لها، واحتلت جزيرة دهلك في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وزادت من دعمها للحركة الانفصالية في جنوب السودان، وتحالفت مع تركيا لحصار سوريا، بل وتلمح بأن أمن إسرائيل يمتد إلى باكستان شرقاً في إشارة واضحة إلى البرنامج النووي الباكستاني الذي تعده إسرائيل تهديداً لها، ولم تحرك مصر ساكناً.

ج- ومن الأمثلة الصارخة أيضاً على مدى التأييد الأمريكي لإسرائيل إلى حد إجبار الأنظمة العميلة لها على الاستسلام، ضغط أمريكا على النظام المصري للتوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية، في الوقت الذي تعلن فيه إسرائيل علانية أنها لن توقع لظروفها الخاصة. ومع ذلك تظهر أمريكا تعاطفها معها وتغض الطرف عنها.

أي أن أمريكا تركت السلاح النووي عمداً في يد إسرائيل لتهدد به جيرانها العزل المنصاعين لإرادة أمريكا.

ومن المثير للدهشة والاستياء في آن واحد؟ أن دولاً أخرى مثل الباكستان – ذات العلاقة القوية بأمريكا- رفضت التوقيع على تلك المعاهدة طالما أن الهند – عدوتها – لم توقع، ولم تتمادى إلى الدرك الذي وصل إليه النظام المصري في التخلي عن كل شيء طاعة لأمريكا.

يتبين لنا مما سبق أن جريمة إنشاء إسرائيل في قلب الأمة المسلمة جريمة تواطأت عليها دور الغرب وكان – ولا يزال – دور أمريكا في هذه الجريمة هو دور **زعيمة المجرمين**.

ويتبين لنا أيضاً أن الدول الغربية في ضلوعها في هذه الجريمة كانت مدعومة بتأييد شعوبها.

وهذه الشعوب شعوب تتمتع بحرية قرارها.

صحيح أنها قد تقع تحت تأثيرات ضخمة من التضليل والتشويه الإعلامي، ولكنها في النهاية تعطي أصواتها في الانتخابات لتختار الحكومات التي تريدها، ثم تدفع لها الضرائب لتمويل سياساتها عن رضا، ثم تحاسبها بعد ذلك على طريقتها في إنفاق هذه الأموال.

وبغض النظر عن الطريقة التي تحصل بها هذه الحكومات على أصوات الناخبين، فإن الناخبين في الدول الغربية يعطون أصواتهم في النهاية باختيارهم.

وهذه الشعوب باختيارها طالبت وأيدت ودعمت إنشاء واستمرار دولة إسرائيل.

وهذا المطلب ظلت شعوب الغرب تطالب به لعقود طويلة، وهذه المطالبة لم تأت جزافاً، وإنما جاءت ثمرة لشجرة رويت بماء الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين لقرون عديدة.

لذا فعداء هذه الشعوب للإسلام والمسلمين حقيقة واقعة وعقيدة راسخة في نفوس الغربيين، أحسن اليهود استثمارها أيما إحسان.

ومسئولية هذه الشعوب عن الجرائم التي ترتكب ضد الإسلام والمسلمين مسئولية كاملة لا شك فيها.

هذه الحقيقة يجب أن نعترف بها سواء رضيناها أم كرهناها.

وبناء على هذه الحقيقة يجب أن تنبني سياستنا الواقعية تجاه الغرب حتى لا نسقط من سماء الوهم فنرتطم بأرض الواقع.

ليس هذا فحسب بل يجب أن نقر بأن الغرب وعلى رأسه أمريكا الخاضعة لنفوذ اليهود لا يعرف لغة الأخلاق والمبادئ والحقوق المشروعة.

إنهم يفهمون فقط لغة المصالح المدعومة بالقوة العسكرية الغاشمة.

لذا إذا أردنا أن نحاورهم، وأن نفهمهم حقوقنا فعلينا أن نكلمهم باللغة التي يفهمونها.

٤- حكم الشريعة الإسلامية في إسرائيل

أ- اتفق فقهاء المسلمين على أن الأعداء الكفار إذا دخلوا إلى ديار الإسلام أصبح جهادهم فريضة عينية على كل مسلم في هذه البلاد، وإذا عجز أهل تلك البلاد عن طردهم أو تكاسلوا، اتسع هذا الفرض العيني حتى يسع المسلمين في الدنيا كلها.

(١) ومن أقوال علماء الأحناف في هذه المسألة:

- يقول الإمام أبو بكر الجصاص (رحمه الله): "معلوم من اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفروا إليهم وأن يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة".[٤٤]

- يقول ابن عابدين (رحمه الله) في حاشيته: " وفرض عين إن هجموا على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منهم (وهم يقدرون على الجهاد ونقل صاحب النهاية عن الذخيرة أن الجهاد إذا جاء النفير إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو)، فأما من وراءهم ببعد من العدو، فهو فرض كفاية (عليهم حتى يسعهم تركه) إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان يقرب العدو عن المقاومة أو لم يعجزوا عنها، ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً على هذا التدرج".[٤٥]

(٢) ومن علماء المالكية في هذه المسألة:

- قال القرطبي (رحمه الله): "قد تكون حالة يجب فيها نفير الكل، وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على الجميع أهل جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه، ومن لا أب له ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر — أي عاجز عن القتال لكن يكثر بحضوره سواد المسلمين- فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم أن يخرجوا على حسب ما يلزم أهل تلك

(٤٤) أحكام القرآن للجصاص — باب فرض النفير والجهاد — تفسير قول الله تعالى:(يا أيها الذين ما لكم إذا قيل لكم انفروا ... الآية)- ج٤ ص ٣١٢- دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ.
(٤٥) ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، حاشية ابن عابدين، كتاب الجهاد، مطلب في الفرق بين العين وفرض الكفاية ج ٣ ص ٢٤٠، المكتبة الحقانية، بيشاور باكستان.

البلدة عن القيام بعدوهم، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم، ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضاً الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة، وتحفظ **الحوزة ويخزى العدو**، ولا خلاف في هذا".(٤٦)

– وقال ابن عطية: "والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية، إذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام، فهو حينئذ فرض عين".(٤٧)

– وجاء في حاشية الدسوقي:" ويتعين الجهاد بفجء العدو أي توجه الدفع بفجء – مفاجئة – على كل أحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين".(٤٨)

(٣) ومن قول علماء الشافعية في هذه المسألة:

– قال الرملي (رحمه الله):" فإن دخلوا بلدة لنا وصار بيننا وإياهم دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع حتى ممن لا جهاد عليهم من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة".(٤٩)

(٤) ومن أقوال علماء الحنابلة في هذه المسألة:

– قال الخرقي (رحمه الله) في مختصره:"وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا المقل منهم والمكثر".

– وقال ابن قدامة (رحمه الله) في شرحه: وقوله:" المقل منهم والمكثر" يعني – والله أعلم – الغني والفقير، ومعناه أن النفير يعم جميع الناس ممن كان من أهل القتال حين الحاجة لنفيرهم لمجيء العدو إليهم، ولا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان

---

(٤٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٠-١٥١.
(٤٧) المصدر السابق: ج٣ ص ٣٨.
(٤٨) حاشية الدسوقي: ج٢ ص ١٧٤.
(٤٩) نهاية المحتاج للرملي: ج٨ ص٥٨.

والأهل والمال، ومن يمنعه الأمير من الخروج أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال، وذلك لقوله تعالى:{انفروا خفافاً وثقالاً}، وقوله صلى الله عليه وسلم:"وإذا استنفرتم فانفروا".(٥٠)

– ويقول شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيميه (رحمه الله): "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، وهو واجب إجماعاً".

فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط –كالزاد والراحلة– بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم".(٥١)

ويقول أيضاً:" إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه، بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا".(٥٢)

ب– وإذا كان وجود إسرائيل مرفوضاً وواجب على المسلمين جهاد اليهود حتى يطردوهم من فلسطين، فبالتالي لا يجوز الصلح معهم لأن الصلح يؤدي إلى إسقاط فرض الجهاد العيني.

وللإمام التسولي المالكي رحمه الله كلام نفيس جداً في هذا الشأن – في إجابته على أسئلة الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله – حيث قيد الصلح مع العدو في حالة كون العدو مطلوباً في أرضه فقط، أما في حالة كون العدو طالباً للمسلمين في أرضهم فمنع (رحمه الله) من ذلك، فقال بعد أن تكلم عن جواز الصلح إذا كان العدو مطلوباً في أرضه:" وأما إن كان العدو طالباً –كما في تلك الناحية وغيرها من الأقطار– فقال في (المعيار)(٥٣):"لا يجوز الصلح والهدنة بحال، وإن وقع وجب نقضه، **لأن العدو حيث نزل أو قارب النزول**

(٥٠) ابن قدامة المقدسي: المغني ج١٠ ص ٣٨٩.
(٥١) ابن تيميه: الاختيارات العلمية والفتاوى الكبرى: ج٥ ص ٥٣٨.
(٥٢) المصدر السابق:ج٥ ص ٥٣٩، راجع أيضاً الموسوعة الفقهية – مادة جهاد– ما ينتهي به القتال– فقرة ٩ ب– ج١٦ ص ١٢٩ وما بعدها– إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت – الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.
(٥٣) يقصد الإمام الونشريسى (رحمه الله) في كتابه (المعيار المعرب والجامع المغرب وفتاوى إفريقية والأندلس والمغرب).

فالجهاد متعين، وترك المتعين ممتنع، فالصلح المذكور ممتنع، لأنه تعود على العدو أهلكه الله مصلحته وعلى المسلمين مفسدته".[٥٤]

يقول الشيخ عليش المالكي (رحمه الله): "إذا وقع الخليفة الصلح مع النصارى والمسلمون لا يرون إلا الجهاد، فمهادنته منقوصة، وفعله مردود، **وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالبا على المسلمين، وكل ما تعين به فرض الجهاد مانع من الصلح، لاستلزامه إبطال فرض العين** الذي هو الجهاد المطلوب في الاستنقاذ، فالصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين، وترك الجهاد المتعين ممتنع، وكل ممتنع غير لازم".[٥٥]

– ولعلماء الأزهر فتوى مشهورة صادرة عن لجنة الفتوى بالأزهر في سنة ١٩٥٦م، إجابة على حكم الصلح مع الدولة اليهود في فلسطين أعلنت اللجنة: "إن الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب في الاستمرار في غصب ما اغتصبه، وتمكينه والاعتراف بأحقية يده عليه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه.

فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم، بل يجب على المسلمين أن يتعاونوا جميعاً – على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم – لرد هذه البلاد إلى أهلها.

ومن قصّر في هذا أو فرّط فيه، أو خذل المسلمين عن الجهاد، أو دعا إلى ما شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار من تنفيذ مخططهم ضد العرب والإسلام وضد فلسطين فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام".[٥٦]

– بل لقد أفتى علماء فلسطين فتوى مشهورة بحرمة بيع الأراضي لليهود في اجتماعهم المنعقد في القدس في ١٩٣٥/١/٢٦. ونحن نوردها هنا لأهميتها التاريخية والشرعية:

" الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(٥٤) أجوبة التسولي على مسائل عبد القادر الجزائري، ص ٢٧٢، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، دار الغرب الإسلامي بيروت. وهذا كتاب نفيس جداً من الناحيتين الفقهية والتاريخية.

(٥٥) فتح العلي المالك ج١ ص ٢٨٩.

(٥٦) موسوعة الذخائر العظام للشيخ عبد الله عزام: ج١ ص ٨٥٦ إلى ٨٥٨.

أما بعد:

فإننا نحن المفتين والقضاة والمدرسين والخطباء والأئمة والوعاظ وسائر علماء المسلمين ورجال الدين في فلسطين المجتمعين اليوم في الاجتماع الجليل المنعقد في بيت المقدس بالمسجد الأقصى المبارك حوله، بعد البحث والنظر فيما ينشأ عن بيع الأراضي في فلسطين من تحقيق المقاصد الصهيونية في تهويد هذه البلاد الإسلامية، وإخراجها من أيدي أهلها، وإجلائهم عنها، وتعفيه أثر الإسلام منها، بخراب المساجد والمعابد والمقدسات الإسلامية، كما وقع في القرى التي تم بيعها لليهود، وأخرج أهلها مشردين في الأرض، كما يخشى أن يقع – لا سمح الله – في أولى القبلتين وثالث المسجدين، المسجد الأقصى المبارك.(٥٧)

وبعد النظر في الفتاوى التي أصدرها المفتون وعلماء المسلمين في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا **وفلسطين** والأقطار الإسلامية الأخرى. والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع والتوسط فيه وتسهيل أمره بأي شكل وصورة، وتحريم الرضى بذلك كله والسكوت عنه، وأن ذلك أصبح بالنسبة لكل فلسطيني صادراً عن عالم بنتيجته راض بها، لذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله، كما جاء في فتوى سماحة السيد أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

بعد النظر والبحث في ذلك كله، وتأييد ما جاء في تلك الفتاوى الشريفة، والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في بيع الأراضي في فلسطين لليهود والمسهل له هو:

أولاً: عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم.

ثانياً: مانع لمساجد الله أن يذكر فيها اسمه وساعٍ في خرابها.

ثالثاً: متخذ اليهود أولياء، لأن عمله يعد مساعدة ونصراً لهم على المسلمين.

رابعاً: مؤذ لله ورسوله وللمؤمنين.

خامساً: خائن لله ولرسوله وللأمانة.

(٥٧) وقد وقع فعلاً ما كانوا يخشونه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالرجوع للأدلة المبينة للأحكام – في مثل هذه الحالات – من آيات كتاب الله كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }الأنفال ٢٧، {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }الأنفال ٢٨، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً }الأحزاب ٥٨، وقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }البقرة ١١٤، وقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }، {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } الممتحنة ٨،٩.

وقوله تعالى في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }المائدة ٥١. وقد ذكر الأئمة المفسرون أن معنى قوله تعالى: (فإنه منهم) أي من جملتهم وحكمه حكمهم.

فيعلم من جميع ما قدمناه من الأسباب والنتائج والأقوال والأحكام والفتاوى أن بائع الأرض لليهود في فلسطين – سواء كان مباشرة أو بالواسطة – وأن السمسار في البيع والمسهل له والمساعد عليه بأي شكل – مع علمهم بالنتائج المذكورة –كل أولئك ينبغي ألا يصلى عليهم، ولا يدفنوا في مقابر المسلمين، ويجب نبذهم، ومقاطعتهم، واحتقار شأنهم، وعدم التودد إليهم، والتقرب منهم، ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً أو أزواجاً.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }التوبة ٢٣، ٢٤.

هذا وإن السكوت عن أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعاً.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الأنفال ٢٤، ٢٥.

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإنه مولانا وهو نعم المولى ونعم النصير.

تحريراً في ٢٠ شوال ١٣٥٣ هـ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٥م".[٥٨]

فانظر أيها القارئ الكريم إلى هذه الفتوى، **وكيف حرم فيها العلماء – المجتمعون في المسجد الأقصى – بيع مئات من الأمتار لليهود، فكيف بمن سلم لهم بلداً بأكمله بأرضه وجباله ووديانه وأنهاره وبساتينه وسواحله؟؟؟**

وانظر أيها القارئ الكريم إلى علة تحريم بيع الأرض في هذه الفتوى، حتى لا تؤدي إلى "تحقيق المقاصد اليهودية في تهويد هذه البلاد الإسلامية، وإخراجها من أيدي أهلها وإجلائهم عنها، وتعفية أثر الإسلام منها".

فإذا كان بيع الأرض محرماً لأنه سبب إلى تهويد البلاد، فما بالك بمن سلم بتهويد البلاد وأقر لليهود بملكيتها؟؟؟

فالخلاصة أن الصلح مع اليهود باطل بطلاناً أصلياً لأنه يؤدي إلى منع الجهاد وبالتالي استيلاء الكفار على بلاد المسلمين.

ج- وإذا طبقنا أحكام الشريعة الإسلامية على معاهدات الصلح مع إسرائيل وأشهرها معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الموقعة في واشنطن في ١٩٧٩/٣/٢٦، فإننا نجدها باطلة بطلاناً أصلياً وفرعياً: فأما البطلان الأصلي فلمنعها للفريضة العينية في جهاد اليهود وإقرارها باستيلائهم على فلسطين، وأما البطلان الفرعي فلمخالفتها لكل الشروط التي اتفق العلماء على اشتراطها في أية معاهدة بين المسلمين والكفار:

(١) فأول هذه الشروط التي اشترطها الفقهاء: أن هذه المعاهدات يجب أن يعقدها الإمام أو من ينيبه الإمام.

---

(٥٨) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٩-١٩٣٩) من أوراق أكرم زعيتر ص ٣٧٤-٣٨٧- نشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

قال الإمام ابن قدامة المقدسي (رحمه الله):

"فصل: لا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلا من الإمام أو نائبه، لأنه عقد مع جملة الكفار، وليس ذلك لغيره، ولأنه يتعلق بنظر الإمام وما يراه من المصلحة على ما قدمنا، ولأن تجويزه من غير الإمام يقتضي تعطيل الجهاد بالكلية أو تلك الناحية، وفيه افتيات على الإمام، فإن هادنهم غير الإمام أو نائبه لم يصح".(٥٩)

ولكن الذين وقعوا هذه المعاهدات مع اليهود ليسوا مسلمين فضلاً عن أن يكونوا حكاماً للمسلمين.

فهؤلاء حكام خارجون عن الشريعة الإسلامية لتحاكمهم إلى دساتير وقوانين وضعية مخالفة للشريعة الإسلامية.

وهم لا يترأسون حكومات إسلامية بل يترأسون حكومات علمانية لا تتحاكم إلى الشريعة بنص دساتيرهم.

وقد نص على كفر أمثالهم كثير من الأئمة السابقين كالقرطبي وابن حزم وابن تيميه وابن القيم وابن كثير وابن حجر العسقلاني والنووي (رحمهم الله).

كما صرح بكفر أمثالهم كثير من علماء العصر مثل الشيخ أحمد شاكر والشيخ محمود شاكر والشيخ محمد بن إبراهيم – مفتي السعودية السابق- والشيخ محمد حامد الفقي (رحمهم الله) والشيخ محمد نعيم ياسين والشيخ الشهيد –كما نحسبه – عبد الله عزام (رحمه الله) والشيخ المجاهد الأسير عمر عبد الرحمن (فك الله أسره).(٦٠)

بل لقد حكم عليهم قضاتهم بذلك، وأقروا على أنفسهم به. ومن الأمثلة على ذلك حكم القاضي عبد الغفار محمد في قضية الجهاد الكبرى الشهيرة المعروفة، الذي أوردناه سابقاً.

---

(٥٩) ابن قدامة المقدسي: المغني –كتاب الجهاد- ج ٧ ص ٤٦٠، ٤٦١- طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٦٠) الحكم الشرعي في هؤلاء الحكام فصلناه في كثير من إصدارات جماعة الجهاد، وسأتناوله بشيء من التفصيل في هذا الكتاب إن شاء الله، وخاصة عند الكلام عن: وضوح العقيدة لدى الجماعات الجهادية.

فالخلاصة أن حسني مبارك وسلفه السادات ليسوا حكاماً مسلمين، ولا يترأسون حكومات إسلامية، بل يترأسون حكومات علمانية لا تحكم بالشريعة الإسلامية.

فكيف يصح في الشريعة الإسلامية عقدهم – مع اليهود – نيابة عن الأمة المسلمة.

(٢) وثاني هذه الشروط التي اشترطها الفقهاء: هي أن يكون عقد الصلح لمصلحة المسلمين، فإن لم يحقق مصلحة المسلمين أو جلب عليهم ضرراً بطل العقد.

يقول ابن قدامة المقدسي (رحمه الله): " ولا يجوز ذلك (أي الهدنة) إلا للنظر للمسلمين، إما أن يكون بهم ضعف عن قتالهم وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم أو في أدائهم الجزية والتزامهم أحكام الملة أو غير ذلك من المصالح".(٦١)

والمتأمل لمعاهدات السلام مع اليهود يجد أنها قد امتلأت بالأضرار التالية:

(أ) فقد أقرت هذه المعاهدات بوجود إسرائيل واستيلائها على فلسطين، وهي أرض أشرف بلاد المسلمين فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين وكفى بهذا ضرراً.

فالمادة الثانية من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية تنص على احترام كل من البلدين لحدود البلد الآخر" البرية والبحرية والجوية" وعدم مسها.(٦٢)

(ب) ليس هذا فحسب، بل إن المعاهدة المصرية الإسرائيلية كمثال لمعاهدات الاستسلام قد شلت قدرة مصر في الدفاع عن نفسها:

١- حيث قسمت سيناء حسب المعاهدة إلى ثلاث مناطق:

أ- المنطقة الأولى: تنحصر ما بين قناة السويس غرباً إلى خط يقع ٥٠ كيلومتر شرقها، ولا تضم هذه المنطقة المضايق الإستراتيجية غرب القناة، وقد سحبت من هذه المنطقة كل قوات الجيش المصري فيما عدا قوة قليلة عبارة عن فرقة مشاة ميكانيكية لا يزيد عددها عن ٢٢ ألف جندي.

---

(٦١) ابن قدامة المقدسي: المغني –كتاب الجهاد- فصل في معنى الهدنة – ج ٧ ص ٤٥٩- طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، راجع أيضاً الموسوعة الفقهية –مادة الجهاد- ما ينتهي به القتال – فقرة ٤٤- ج ١٦ ص ١٦٣- إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت- الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

(٦٢) رياض الأشقر: المصدر السابق.

ب- المنطقة الثانية: وتمتد من المنطقة السابقة حتى خط الممرات الوسطى في وسط سيناء ويوجد فيها ٤٠٠٠ جندي من حرس الحدود يحملون أسلحة خفيفة فقط.

ج- المنطقة الثالثة: وتقع شرق المنطقة الثانية وتمتد حتى خط الحدود الدولية مع فلسطين (بطول سيناء وعرض يتراوح ما بين ٢٠ إلى ٤٠ كيلومتر من الحدود) ولا يصرح في هذه المنطقة بأي وجود عسكري لمصر ويسمح فيها فقط بالوجود للشرطة المدنية التي تحمل أسلحة خفيفة، كما توجد فيها قوات حفظ السلام ومنها الكتيبة الأمريكية الكاملة التسليح — بما في ذلك أسلحتها الثقيلة — والتي تتبع قيادتها مباشرة في أمريكا أو أوروبا، ولا تتبع الأمم المتحدة، وتعتبر طليعة متقدمة لغزو سيناء بأية قوات أمريكية.

٢- أما داخل إسرائيل فقط اقتصر تقييد تسليح اليهود على شريط رمزي عرضه ٣ كيلومترات شرق الحدود الدولية مع مصر وسمح لليهود فيه بوجود أربع كتائب مشاة ميكانيكية و ١٨٠ مدرعة، ويوجد في هذه المنطقة مراقبون فقط للأمم المتحدة وليس قوات لحفظ السلام.

٣- ومن هذا العرض يتضح أن الحكومة المصرية قد **استردت سيناء شكلياً ولكنها بقيت في يد اليهود عسكرياً**، لأن استعراض بنود المعاهدة وملحقاتها يظهر الحقائق التالية:

أ- حدود مصر التي يمكن الدفاع عنها ارتدت ١٥٠ كيلومتر إلى غرب حدودها الدولية مع فلسطين لتصبح على بعد ٥٠ كيلومتر فقط من قناة السويس.

ب- المنطقة من الحدود السياسة إلى الحدود الدفاعية والتي تبلغ ثلاثة أرباع سيناء بعرض ١٥٠ كيلومتر تقريباً هي منطقة منزوعة السلاح تماماً، أي منطقة لا سبيل لحمايتها.

ج- المنطقة التي يفترض إمكانية الدفاع عنها محدودة التسليح بفرقة مشاة ميكانيكية واحدة تتوزع على مواجهة طولها ٤٠٠ كيلومتر، وهذه القوة لا ترتكز على المضايق الإستراتيجية غرب سيناء لمواجهة أي تهديد لإسرائيل.(٦٣)

(٦٣) غسان حمدان: التطبيع — استراتيجية الاختراق الصهيوني، ص ١٧٦، الطبعة الأولى، دار الأمان بيروت. محمد فوزي: المصدر السابق ص ٢٣٩.

ومن المعلوم أن المضايق الوسطى في سيناء في غاية الأهمية والخطورة وأنها مفتاح الدفاع الشرقي عن وادي النيل وأن هذا الأمر صار من المفاهيم الثابتة في العسكرية المصرية منذ عام ١٩٥٠م، وخط المضايق هو خط دفاعي طبيعي جرت دراسته منذ عام ١٩٤٩م وقد ساهم في هذه الدراسة عدد من الخبراء العسكريين الألمان، وأجمعت الدراسات منذ عام ١٩٥٠م على أن خط المضايق هو أنسب خط للدفاع شرق القناة.(٦٤)

ومن هذا يتضح أن **حدود مصر العسكرية سوف تقف فعلياً عند قناة السويس على بعد حوالي ١٥٠ كيلومتر من حدودها الدولية مع فلسطين المحتلة.**

ولأول مرة في التأريخ يكون لدولة حدود بعيدة تماماً عن حدودها السياسية الدولية، وليس هذا الوضع مؤقتاً أو محدوداً بأجل معلوم، بل إنه يتسم بصفة **الدوام** كما جاء في الاتفاق، وهو تطبيق لفكرة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر: أن يكون لإسرائيل نوعان من الحدود، حدود سياسية وأخرى عسكرية منفصلة عنها يمكن الدفاع عنها.

وبذلك أصبحت سيناء أرضاً مفتوحة بلا دفاع أمام اليهود إن أرادوا إعادة احتلالها.

ويقدر الخبراء العسكريون الزمن اللازم لإسرائيل لتحتل سيناء بحوالي ست ساعات، بينما يكون عسيراً جداً على القوات المصرية أن تفكر في احتلال سيناء مرة أخرى. بل **ويظل أمنها مهدداً بصفة دائمة.**(٦٥)

د- تخفيض نوعية القوات غرب القناة:

حددت اتفاقية فض الاشتباك الأول – وبالتالي اتفاقية السلام – حرمان منطقة غرب القناة في حدود ٣٠ كيلومتر من تمركز مدفعية الميدان طويلة المدى كذا الصواريخ أرض/ جو حتى لا تؤثر نيرانها على المواقع شرق المنطقة الأولى.(٦٦)

(٦٤)- محمود رياض: مذكرات – الجزء الثالث، أمريكا والعرب، ص ٣٨، ٣٩، دار المستقبل العربي، الطبعة الولى، القاهرة ١٩٨٦.

(٦٥) غسان حمدان: المصدر السابق، ص ١٧٤ إلى ١٧٨، أيضاً محمد فوزي: المصدر السابق ص ٢٣٩ إلى ٢٤٨.

هـ – تحولت مطارات سيناء العسكرية – بحكم المعاهدة – إلى مطارات مدنية مفتوحة للاستخدام المدني **الحر** من جانب جميع الدول، **وحظر** على سلاح الجو المصري استخدام هذه المطارات أو إنشاء أي مطار عسكري على أي جزء من أرض سيناء، بينما سمح للطيران العسكري المنطلق من خارج سيناء بالتحليق فوق المنطقة الأولى فقط.

و– لا يجوز لمصر أن تنشئ أي موانئ عسكرية على أي من شواطئ سيناء، ولا يحق لأسطولها الحربي استخدام الموانئ الموجودة بها فعلاً.

ز– تقتصر إجراءات الإنذار المبكر بالنسبة لمصر على المنطقة الأولى فقط – أي على بعد ١٥٠ كيلومتر من الحدود مع فلسطين – بينما يسمح لإسرائيل بإقامتها على الحدود مباشرة.[٦٧]

ح– ترابط قوات حفظ السلام في مصر فقط ويكون للأمم المتحدة مراقبين فقط على الجانب الإسرائيلي، وسحب هذه القوات لا يكون إلا بموفقة مجلس الأمن الدولي بإجماع أعضائه الدائمين.

ومعنى ذلك أن بقاء القوات في سيناء دائم وليس محدوداً بأجل، وبذلك أصبحت مصر لا تمتلك السيادة بشأن وجود قوات أجنبية على أراضيها.

وقد تم في ١٧ يوليو ١٩٨١ توقيع اتفاقية بين مصر وإسرائيل وأمريكا – في لندن – بشأن القوة الدولية متعددة الجنسيات بعد أن عجز مجلس الأمن عن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين تنفيذاً لاتفاقية السلام.

وأرفق مع الاتفاق خطاب من الولايات المتحدة الأمريكية إلى كل من مصر وإسرائيل يحدد مهام ومسؤوليات الولايات المتحدة الأمريكية في تشكيل وقيام القوة وتزويدها بوحدات من قواتها المسلحة، **وهكذا أعطى الاتفاق الولايات المتحدة الأمريكية حق الوجود العسكري في المنطقة.**[٦٨]

---

(٦٦) محمد فوزي: المصدر السابق ص ٢٣٩.
(٦٧) غسان حمدان: المصدر السابق، محمد فوزي: المصدر السابق.
(٦٨) محمد فوزي: المصدر السابق ص ٢٤٨.

ومن الجدير بالذكر أن هذه القوة الأمريكية الموجودة في سيناء – تحت مسمى قوات حفظ السلام – هي قاعدة برية تحتلها كتيبة كاملة العتاد بما فيه الأسلحة الثقيلة وهي لا تتبع الأمم المتحدة ولكن تتبع قيادتها في أوروبا.(٦٩)

بل إن هذه القوات تعد في الحقيقة قوة متقدمة لإسرائيل داخل الأراضي المصرية.

ط- تستطيع إسرائيل أن تحشد ما تشاء من جيشها على بعد ٣ كيلومترات من حدود فلسطين المحتلة مع مصر.

ي- الكتائب العسكرية الأربعة التي سمح الاتفاق بوجودها في الشريط الذي يبلغ ٣ كيلومترات على الجانب الإسرائيلي من الحدود هي أقصى ما يمكن وضعه في مثل هذه المساحة كنقطة أمامية.

ك- التزمت الولايات المتحدة بإقامة قاعدتين جويتين لإسرائيل في النقب على مسافة قريبة من الحدود المصرية، وبذلك تحتفظ إسرائيل رغم إخلائها للمطارات التي كانت تحتلها في سيناء بسيطرتها الجوية على سيناء، وبخاصة أن سيناء أصبحت خالية تماماً من أية مطارات عسكرية مصرية.(٧٠)

(ج) ولم تتوقف أضرار هذه المعاهدة على الاعتراف بوجود إسرائيل واغتصابها لفلسطين، ولا على شل قدرة مصر في الدفاع عن نفسها فقط، بل أضافت إليها منع مصر من إغاثة أية دولة عربية تهاجمها إسرائيل طبقاً للمادة السادسة من المعاهدة كما أوضحنا سابقاً.

وكانت هذه بعض أمثلة للكوارث التي جلبتها علينا معاهدة السلام مع إسرائيل. ونحن لمزيد من الإيضاح نورد هنا شهادة – شاهد من أهلها- محمد عبد الغني الجسمي وزير الحربية في مصر من ديسمبر ١٩٧٤ إلى أكتوبر ١٩٧٨.

وقد اشتهر الجسمي بأنه عسكري محترف لا شأن له بالسياسة، بل هو من رجال النظام، ترقى في خدمته، ونال أعلى درجات التكريم، ومع كل هذا لم يستطيع الرجل أن يسكت، ولم يحتمل أن يصمت إزاء هذه المأساة، فعبر عنها بكلمات هادئة يحاول ألا

---

(٦٩) طلعت مسلم: صور الوجود العسكري الأجنبي- مجلة قضايا دولية- العدد ٣٥٤- السنة السابعة- ١جمادى الثانية ١٤١٧هـ ١٤ اكتوبر١٩٩٦م-ص٢٠-٢٢.

(٧٠) غسان حمدان: المصدر السابق.

يصطدم فيها مع النظام، ولكنه في نفس الوقت لا يريد أن يكتم الحقيقة البارزة التي يصطدم بها أي عسكري مصري فقال في مذكراته عن اتفاقيتي كامب ديفيد واتفاقية السلام:

" لقد كانت كامب ديفيد هي نهاية مرحلة من مراحل الصراع في الشرق الأوسط، فعلى المستوى الدولي حسم الصراع بين القوتين الأعظم لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، هذا الصراع الذي انفجر في عام ١٩٥٦م وبلغ الذروة في عام ١٩٦٧م وحسم في عام ١٩٧٨م.

وعلى المستوى العربي أدت هذه الاتفاقية إلى خروج مصر من ساحة الصراع العربي الإسرائيلي الأمر الذي يضعف موقف الدول العربية سياسيا وعسكريا في هذا الصراع، ويعطي لإسرائيل الموقف الإستراتيجي الأقوى في المنطقة، ويتيح لها حرية العمل لابتلاع باقي فلسطين في المرحلة الحالية، و التوسع على حساب الأرض العربية المجاورة في المراحل التالية.

وعلى المستوى الوطني فإن هذه الاتفاقية وما تلاها من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قد أعاذت لنا سيناء بقيود شديدة، تضع إسرائيل في الموقف الإستراتيجي الأقوى، ووضعت نهاية لمرحلة من مراحل الصراع بين مصر وإسرائيل، هذه المرحلة التي بدأت بحرب أكتوبر١٩٧٣م ثم زيارة القدس ١٩٧٧م وانتهت باتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨م.

وقد كان واضحا بعد إعلان الاتفاقية ثم المعاهدة بعد ذلك بنصوصها أن هناك مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة قد بدأت، مرحلة لها انعكاساتها العميقة في صراع القوتين الأعظم في الشرق الأوسط، ولها انعكاساتها في الوطن العربي ولها نتائجها ومتطلباتها ، ولعل أهمها تغيير نظام الأمن في المنطقة ليكون نظام الأمن في الشرق الأوسط، تلعب فيه الولايات المتحدة الأمريكية الدور الرئيسي.(٧١)

وهكذا يتضح لكل منصف بعد الأمثلة التي سقناها، وشهادة الجمسي التي أوردناها أن هذه الاتفاقية قد جلبت أضرارا جسيمة فادحة على الأمة الإسلامية.

أخطرها التسليم بسيادة إسرائيل على فلسطين المسلمة، ولذلك **فإن هذه الاتفاقية تبطل شرعا نظرا لما احتوت عليه من الأضرار الجسيمة والخسائر الفادحة.**

(٧١) الجسمي المصدر السابق، ص ٥٦٤.

(٣) وثالث الشروط التي اشترطها الفقهاء للمعاهدات بين المسلمين والكفار **هي ألا تكون المعاهدة مؤبدة من غير تقدير مدة لما في ذلك من إبطال الجهاد بالكلية:**

قال ابن قدامة المقدسي (رحمه الله) بعد أن تكلم عن عدم جواز الهدنة إلا لمصلحة المسلمين: "فلذا فإنه لا يجوز المهادنة مطلقة من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية".(٧٢)

وقال الماوردي (رحمه الله) في كلامه عن الشروط الفاسدة في الهدنة: " ومنها أن يهادنهم عل ترك قتالهم على الأبد، لما فيه من تعطيل الجهاد".(٧٣)

والمتأمل لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية يجد أنها وضعت لتكون معاهدة دائمة لا تملك مصر منها فكاكا.

أي أنها وضعت لتحاول أن توجد قسرا وكرها على أرض الواقع وضعا يصعب على أي حكومة معادية لإسرائيل تأتي بعد السادات تغييره.

فالمعاهدات صيغت بصيغة الإطلاق، ولم تحد بمدة معينة، وقد نصت المادة الأولى من المعاهدة على أن: "حالة الحرب بين مصر وإسرائيل تنتهي عند تبادل وثائق التصديق على المعاهدة"، وقد تم هذا التبادل فعلا في العريش في الخامس والعشرين من إبريل ١٩٧٩م.(٧٤)

كما تؤكد الفقرة الأولى من المادة الثالثة من المعاهدة على أن الطرفين يتعهدان أيضا بعدم التهديد باستخدام القوة، أحدهما ضد الآخر، وبحل كافة النزاعات التي تنشأ بينهما بالوسائل السلمية.(٧٥)

كما نصت أيضا الفقرة الثانية في المادة الثالثة على: "يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين

(٧٢) ابن قدامة المقدسي المصدر السابق .
(٧٣) أبو الحسن علي ابن محمد الماوردي: الحاوي الكبير –كتاب الجزية – باب المهادنة على النظر للمسلمين – ج ١٤ ص ٣٥٥، ٣٥٦ – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م – دار الكتب العلمية بيروت، راجع أيضا: الموسوعة الفقهية – المصدر السابق .
(٧٤) رياض الأشقر: المصدر السابق ص ٦.
(٧٥) المصدر السابق ص ٧.

أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر، كما يتعهد كل طرف عن الامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان، كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة".[٧٦]

فإذا أخذنا في الاعتبار ما ذكرناه سابقا من أن قوات حفظ السلام لا تسحب إلا بقرار من مجلس الأمن بإجماع أعضائه الدائمين، تأكد لنا بطلان المعاهدة لأنها معاهدة دائمة أسقطت الجهاد بين المسلمين واليهود.

(٤) ورابع الشروط التي أشترطها الفقهاء في المعاهدات بين المسلمين والكفار **ألا تتضمن المعاهدة شرطا فاسدا**.

يقول ابن قدامة في هذا:

"فصل: و الشروط في عقد الهدنة تنقسم إلى قسمين:

صحيح.......................

الثاني: شرط فاسد مثل أن يشترط رد النساء أو مهورهن أو رد سلاحهم أو إعطائهم شيأ من سلاحنا أو من آلات الحرب أو يشترط لهم مالا في موضع لا يجوز بذله أو يشترط نقضها متى شاء أو كان لكل طائفة منهم نقضها، أو يشترط رد الصبيان أو رد الرجال من عدم الحاجة إليه. فهذه كلها شروط فاسدة لا يجب الوفاء بها، وهل يفسد العقد بها؟ على وجهين".[٧٧]

وقال الرملي (رحمه الله) : " (وكذا شرط فاسد) اقترن بالعقد فيفسده أيضا (على الصحيح بأن) أي كان (شرط) فيه (منع فك أسرانا) منهم (أو ترك ما) استولوا عليه (لنا) ".[٧٨]

(٧٦) رياض الأشقر: المصدر السابق ص ٩.
(٧٧) ابن قدامة المصدر السابق ص ٤٦٥، ٤٦٦.
(٧٨) شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي: نهاية النهاج إلى شرح المنهاج –كتاب الهدنة ج ٨ ص ١٨ – طبعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م – دار الفكر بيروت.

وقال الغزالي (رحمه الله) في الوجيز عن شروط الهدنة: " الثالث – يعني من الشروط – أن يخلو من شرط فاسد كشرط ترك مسلم في أيديهم أو مال مسلم في أيديهم ".(٧٩)

فأنظر أيها القارئ الكريم إلى تلك الأمثلة المذكورة وكيف اعتبر الفقهاء أن تسليم سلاحنا للأعداء أو الأموال التي لا يستحقونها تعتبر شروطا فاسدة، فما بالك بمن يسلم إليهم إقليما كاملا من أشرف بلاد المسلمين، بجباله ووديانه وأنهاره وبحره وبساتينه ومزارعه ومدنه وقراه!!! فهل هناك شرط أفسد من هذا؟؟؟

ولا يصح أن يقال أن الشرط الفاسد لا يوفى به، ولكن لا ينقض العهد على أحد قولي الفقهاء كما ذكر ابن قدامة، لأن هذه المعاهدة ما عقدت إلا على هذا الشرط الفاسد، فالتسليم بوجود إسرائيل والتخلي عن فلسطين هو الأساس الذي رضخ له العرب، فلا معنى عند اليهود لأية معاهدة دون ذلك.

بل إن هذا الشرط كان واضحا منذ معاهدة الهدنة العربية الإسرائيلية ١٩٤٩م التي نصت مقدمتها على أنها اتفاق سلام دائم بين العرب وإسرائيل.(٨٠)

وهكذا يظهر أن المعاهدة مع إسرائيل باطلة بطلانا أصليا لأنها أسقطت الفريضة العينية؟ فريضة الجهاد ضد إسرائيل، وباطلة بطلانا فرعيا لأنها خالفت وانتهكت كل الشروط التي اتفق عليها الفقهاء للتعاهد بين المسلمين والكفار.

و بتوضيحنا لحكم الشريعة الإسلامية في وجود إسرائيل ننهي تناولنا لبعض المعالم البارزة في الصراع الإسلامي الإسرائيلي.

---

(٧٩) أحمد ابن يحى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب – ج ٢ ص ١١١ – دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٨٠) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب و إسرائيل، الكتاب الثاني: عواصف الحرب وعواصف السلام ص – دار الشروق القاهرة ١٩٩٦.

الفصل الثالث

الأنظمة الموالية لأمريكا وإسرائيل

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل

(أبو الطيب المتنبي)

* * *

تتحكم في عالمنا الإسلامي عامة وفي عالمنا العربي خاصة زمرة من الأنظمة الحاكمة الموالية لأعداء الأمة المسلمة، وتجمع هذه الأنظمة سمات عامة وصفات جامعة. ورأينا أنه لابد في استعراضنا لواقع الحركة الجهادية في مصر أن نتعرض لواقع الأنظمة المتحكمة في عالمنا الإسلامي، وبما أننا لا نستطيع أن نتناول هذه الأنظمة بالتفصيل فسوف نختار من هذه الأنظمة نظامين كمثالين: الأول هو النظام المصري كمثال على الأنظمة الجمهورية و الثاني هو النظام السعودي كمثال على الأنظمة الملكية.

أما سمات هذه الأنظمة فأهمها:

١- إقصاء الشريعة عن الحكم:

وتاريخ إقصاء الشريعة عن الحكم تاريخ طويل بدأ- في مصر- من عام ١٨٨٣م بعد الاحتلال الإنجليزي بعام واحد. ثم مازال يزيد تدريجيا حتى وصل إلى ما نحن فيه الآن من غياب شبه كامل للشريعة، أحكامها وآدابها عن التطبيق العملي.(٨١)

(٨١) سنعالج هذه المسألة بمزيد من التفصيل عند كلامنا عن: وضوح العقيدة لدى الجماعات الجهادية.

وقد ذكرنا من قبل شهادة القاضي عبد الغفار محمد في قضية الجهاد الكبرى التي تعد أكبر قضية في تاريخ القضاء المصري، واقتطفنا أجزاء من حيثيات حكمه التي أكد فيها على غياب الشريعة عن الحكم في مصر، بل وكشف الخدعة التي يمارسها النظام بالتلويح بالمادة الثانية من الدستور التي تنص على أن:" مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع" حيث أكد أنه رغم احتواء الدستور على المادة الثانية(٨٢) ، فإن مواد الدستور والقانون تخالف الشريعة الإسلامية وتصادمها في كثير من المواضع.

وإقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم كان ولا زال سياسة ثابتة لكل أنظمة الحكم المتعاقبة في مصر منذ الاحتلال الإنجليزي إلى الاحتلال الأمريكي في يومنا هذا.

وقضية الحركة الإسلامية في مصر مع الأنظمة الحاكمة كانت ولا زالت حول إعادة الشريعة الإسلامية إلى الحكم، وتاريخ الأنظمة الحاكمة في مصر في صراعها مع الحركات الإسلامية هو تاريخ قمع محاولات إعادة الشريعة إلى الحكم بالخداع والكذب تارة والقتل والتعذيب والاعتقال المفتوح تارات أخرى.

وقد حاولت بعض الحركات الإسلامية أن تصل لهدفها في تحكيم الشريعة بالوسائل المخالفة للشريعة، من دخول الانتخابات و الالتزام بالقوانين السارية وتحريم الخروج عليها، بل وصل الأمر ببعضهم إلى مبايعة حسني مبارك رئيسا للجمهورية!!

ورغم كل هذه التنازلات لم يتزحزح النظام قيد أنملة عن سياسته في إقصاء الشريعة وعن جر المجتمع إلى المزيد من الفساد بعيدا عن الإسلام، وإلى المزيد من الاستسلام لأعداء الأمة، وخاصة الأمريكان محاربة لدين الإسلام.(٨٣)

أما النظام السعودي فهو يسير على خطى النظام المصري في مناقضته لأحكام الشريعة رغم حملته الدعائية الإعلامية الضخمة التي يقوم بها تحسينا لصورته، مدعوما بفتاوى علماء السلطان، وهو ما سنتعرض له في موضوعه إن شاء الله.

ولكن الحقيقة – التي يجب أن تذكر- أن كثيرا من القوانين واللوائح المعمول بها في النظام السعودي تخالف أحكام الشريعة الإسلامية على المستوى الداخلي مثل: قوانين العمل

(٨٢) لمزيد من التفصيل حول خدعة المادة الثانية من الدستور راجع: أيمن الظواهري: مصر المسلمة بين سياط الجلادين وعمالة الخائنين – الباب الأول: الفساد التشريعي ص ١٢.

(٨٣) لمزيد من التفصيل حول مخالفات النظام المصري لأحكام الشريعة يمكن الرجوع إلى: رسالة (تحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت)، ورسالة (مصر المسلمة بين سياط الجلادين وعمالة الخائنين) للمؤلف.

والعمال وقانون الكفالة وقانون الغرف التجارية واللوائح المنظمة للبنوك، وعلى المستوى الخارجي مثل التزام السعودية بمواثيق الأمم المتحدة، واعترافها الضمني بدولة إسرائيل، الأمر الذي تأكد بالتزامها بميثاق الأمم المتحدة[٨٤] وقراراتها بشأن فلسطين، وتقديمها (لمبادرة فاس) التي اعترفت بقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذي يعترف بوجود إسرائيل، وحضورها مع إسرائيل مؤتمر شرم الشيخ للحفاظ على أمن إسرائيل... الخ.

إلا أن من أعظم مخالفات النظام السعودي للشريعة هو موالاته لأعداء الإسلام من الأمريكان وتمكينهم من السيطرة التامة على جزيرة العرب وهو ما سنتعرض له في موضوعه إن شاء الله.[٨٥]

٢- التبعية لأعداء الإسلام الخارجيين:

تعد هذه من أهم السمات التي تشترك فيها الأنظمة الحاكمة لأمتنا وخاصة النظامين المصري والسعودي.

بل تعد هذه سمة ثابتة في تاريخ هذه الأنظمة لا تتغير ولا تتبدل. نعم قد يتغير ولاء النظام حسب الظروف والمتغيرات من عدو لآخر، ولكن يظل على ولاء لعدو خارجي سواء كان فرنسيا أم بريطانيا أم روسيا أم أمريكيا.

ورغم تشدق هذه الأنظمة بتفانيها من أجل الاستقلال الوطني والسيادة القومية وغيرها من ألاعيب الألفاظ وخدع الدجل السياسي، إلا أن التاريخ ووقائعه ووثائقه أوضح من أن

---

(٨٤) تنص المادة الثالثة من ميثاق الأمم المتحدة على: "١- تقوم الهيئة على مبدأ المساواة والسيادة بين جميع أعضائها. (.........) ٤- يمتنع جميع الأعضاء في علاقاتهم الدولية عن استعمال القوة ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأي دولة "

(٨٥) لمزيد من التفاصيل حول مخالفات الحكومة السعودية للشريعة الإسلامية يمكن الرجوع إلى: كتاب (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية) لمرشد بن عبد العزيز النجدي*، والنشرة – السابعة عشرة لهيئة النصيحة والإصلاح، و (رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير) للشيخ أسامة بن محمد بن لادن.

*** الكتاب منشور في منبر التوحيد والجهاد وهو للشيخ أبي محمد المقدسي وكان الشيخ قد استعمل هذا الاسم والذي أشار له الدكتور أيمن – حفظه الله – في أول طبعة نشرت للكتاب في الباكستان. [منبر التوحيد والجهاد]**

تطمس، وأظهر من أن تخفى. وقد لا يكون من مجال هذا البحث سرد تاريخ الخيانات العربية في القرنين السابقين، ولكننا سنكتفي ببعض الأمثلة الظاهرة:

أ- ففي مصر مثلا:

(١) بدأ عبد الناصر- بطل الاستقلال والوحدة العربية – حكمه بفصل السودان عن مصر كخطوة على طريق الوحدة العربية الكبرى!!!. وهكذا انحسرت حدود مصر- في بواكير عهده – من قرب خط الاستواء إلى خط عرض ٢٢ شمالا.

ثم خاض معركة النصر في عام ١٩٥٦م، فأرغمته أمريكا على قبول الشرطة الدولية على حدوده مع إسرائيل، والسماح بحرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة، فتنازل عن ركن أساسي من سيادة مصر وهو سيادتها على مياهها الإقليمية، ورضي بمراقبة الشرطة الدولية لأي تصرف قد يمس أمن إسرائيل.

ثم خاض ملحمة العرب الكبرى في عام ١٩٦٧م فتحطم جيشه الظافر في ست ساعات متمما هزيمته في اليمن، التي كان يبحث فيها عن الوحدة العربية، والطريق إلى القدس، وكيفية إلقاء إسرائيل في البحر!!

واستولت إسرائيل على سيناء، فانحسرت حدود مصر مرة أخرى في عهده بفقد جناحها الآسيوي، سيناء.

ثم تحت وطأة الهزيمة والعار العسكري سعى لطلب تمركز القوة العسكرية السوفيتية على أرض مصر.

فقد طلب جمال عبد الناصر من الإتحاد السوفيتي في زيارته السرية لموسكو في ٢٢ يناير ١٩٧٠م أن تأتي تشكيلات من قوات الدفاع الجوي السوفيتي إلى مصر للدفاع عنها إلى أن تتم الوحدات المصرية تدريباتها بالإتحاد السوفيتي، كما طلب إيفاد طيارين سوفيت للاشتراك في الدفاع عن العمق المصري. وكانت هذه أول مرة تأتي فيها قوات سوفيتية للدفاع عن مصر.[٨٦]

(٨٦) محمود رياض: مذكرات، الجزء الثالث؟ أمريكا والعرب ص ٧٣، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، دار المستقبل العربي القاهرة.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي طلب فيها جمال عبد الناصر قوة أجنبية لتحتل أرض مصر فقد طلبه من قبل في عام ١٩٥٦م ثمنا للانسحاب الإسرائيلي من سيناء.

وهكذا تظهر الصورة الحقيقية لبطل الجلاء الذي كان ينتصر على خصومه في السجن الحربي ومعتقل القلعة وإذاعة صوت العرب، بينما يولي الأدبار منسحبا هاربا مرتين أمام إسرائيل في سيناء، ثم يطلب كل مرة قوات أجنبية لتدافع عنه.

ولم يقتصر الأمر على طلبه لقوات أجنبية لتدافع عن مصر، بل لم يتوان عن نصح غيره بهذا، فيروي محمود رياض في مذكراته أن الملك حسين مر على القاهرة — بعد النكسة — في طريقه إلى نيويورك، وفي القاهرة أخبره عبد الناصر أن مصر ترى أن يعمل على تحقيق حل سلمي بالنسبة للضفة الغربية، يؤدي لانسحاب إسرائيل منها، وإنه يستطيع أن يلتزم لأمريكا بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل، بل ويستطيع أن يطلب إبرام اتفاق للدفاع المشترك مع الولايات المتحدة.(٨٧)

أي أن جمال عبد الناصر نصح الملك حسين بالاعتراف بإسرائيل، وعقد صلح منفرد معها، وعقد حلف عسكري مع أمريكا، تدافع بمقتضاه أمريكا من الأردن بقواتها العسكرية.

أرأيت أيها القارئ الكريم البون الشاسع بين حقائق الاستسلام ودجل الشعارات.

ثم قبل عبد الناصر بمبادرة روجرز، وهي تعني الاعتراف بالقرار٢٤٢، وبالتالي التسليم بسيادة إسرائيل على فلسطين.

وهكذا اعترف – بطل المقاومة العربية وبطل التحرير وبطل الجلاء وبطل النصر– بإسرائيل علنيا ورسميا، وتخلى عن كل شبر في فلسطين المحتلة.

(٢) ثم جاء أنور السادات فباع كل ما يمكن أن يبيعه، ولكن للأسف فقد كان كثيرا مما باعه بلا مقابل.

فالقوات السوفيتية التي أدخلها عبد الناصر إلى مصر تمسك بوجودها أنور السادات في أول عهده، وطلب إبقائها حتى بعد انتهاء فترة تدريب القوات المصرية. فيروي محمد فوزي — وزير الحربية الأسبق — أن أنور السادات بعد توليه لرئاسة الجمهورية — عقب وفاة جمال عبد الناصر– عقد مباحثات مع الوفد السوفيتي الذي شارك في عزاء عبد الناصر وكان

(٨٧) محمود رياض: المصدر السابق ص ٨.

برئاسة أليكسي كوسيجين رئيس الوزراء وقتئذ، وتمت هذه المباحثات في الفترة من ٩/٢٩ حتى ١٩٧٠/١٠/٣م وطرح كوسيجين في هذه المباحثات إنهاء مهمة المستشارين والوحدات السوفيتية – التي تعاون القوات المسلحة المصرية في مصر– عند استكمال الوحدات المصرية الجديدة تدريبها على الأسلحة والمعدات الحديثة في كل من مصر والإتحاد السوفيتي، وذلك حسب الاتفاق الذي تم مع الرئيس الراحل عبد الناصر. وكان السادات يعلم بهذا الاتفاق ولكنه قاطع حديث كوسيجين – رافعا يده معترضا – وقال: "كلا لا أوافق مطلقا، وإنني أطالب القيادة السوفيتية باسم الشعب المصري وباسم القوات المسلحة المصرية أن يبقى المستشارون السوفيت والوحدات الصديقة في مصر حتى إزالة آثار العدوان، وهذا الموضوع يحقق تخطيط وهدف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والشعب.

ورد كوسيجين بقوله: "إذا كان هذا الاتجاه هو قرار القيادة الجديدة في مصر فإني سوف أعرضه على القيادة في موسكو وعلى اللجنة المركزية فهي صاحبة القرار في هذا الشأن".[٨٨]

ثم ما لبث بعد هذا الترحيب أن طردهم في ٢٨ يوليو ١٩٧٢م لكن ليستقبل بدلا منهم عسكرا آخر من أعداء الأمة، فأدخل عساكر الأمريكان إلى سيناء ومطار غرب القاهرة ومطار وادي قنا وقاعدة رأس بناس.

وما كان أنور السادات ليستطيع أن يطرد الجنود السوفيت لأن دولة الروس كانت إلى انحطاط ودولة الأمريكان كانت إلى ارتفاع.

والمضحك المبكي أنه لم يحصل على أي مقابل سياسي من الأمريكان مقابل هذا التقرب والتزلف.

وعن هذا يحكي محمود رياض أن أحد أصدقائه سأل هنري كيسنجر بعد تركه لمنصبه عن سبب موقف الولايات المتحدة السلبي من قرار السادات، وكان رد كيسنجر: "إن هذا الموقف الأمريكي السلبي هو الموقف الطبيعي تماما في مثل هذه الظروف، فالسياسة لا تعرف الأخلاقيات. ليس من مهمة الولايات المتحدة أن تتطوع بدفع ثمن شيء تم تقديمه لها مجانا ولم يشترط عليها أحد دفعه".[٨٩]

---

(٨٨) محمد فوزي: إستراتيجية المصالحة – الجزء الثاني من مذكرات الفرق أول محمد فوزي ص ١٤٨ – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – دار المستقبل العربي – القاهرة

(٨٩) الجسمي: المصدر السابق ص ٢٢٤.

أما الأمريكان الذين فتح لهم السادات – ومن بعده مبارك – البلاد وأعطاهم القواعد والتسهيلات، فقد جاءوا ليبقوا، وأتوا ليحتلوا، وقدموا ليسيطروا، وليفرضوا الأمن الأمريكي والتوسع الإسرائيلي.

ولم يرتح ضمير السادات حتى طرد الجيش المصري من سيناء وتركها منزوعة السلاح أمام إسرائيل.

ثم أكمل مآثره بتوقيعه على معاهدة حظر الأسلحة النووية في فبراير ١٩٨١م في نفس يوم تصديق مجلس الشعب عليها رغم رفض إسرائيل لذلك.(٩٠)

(٣) ثم جاء حسني مبارك – ثالثة الأثافي – فأتى بما لم تستطعه الأوائل، وأعطى أمريكا مزيدا من النفوذ، وقاد أشرس حملة بطش ضد المسلمين في تاريخ مصر لصالح الأمريكان، واتسعت محطة المخابرات المركزية – في القاهرة – في عهده حتى أصبحت أكبر محطة للمخابرات المركزية خارج أمريكا، وافتتح مكتبا للمباحث الفيدرالية الأمريكية في القاهرة.

ووقع عام ١٩٩٥م على تجديد مشاركة مصر في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية إلى أجل غير محدود، رغم امتناع إسرائيل عن التوقيع عليها.

ثم عقد في شرم الشيخ في مارس ١٩٩٦م مؤتمر المحافظة على أمن إسرائيل من هجمات المجاهدين، التي أصرت أمريكا على تسميته بمؤتمر (مقاومة الإرهاب)، بينما سماه مبارك – تمويها على شعبه – بمؤتمر (صناع السلام).(٩١)

ب – **أما آل سعود** فتاريخهم في التبعية لأعداء الإسلام معلوم ظاهر جلي. بل إن من وقائعه ما يفخر به آل سعود أنفسهم.

(١) فقد كان آل سعود حلفاء الإنجليز المخلصين وخاصة أثناء الحرب العالمية الأولى، حين تحالف آل سعود وأشراف مكة مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية.

---

(٩٠) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب و إسرائيل، الكتاب الثالث: سلام الأوهام؟ أوسلو ما قبلها وما بعدها – ص ٤٣١ – الطبعة الثالثة نوفمبر ١٩٩٦م.

(٩١) المصدر السابق: ص ٤٤٩.

من أمثلة تحالفاتهم مع الإنجليز، معاهدة العقير التي وقعها عبد العزيز آل سعود مع السير بيرسي كوكس بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م، واتفقا فيها على أن تقوم بريطانيا بحماية ابن سعود مقابل تعهده بألا يعقد أو يعاهد أي حكومة أجنبية غير بريطانيا، وتعهده بعدم التدخل بحدود غيره من المشايخ الواقعين تحت حماية انجلترا، على أن يدفعوا له خمسة آلاف جنيه إسترليني كإعانة شهرية ويمدوه بالأسلحة ويقدموا له مساعدات إذا وقع عليه هجوم.(٩٢)

(٢) ثم تحول هذا الولاء من بريطانيا إلى أمريكا مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد اعترف بهذه الحقائق عبد العزيز آل سعود في لقائه الشهير مع الرئيس الأمريكي – تيودور روزفلت – في ١٤ فبراير ١٩٤٥م في البحيرات المرة على ظهر الطراد الأمريكي كوينسي، حيث اتفق عبد العزيز و روزفلت على تأسيس علاقة تبعية النظام السعودي لأمريكا ونقل ولاء آل سعود من بريطانيا إلى أمريكا.

وفي وثائق الخارجية الأمريكية تقريران عن هذه المقابلة كتبهما الوزير المفوض الأمريكي في المملكة العربية السعودية وليام إيدي يذكر في إحداهما: " ففي أثناء الزيارة التي يغلب عليها الطابع غير الرسمي على ظهر الباخرة قبل الغذاء (......) نشأت بسرعة صلة ودية جدا، وتكلم الملك على أنه الشقيق (التوأم) للرئيس طوال سنوات في المسئولية كرئيس للدولة، وفي العجز الجسدي.

وعندما أهدى روزفلت لعبد العزيز كرسيا بعجلات قال عبد العزيز بكل امتنان – وسوف أستخدمه يوميا – و أتذكر بكل حب مانح الهدية، صديقي العظيم الطيب".

ويواصل وليام إيدي تقريره فيذكر: "وتحدث الاثنان كصديقين في مسئوليات الحكم، وفي التقدم المشجع للحلفاء في الحرب، وفي الرحمة بالأعداد الوفيرة من الناس الذين أصبحوا معوزين بسبب الاضطهاد أو المجاعة.

---

(٩٢) مرشد بن عبد العزيز النجدي: الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية * ص ٢٢٥ – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، نقلها عن القانون الدولي العربي لمحمود كامل المحامي ص ٢١٤، راجع أيضا: الموسوعة العسكرية – مادة الثورة العربية الكبرى – ج ١ ص ٤٠٢ – طبعة ١٩٨١م – المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

*** الكتاب منشور في منبر التوحيد والجهاد وهو للشيخ أبي محمد المقدسي وكان الشيخ قد استعمل هذا الاسم والذي أشار له الدكتور أيمن – حفظه الله – في أول طبعة نشرت للكتاب في الباكستان. [منبر التوحيد والجهاد].**

وابتسم الملك مصدقا على ثقة الرئيس المرحبة بالإنجليز: " إننا نحب الإنجليز، ولكننا نعرف أيضا الطريقة التي يصرون بها على إفادة أنفسهم، إنك وإياي نريد تحقيق الحرية و الازدهار لشعبينا و جيراننا بعد الحرب، فكيف لا نهتم بمن تحقق على يديه الحرية والازدهار، كذلك يعمل الإنجليز لجلب الحرية والازدهار للعالم، ولكن بشرط أن يتحقق ذلك عن طريقهم وأن يكتب عليه (مصنوع في بريطانيا)".

وفي وقت لاحق من اليوم قال الملك لي: " لم أسمع أبدا من قبل مثل هذا الوصف الدقيق للإنجليز".

والأهم من ذلك أن الملك أخبرني في مرات عديدة: " إنني لم ألتقي بأحد يساوي الرئيس في شخصيته، وحكمته، ودماثته ". وفي حفلات استقبال مختلطة، وأيضا في مأدبة أقيمت بعد عودته إلى جدة، أشار الملك في حضور شخصيات سعودية وبريطانية بارزة إلى الرئيس في عبارات ملتهبة بالحماس لم تستعمل في الإشارة إلى غيره من الأشخاص الذين التقى بهم في أثناء رحلته. وقد أوضح الأمراء والوزراء الذين رافقوه بإسهاب أن الملك أصبح مفتونا بالرئيس. وقد قال للشيخ حافظ وهبة: " **إن أهم حدث في حياتي كلها هو اجتماعي مع الرئيس روزفلت**".

وعندما روى الملك لي في مقابلة خاصة ٢٠ شباط/ فبراير عن محادثاته مع مستر تشرشل (.....) قال: " إن الاختلاف بين الرئيس والمستر تشرشل كبير جدا، إذ أن مستر تشرشل يتكلم بطريقة ملتوية، ويتهرب من التفاهم، ويغير الموضوع مما يضطرني مرارا إلى إعادته إلى النقطة التي يدور حولها الحديث، أما الرئيس فإنه يسعى إلى التفاهم في المحادثات ويبذل جهده لتحقيق الالتقاء بين العقلين وتبديد الظلام وإلقاء الضوء على المسألة".

إن الملك لم يشر أبدا في حديثه مع الرئيس إلى اعتمادات أو إعانات مالية فيما عدى ما يتصل بالمعونة الاقتصادية في هذا الموضوع. وقد تساءل: " ما الذي يمكن أن أصدقه عندما يقول لي البريطانيون إنه مرتبط بهم، وليس بأمريكا؟ إنهم دائما يقولون أو يلمحون بأن المصالح السياسية الأمريكية في العربية السعودية هي مصالح مؤقتة تتعلق بالحرب، وأن معونتها قصيرة الأجل مثل قانون الإعارة والتأجير، وأن العربية السعودية تقع على طريق تحكمه وتحده ضوابط الإسترليني، ويتصل بغيره عن طريق المواصلات البريطانية، ويتم الدفاع عنه بالبحرية والجيش الملكيين، وأن أمني واستقراري الاقتصادي مرتبطان بالسياسة الخارجية البريطانية، وأن أمريكا ستعود بعد الحرب إلى مشاغلها في نصف الكرة الغربي.

وبإيجاز يقولون لي: إن (المشاركة) متعددة الأطراف في السعودية هي مشاركة مؤقتة، وأن بريطانيا وحدها هي التي ستستمر كشريك لي في المستقبل، كما كانت في السنوات الأولى في عهدي. وعلى أساس قوة هذه الحجة، يسعون إلى أن تكون الأولوية لبريطانيا في العربية السعودية، **فما الذي يمكن لي أن أصدقه؟**".

وأجاب الرئيس قائلا: **إن الخطط المتعلقة بعالم ما بعد الحرب تتصور تقليصا لمجالات النفوذ التقليدي لصالح سياسة الباب المفتوح، وإن الولايات المتحدة تأمل أن يصبح باب العربية السعودية مفتوحا لها ولغيرها من الأمم، دون احتكار من قبل أي منها**، لأنه فقط عن طريق التبادل الحر للسلع والخدمات والفرص يمكن للازدهار أن ينتشر لصالح الشعوب الحرة. وقد أعرب الملك عن امتنانه لهذا التوقع. إلا أنه كان واضحا **أنه يتوقع استمرار الضغط البريطاني كما كان في الماضي للمطالبة بمجال للنفوذ على بلده وحوله**، وهذا الخوف له – بلا شك – ما يبرره، وسوف يتبدد عندما تضفي الولايات المتحدة جوهراً مادياً على الخطط المتعلقة بإبرام **اتفاقات اقتصادية وسياسية طويلة الأجل مع العربية السعودية كيما تتفتح سياسة الباب الفتوح**".(٩٣)

<u>وهذه الوثيقة الهامة تحتاج إلى تأمل وتمعن:</u>

– فقد أكد كاتبها على الجو الودي والمفعم بالعاطفة الذي ساد اللقاء.

– وابرز سخرية الطرفين من النفوذ الإنجليزي.

– وأكد على إعجاب الملك عبد العزيز بروزفلت، وتصريحاته بأنه أفضل من التقى به، بل واعتبر بأن لقائه بروزفلت هو أهم حدث في حياته. وهذه الرواية متفقة مع سير الحوادث، فهذا اللقاء قد أسس لعلاقة أمريكا بالنظام السعودي التي لا زالت مستمرة حتى اليوم، والتي تقوم على مبدأين:

الأول: التسليم بالبترول والسيطرة والنفوذ لأمريكا.

والثاني: استمرار الملك مع نصيب خالص من إيراد البترول لآل سعود.

---

(٩٣) محمد حسنين هيكل: حرس الثلاثين سنة – ملفات السويس ص ٤٥ إلى ٤٨، ٦٢٦، ٦٢٧ – الطبعة الأولى.

– وأبرز التقرير أيضا كيف عرض الملك بيع ولائه للأمريكان، وانسحابه من تحت مظلة النفوذ البريطانية الآيل للغروب، بينما طرح على روزفلت أسئلته عما يمكن أن يصدقه مما يقوله الإنجليز: أنه تابع لهم، وأن بريطانيا وحدها هي التي ستستمر شريكة له كما كان في السنوات الأولى من عهده؟

– وإجابة لهذا العرض – الذي صيغ في شكل سؤال طويل أو عدة أسئلة مترابطة متتابعة – أجابه روزفلت مطمئنا: أن عالم ما بعد الحرب قد تغير، ولم يعد للاحتكار البريطاني نصيب فيه، وأن الولايات المتحدة تأمل في فتح باب السعودية لها.

ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقاء لا زال يذكر في الإعلام السعودي الرسمي – حتى اليوم – بالافتخار والتقدير.

هكذا كانت بداية علاقة التبعية السعودية للعملاق الأمريكي المقتحم لحلبة السياسة الدولية.

وقد كان عبد العزيز لماحاً حينما نقل ولاءه بسرعة من العملاق القديم المتهالك إلى العملاق الجديد المتنامي، وحصل بذلك على ضمانة من قوة دولية عظمى على استمرار ملكه وملك أولاده، وعلى حمايته من الخطر الإسرائيلي على حدوده الشمالية.

ولا زالت هذه العلاقة في تنام وتزايد حتى اليوم، حينما بلغت ذروتها في حرب الخليج الثانية، حينما دخلت أمريكا بعساكرها لتحمي احتكارها لنفط المسلمين الذي أباحه لها عبد العزيز وأبناؤه ولتبقى سياسة الباب المفتوح، مفتوحا لها وحدها!!

وقد صرح بهذه الحقيقة نورمان تشوارزكوف – قائد الحملة الأمريكية على العراق – في مقال نشرته مجلة يو إس توداي / في ٢١/٧/١٩٩٦م

وجاء فيه:

" وفي ٢٥ حزيران/ يونيو الماضي أطاح عمل إرهابي(٩٤) بتسعة عشر أمريكي من سلاح الجو الأمريكي الذين يدافعون عن مصالحنا في المملكة العربية السعودية.

(٩٤) يقصد انفجار الخبر.

وفي حين أننا لا نستطيع **تحديد** الفاعلين، فإننا نستطيع تخمين دوافعهم المتمثلة في تحطيم قرارنا بإبقاء قواتنا بذلك الجزء الهام من العالم، وإيجاد إسفين بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية.

فنحن نجد عند فرنكلين روزفلت اعترافا بمصالحنا الأمنية في تلك المنطقة – وخاصة في المملكة العربية السعودية – وذلك قبل حوالي ٦٠ عاماً. وهذه المصالح هي:

أولاً: إن صحة **اقتصادنا مرتبطة بشكل مباشر بالخليج** الذي يحوي ثلثي احتياطي العالم من النفط.

ثانياً: إن الاستقرار في المنطقة أساسي للمدى البعيد لمستقبل **السلام العربي الإسرائيلي**.

وثالثًا: إن المنطقة تحوي **مفاتيح عقد التواصل العالمي** جواً وبحراً والتي تربط أوروبا والمتوسط بإفريقيا وآسيا والمحيط الهندي، وهي خطوط مهمة جدا لمقدرتنا على استقبال وإرسال البضائع إلى تلك الأماكن.

وإن من أهم دروس حرب الخليج هو أهمية الوجود بالقرب من المناطق الساخنة، فهذا يخدم هدفين هما:

أ- ردع العدو عن الشروع في عمليات داخل منطقة محمية بشكل وافر.

ب- إن الوجود المتقدم يسمح بتوفير خياري الحل العسكري أو الدبلوماسي للأزمات.

و اليوم كما في ١٩٩٠، ١٩٩١، فإنه من المهم بقاء القوات الأمريكية في السعودية، فهي دولة صديقة، وهي الدولة الأهم في المنطقة التي تمتلك الإرادة **والبنية التحتية والمصادر المالية لدعم قواتنا ومعداتنا التي نحتاجها لحماية مصالحنا**.

ولكن أعداء السلام يريدون إخراجنا من الشرق الأوسط، وأولئك هم: **الدول** التي ترعى الإرهاب والجماعات المناهضة **للولايات المتحدة والسعودية، والمتعصبون الدينيون**.

وبالمقابل فإن لومنا يجب أن يتوجه لمن يستحقه، وخاصة الإرهابيين الذين صنعوا وزرعوا القنابل التي قتلت الأمريكيين التسعة عشر، حيث يجب كشفهم والتعامل معهم على نحو رادع كعبرة لكل من تسول له نفسه اتباع أثرهم.

إن هؤلاء الجنود يدافعون عن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وعلينا أن **ندافع عن مصالحنا ما دامت المصالح موجودة.**

ويجب ألا نسمح للإرهابيين أو لعقلية التراجع أمام المخاطر أن تسحبنا بعيدا عن سياستنا الوطنية".[٩٥]

وهكذا أوضح تشوارزكوف بعباراته الواضحة المحددة ما أغرقه روزفلت في كلماته المنمقة:

- أن اقتصادهم يرتبط مباشرة بمصالحهم في المنطقة.

- أن السعودية تملك المال اللازم للإنفاق على قواتهم.

- أن أعداءهم المتطرفون الدينيون.

ورغم ذلك تخرج علينا التصريحات الحكومية والفتاوى الرسمية بأن الأمريكان يجوز الاستعانة بهم، وإنهم جاءوا لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر امتدت حتى الآن قرابة عشرة سنين، ولا يعلم أحد – إلا الله وحده – إلى متى سوف تمتد؟؟؟

٣– البطش بالخصوم:

يعد البطش بالخصوم سمة أساسية في النظم الحاكمة لبلادنا، ولاشك أن النظام المصري يتمتع بموقع رائد في هذا المجال، لكن الجدير بالانتباه أن هذه الأنظمة –كما أوضحنا في أمثلة سابقة– لا تمارس البطش فقط، ولكنها تمارسه بأساليب في غاية الانحطاط والدناءة.

ولا يقتصر البطش والقهر على الخصوم السياسيين فقط، بل يتعداه ليصبح أسلوبا معتادا في تعامل النظام مع عامة الناس، خصوما كانوا أو غير خصوم.

ونحن نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة أمثلة:

(٩٥) نورمان تشوارزكوف: رؤية عربية للوجود العسكري في الخليج – لماذا تستحق السعودية مساعدتنا – قضايا دولية – العدد ٢٠٤– السنة السابعة ١ جمادى الثانية ١٤٠٧هـ ١٤ أكتوبر ١٩٩٦م – ص ٣٣.

المثال الأول: لحادثة مارس فيها النظام القتل المتعمد ضد خصومه السياسيين من أجل مشكلة إدارية تافهة داخل السجن.

والمثال الثاني: لحادثة مارس فيها النظام الانتقام من أسرة أحد الأبطال المجاهدين ضد اليهود.

والمثال الثالث: لعدة حوادث أقدمت فيها الشرطة على انتهاك أعراض نساء من عامة الشعب لسؤالهن عن أقاربهن أو لتحقيق مصالح بعض أصحاب النفوذ.

أ- أما المثال الأول فهو لحادثة وقعت في عهد عبد الناصر، وبدأت وقائعها في يوم الأربعاء ٢٩ مايو ١٩٥٧م في ليمان طره ضد مسجوني الإخوان المسلمين، حيث كان هذا اليوم هو يوم الزيارة المخصص لإخوان شبرا.

وفي أثناء وجودهم مع أهليهم وزوجاتهم وأبنائهم دخل عليهم الضابط عبد الله ماهر ساحة الزيارة فتحرش بهم، ووجه لهم الإهانات الفظة أمام زوجاتهم وأبنائهم وأقاربهم، فتحملوه ولم يردوا عليه، فاشتاط غيظا، وحول إهاناته نحو الأهالي، فصبروا حتى وصل به الأمر إلى توجيه ألفاظ فاحشة لشقيقة أحد الإخوان، فحاولت السيدة الفاضلة تهدئته، فتمادى ليسب عرضها، فثار الشقيق لعرضه وشرفه، وهنا صفر الضابط معلنا انتهاء الزيارة، وأسرع الحراس يسوقون الإخوان أمامهم إلى العنبر. وفي الطريق حولهم إلى عنبر(التأديب) حيث وضعت أيديهم في الحديد خلف ظهورهم، وأقيمت (حفلة استقبال) بالعصي والقوايش والأحذية تحت إشراف الضابطين عبد الله ماهر و عبد العال سلومة.

وتم تفتيش العنبر رقم واحد الذي يسكنه مسجوني الإخوان بمنتهى الإهانة والسفالة.

وفي فجر اليوم التالي دخل الزبانية إلى العنبر رقم واحد يطوقون الزنازين، ويصيحون بصيحاتهم المتوحشة: انزل الجبل .. انزل الجبل، ليبدأ الإخوان يوما جديدا من العذاب والنكال في تقطيع الصخور في الجبل.

ونزل الإخوان متوجسين لا يتبادلون الكلمات.

ومر اليوم مشحونا بالتوتر، وعاد الإخوان من الجبل منهكين بعد يوم جديد من المعاناة والإذلال ليجدوا مفاجأة في غاية الغرابة، وجدوا الزبانية – الذين لا يعرفون ربهم – قد سحبوا الإخوان المرضى من المستشفى، وأعادوهم للزنازين في العنبر رقم واحد، ومعهم أمر بأن ينزلوا إلى الجبل يوم السبت.

وتساءل الإخوان: كيف ينزل المرضى إلى الجبل لتقطيع الصخور وفيهم من أجريت لهم عمليات جراحية لم تلتئم ولا زالت جروحها مفتوحة، وفيهم من هو في مثل الشهيد –كما نحسبه – سيد قطب – رحمه الله – الذي لا يقوى على رفع جسده عن الأرض؟

ومنذ فجر الجمعة – وهو يوم الراحة – بدأ الإخوان يفكرون ويقلبون الأمر، فوصلوا إلى نتيجة واحدة وهي أن النظام قرر التخلص من المسجونين دفعة واحدة وإلى الأبد، بسحبهم جميعا بمن فيهم المرضى إلى الجبل حيث يمكن إطلاق النار عليهم في مذبحة جماعية، ثم إعلان ما وقع كأنها محاولة جماعية للهروب أجبرت الحراس على فتح النار على الهاربين، وبناء عليه قرروا الامتناع عن النزول إلى الجبل، وطلب النيابة للتحقيق.

وبعد صلاة الفجر يوم السبت تعالت الصيحة المشؤومة: " انزل الجبل"، ونزل الإخوان لساحة السجن ، وسلموا للشاويش (...) الذي سلمها بدوره للضابط عبد العال سلومة. وكان المفروض أن يخرجوا للجبل حتى تعرض الأوراق على إدارة الليمان ويبت فيها.

ولكن الضابط – جمع الأوراق، وأمر الإخوان بالعودة إلى العنبر رقم واحد وإغلاق الزنازين عليهم.

وفي الساعة العاشرة حضر الشاويش مناديا: حسن دوح... عبد الحميد خطابي... أحمد البس... عبد الرزاق أمان الدين... للنزول فورا لمقابلة مدير السجن.

وخرج الأربعة من الزنازين وسط مجموعة من الحراس المسلحين، وفوجئوا بأن العنبر محاط بنطاق من العسكر يحملون البنادق فوق السور، وأن حالة قصوى من الطوارئ معلنة، ومعا لم معركة مقبلة واضحة على الوجوه، فالعصي و الكرابيج وصناديق الذخيرة مكومة، أما ساحة الليمان فامتلأت بألف عسكري كامل السلاح.

وتساءل الإخوان إذا كان كل هذا الحشد لضرب مائة وثمانين رجلا من الإخوان نصفهم مرضى وكلهم أعزل، فهذه إذا نية القتل المبيتة. ولماذا إذا طلبوهم إذا كان الحكم قد صدر و الساحة مهيأة للتنفيذ؟

وصل الإخوان الأربعة إلى مكتب الضابط محمد صبحي حيث وجدوا أنهم بمواجهة مجلس عسكري برئاسة مدير الليمان العقيد سيد والي، وحوله كامل أركان حربه من ضباط السجن، و أشار نحو حسن دوح – الذي كان يتلوى من ألم كليته– قائلا:

– "اتكلم"

– فقال حسن دوح:"عن ماذا؟".

– فرد عليه: "أنت خطيب بليغ زي ما بيقولوا... اتكلم... قل أي كلام".

وبدأ حسن دوح يتكلم والألم ينهش خاصرته، وهو في حالة يرثى لها.

– فقال له المدير: "مالك يا أستاذ؟"

– فقال:"لاشيء يا سيدي".

– فرد ضابط العنبر: "إنه تعبان من كليته يا سيدي، إنه يعيش بكلية واحدة والثانية تعبانة".

– قال المدير: " اجلس يا أستاذ... أتكلم أنت". وأشار إلى عبد الرزاق أمان الدين. فتكلم عن المعاملة التي ساءت، والاستفزازات التي تصاعدت، وبعده تحدث عبد الحميد خطابي عن الإهانات التي توجه للزوار من أهل المساجين بلا سبب، وكيف وضعت القيود الحديدية في أيدي الإخوان من الخلف، وهو وضع مذل، علاوة على كونه مؤلما يستحيل معه الأكل والشرب والنوم ودخول الحمام، وكيف أن الجواسيس الصهاينة – الذين قبض عليهم في قضية لافون – يلقون من نفس الضباط الذين يفترون على الإخوان معاملة أفضل وأكرم، وأن هذا حرام شرعا ودينا.!!

وأخيرا تكلم أحمد البس فتساءل عن سبب التوتر، وحشد الجنود والذخائر، وهل كل هذا لضرب مائة وثمانين من الإخوان العزل الذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا، ولم يقترفوا ذنبا، بينما العدل والرحمة تفرض على المدير أن يعالج الأمر بالحكمة وليس بالقوة.

ويبدو أن الرجل كان فيه بقية من خير وشفقة فقال:" قسما بالله العظيم، أني ما عالجت أموري طوال حياتي إلا باللين، ودوسيه خدماتي بالحكومة يشهد علي، وسأفعل ذلك الآن".

قال ذلك وقام يتبعه ضباطه، وتركوا الإخوان الأربعة بالغرفة، وهم يشعرون بأن الأزمة قد انحلت على خير، ولكن الأمور لم تكن بيد مدير السجن.

فقد عرف حسن دوح أن المدير اتصل برئيسه مدير عام السجون الذي اتصل بدوره بوزير الداخلية زكريا محيي الدين الذي أصدر قرارا مختلفا.

وفوجئ الإخوان الأربعة بالمدير وضباطه يعودون ومسدساتهم مشهرة في وجوههم، وبصحبتهم الحرس يحملون الجنازير التي تستعمل في سلسلة المساجين،كل عشرين معا في قيد واحد.

وضمت أول مجموعة عبد الرازق أمان الدين وعبد الحميد خطابي و أحمد البس، وعندما وصلوا إلى حسن دوح بالجنازير، قال لهم مدير السجن: " ده ودوه العيادة... شكله تعبان وحيموت".

ثم ساقوا المقيدين إلى العنبر، وهناك فتحوا الزنازين بالدور، وأخرجوا الإخوان وأخضعوهم للتفتيش الدقيق والضرب الوحشي ليسلسلوهم معا بعد ذلك، وانتهوا من تقييد خمسة عشرا أخا في الجنزير الأول، وساد فزع مجنون في نفوس بقية الإخوان، وقد تأكدوا أنهم مساقون للموت.

وفي حالة هياج مرعب انقض مرسي صادق على سجان العنبر وانتزع منه حلقة مفاتيح الزنازين ليفتحها ويخرج منه بقية الإخوان، وقد شلت المباغتة بقية الحرس في لحظة تساوى فيها العقل بالجنون، والموت بالحياة.

وعجزت الإدارة عن عمل أي شيء سوى إقفال العنبر وترك الزنازين مفتوحة، واصطحاب المسلسلين إلى عنبر آخر، حيث أودعوا حجرة فيه.

وبعد الظهر عاد المساجين والحرس من الجبل، وكذلك العاملون في الورش، وأغلقت عنابر الليمان الأربعة على من فيها إلا عنبر رقم واحد، الذي يضم الإخوان، فقد تركوه على حاله. ولسبب ما تصور الإخوان أن الأزمة قد انتهت.

وحوالي الساعة الواحدة دخل عليهم العقيد سليمان طلعت، فالتفوا حوله يناقشونه في كيفية حل الإشكال بصفته مأمور أول الليمان، وكان متجاوبا. وبعد دقائق من الأخذ والرد حضر أحد الحراس وهمس في أذنه بعبارة خاطفة، قطع بعده الحوار، وخرج من العنبر مهرولا، تاركا الإخوان ينظرون لبعضهم متسائلين: ماذا حدث للرجل؟

ولم تتأخر الإجابة، فقد تعالت ضربات الأحذية العسكرية على بلاط الممرات، وقعقعة السلاح، وأوامر الشاويش المدوية: أمام سر، يمين در.

وظهر الألف عسكري بكامل السلاح لينقسموا فريقين: الأول توجه للدور الرابع، والثاني في الدور الثاني. وبقي الإخوان محصورين بالدور الثالث في الوسط، وأخذ العسكر وضع الاستعداد لضرب النار من الشرفات المحيطة بالهدف الأعزل من فوق ومن تحت.

كان **المنظر** منظر مقتلة مجنونة ينفذها نظام متعطش لدماء خصومه الإسلاميين، ومترقب لأي مبرر لقتلهم، مهما كان هذا المبرر مجنونا أو مرفوضا. حتى الإخوان الذين صوبت البنادق نحو صدورهم وقفوا يتفرجون من هذا التصاعد الجنوني لحقد الحكومة العلمانية.

ووقف التاريخ مشدوهاً في ظهر يوم السبت الأول من يونيو ١٩٥٧ م، وساد صمت مريب، ظهر وسطه مدير الليمان ومعه زمرة من رجال السلطة في ملابس مدنية يتصدرهم صلاح الدسوقي الششتاوي – محافظ القاهرة فيما بعد وضابط المباحث العامة صالح داود.

وبعد إلقاء نظرة سريعة للتأكد من إتمام كل شيء، رفع مدير الليمان يده بالمسدس، وأطلق رصاصة البدء.

وفورا فتحت فوهات البنادق نيرانها صوب الإخوان المحاصرين، وتعالت الصرخات والدعوات، وتناثرت الأشلاء وسالت برك الدماء، وفي اللحظات الأولى سقط الشهداء – كما نحسبهم – السيد العزب صوان و أحمد قرقر وعصمت عزت عثمان (رحمهم الله).

وتيقن الإخوان أن ما يحدث لهم حقيقي وليس مجرد كابوس، فبدأ الكل يركض أو يلقي بنفسه على الأرض بحثا عن ساتر يعصمه من الموت. واستمر قنص البشر على أيدي عبيد السلطة دقائق أطول من الدهور، حتى خمدت حركة الضحايا، وصدرت الأوامر بوقف إطلاق الرصاص.

صرخ النقيب أحمد رشدي(٩٦) في هياج وحشي آمرا فرقة حاملي الهراوات بالهجوم على الزنازين: خلصوا عليهم ما تخلوش واحد من ولاد الكلب فيه نفس.

ودخلت الحيوانات الآدمية المسعورة – عبيد المأمور – إلى المخزن البحري الذي لجأ إليه تسعة من الإخوان، استشهد خمسة منهم –كما نحسبهم – إلى رحمة الله تعالى، وكان الأربعة الباقون في حكم الأموات، والمكان عبارة من بركة من الدماء، فظنوا الجميع قتلى، فتركوهم، وتسارعوا يركضون نحو المخزن القبلي، لإنهاء المهمة، ولكن البوابة استعصت على

(٩٦) صار وزيرا للداخلية في عهد حسني مبارك.

الفتح بسبب رصاصة انحشرت في قفل الباب، فكانت السبب في نجاة أحد عشر أخا اعتصموا وراءها، ولكن الزنازين رقم ١٣، ١٤ كانت مفتوحة، فاقتحمها القتلة و أجهزوا على ستة من الإخوان بداخلها.

واستمر هذا القتل لمدة ساعة متواصلة، وكان حصيلة المجزرة العلمانية واحد وعشرين شهيدا –كما نحسبهم – مضوا إلى رحمة الله، واثنين وعشرون جريحا و أربعة عشر فقدوا عقولهم، جنوا وإلى الله المشتكى من ظلم الإنسان للإنسان.

وفي ليلة الأحد خرج من الليمان، واحد وعشرون نعشا في جوف الظلام وتحت حراسة مشددة. واتجهوا بكل شهيد إلى قريته حيث دفن تحت ستار الليل، وبحضور واحد من أهله وليبقى في القبر، تحت حراسة النظام، لا يزوره أحد.(٩٧)

ودفنت هذه الجريمة في قاع الصمت الناصري المعادي للإسلام، ولكن الذين دفنوها نسوا أن أرض مصر التي ضمت هذه المأساة أرض خصبة بالإسلام الذي يضرب بجذوره فيها، فلم تمت فيها المآسي وإنما أنبتت في أواخر الستينات: الحركة الجهادية.

وقديماً قال عنترة:

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل   مر مذاقه كطعم العلقم

وهكذا حمل الثأر جيل جديد لم ينضم للإخوان ولكنه أصر على القصاص من المجرمين.

ب- أما المثال الثاني: فقد وقع في عهد حسني مبارك بعد أن قام الأخ المجاهد عصام مهنا إسماعيل بالاشتراك في عملية استشهادية في القدس فما كان من الشرطة إلا أن هاجمت منزل أسرته في شبرا الخيمة وقامت باحتجاز أسرته – وكان من ضمنهم أختاه عزة ونجلاء مهنا إسماعيل – بمقر مباحث أمن الدولة بشبرا الخيمة لإجبارهم على الإدلاء بمعلومات عن ابنهم ونشاطاته واتصالاته، وتعرضت الأسرة كلها للتعذيب الذي شمل عصب أعينهم

(٩٧) نقلتها باختصار وتصرف عن: محمد محفوظ: الذين ظلموا، التنظيمات الإسلامية في مصر ص ١٧ إلى ٢٤ الطبعة الأولى – رياض الريس للكتب والنشر – لندن ١٩٨٨م .

وضربهم بالعصي المطاطية وصعقهم بالكهرباء في أماكن متفرقة من الجسم، كما فقئت عين أخيه أسامة مهنا إسماعيل من جراء التعذيب.(٩٨)

كما أعتقل ثلاثمائة شخص من قريته إرضاء لإسرائيل وتنفيذا لسياستها في محاربة الصحوة الإسلامية.

ففي اجتماع القاهرة حضره الجنرال إفراييم سنيه – الوزير في حكومة رئيس الوزراء المقتول رابين – مع بعض المسئولين المصريين، قال سنيه: " إن الأمور سوف تتطور بسرعة في مصر، وسوف يعلو نفوذ التيار الإسلامي فيها، وقد يؤدي ذلك إلى انهيار معاهدة السلام مع إسرائيل، ونصبح مرة أخرى أمام خطر حرب عامة عربية – إسرائيلية.(٩٩)

أما المثال الثالث: فهو شهادة لطبيبة نفسانية أرسلت بها لجريدة العربي القاهرة وهي جريدة ليست إسلامية الاتجاه ولا تابعة لتنظيم الجهاد، والطبيبة النفسانية هي الدكتورة سوزان فياض مديرة مركز النديم للطب النفسي التي أرسلت على الجريدة المذكورة برسالة نقتطف منها ما يلي:

نرسل لكم بشهاداتنا الطبية المحزنة عن بعض أساليب التعذيب التي اتبعت في عدد من أقسام الشرطة وعن المشاكل الطبية والاجتماعية المستعصية التي ترتبت على ذلك، بل وعن الأسباب الواهية التي تدفع بعض الضباط لاستخدام أعنف الأساليب وأكثرها بشاعة.

نتوقف بشكل خاص عند حالات النساء (الأمهات) ففي عدد من هذه الحالات جرى تعذيب الأمهات بتجريدهن الكامل من ثيابهن أمام جمع من المخبرين الرجال بالطبع، وطرحهن أرضا، وعذبن باستخدام الصعق الكهربائي في أماكن حساسة من الجسد بل وجرت السخرية منهنّ ومن شرفهن وهددن بالاغتصاب.

بل وصل الأمر أنه قد جرى استجواب طفلة يقترب سنها من مرحلة عمرية حرجة (١٢ سنة) وهي عارية تماما ولمدة ساعتين. وفي هذه الحالة المحددة جرى إدخال خال الطفلة وعدد من الرجال من سكان نفس الحي – الذي جرى استجوابهم وتعذيبهم بنفس الطريقة – على السيدة العارية المطروحة أرضا كالذبيحة.

---

(٩٨) المنظمة المصرية لحقوق الإنسان: التقرير السنوي لعام ١٩٤٩م ص ٧٠، ٧١، ٧٢.
(٩٩) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل – الكتاب الثالث: سلام الأوهام؟ أوسلو – ما قبلها وما بعدها – ص ٢٥٦، الطبعة الثالثة نوفمبر ١٩٩٦م.

وفي حالة ثانية قام جمع من الرجال بإجبار سيدة صعيدية – في الغالب لم يرى زوجها نفسه جسدها حتى الآن – على نزع ثيابها كاملة، وضربوها، وعذبوها عارية تماما هي وزوجها وزوجة ابنها وطفله.

أما عن الأسباب الواهية التي يتعرض المواطنون بسببها للتعذيب فهي تتراوح بين الرغبة في معرفة مكان هروب أحد المتهمين بسرقات صغرى وهم عادة شباب صغير السن، ويجري تعذيب أمه وأبيه وأفراد أسرته للحصول على اعترافهم بمكان هروبه.

أو أن يقوم الضباط تحت تأثير أحد الشخصيات الهامة اجتماعيا بالانتقام من مواطن عن طريق تعذيبه وتدميره نفسيا، وأخص بالذكر هنا حالتين نتج عنها كسر بالفك وتبول ليلي وعجز جنسي بسبب التعذيب بالكهرباء.

والحالة الثانية لسيدة فلاحة مكافحة تعزق الأرض وتزرعها بنفسها لإعالة أسرتها المكونة من ستة أفراد و أسرة ابنتها التي توفى زوجها وترك طفلين ومنزلاً صغيراً وقطعة أرض صغيرة جداً.

والقصة أنَ عم الأطفال يصر على أخذهم وأخذ الأرض والمنزل وطرد أرملة أخيه لتذهب وتقيم مع والدتها، ولما رفضت الأرملة ووالدتها ترك الأطفال والأرض أبلغ أصدقاءه في قسم البوليس فقاموا بالانتقام منها بضربها ووضعها في خيار نفسي مستحيل وهو أن تخلع ملابسها بنفسها قطعة قطعة أو أن يرسل بها للحبس في زنزانة الرجال، أما عن التبعات الطبية المترتبة عن استخدام هذه الأساليب من الاعتداءات الجسدية فهي تتعدى الخيال.

ففي الحالة الأولى أصيبت السيدة التي جرى عرضها على رجال الحي بحالة نفسية حادة وامتنعت عن الخروج إلى الشارع، كما أن إخوتها و أبنائها أصبحوا محملين بالشعور بالخجل والمرارة والرغبة المشروعة في الانتقام، كما أصيب شقيق هذه السيدة بحروق شديدة وتقرحات في أماكن الصعق بالكهرباء أدت إلي دخوله في حالة تسمم وارتفاع شديد في درجة الحرارة، أما الطفلة فأصيبت بصدمة نفسية لا يعلم إلا الله الآثار المترتبة عليها في المستقبل.

وفي حالة السيدة الصعيدية فقد أصيبت بحالة ذهول ومرض نفسي اضطررنا معه لإدخالها إحدى مستشفيات الطب النفسي للعلاج.

أما في حالة كسر الفك والتبول الليلي والعجز الجنسي فهذا المواطن يعاني من الشعور الدائم بالاكتئاب والمرارة والخجل ولا يستطيع الانتظام في العمل ويتشاجر مع زوجته وأولاده لأتفه الأسباب.

أما السيدة الفلاحة فهي الوحيدة برغم شعورها بالاكتئاب وشعورها الدائم بالذنب بسبب قيامها بخلع ملابسها بنفسها، فهي لا زالت تعمل وتعول أسرتها وهي أحد الحالات المتكررة التي أمر وكيل النيابة بغلق ملف تحقيقها بعد أن رفضت الصلح مع الخصم".[١٠٠]

وهكذا يبدو الوجه الحقيقي البشع للنظام في تعامله مع عامة الناس فكيف يكون تعامله مع خصومه السياسيين خاصة إذا كانوا من الحركات الإسلامية خدمة للنفوذ الأمريكي والمصالح الإسرائيلية.

٤– الاستعانة بعلماء السلطة:

من المميزات البارزة للأنظمة الحاكمة المسيطرة على بلادنا توظيفها لحشود من المشايخ المرتزقين بالدين الذين يعملون على خداع العامة وتبرير خيانات الحكومة وشن حملة من التشويه والتضليل ضد الحركات الإسلامية والجهادية خاصة.

وهؤلاء العلماء يدعون إلى دين جديد شاذ، وإسلام أميركي وافد، لا صلة له بالقرآن الذي أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا بسنته التي نقلها عنه أصحابه – رضوان الله عليهم – وتابعيهم والأئمة والأعلام من بعدهم عليهم رحمة الله أجمعين.

ومن سمات هذا الدين العجيب الذي يخلط بين الإسلام وبين مصالح أعداء الأمة:

– إدعاء أصحابه من قال (لا إله إلا الله) لا يكفر وإن فعل ما فعل، وإنهم لا يشكون في إيمان الحكام وتفانيهم في خدمة الدعوة الإسلامية، وإنهم – أي الحكام – لا يردون لله حكما.

وفي نفس الوقت يخرجون من الإسلام كل مجاهد يدافع عن دين الله وعن حرمات المسلمين، فيصفون الشباب المسلم بأنهم من المارقين المنحرفين، بل لا صلة لهم بالإسلام أصلا والإسلام منهم برئ.

---

(١٠٠) جريدة العربي – ١٩٩٤/٨/٢٩م ص ٤.

فهم مع الحكام مرجئة غلاة، ومع الشباب المسلم خوارج جفاة.

- ومن سماته أن السلام مع إسرائيل عمل جائز شرعا، بل مستحب، بل هو ما يدعو إليه الإسلام ويحض عليه القرآن. أما الحركات الإسلامية والجهادية منها خاصة، فعدو خبيث يجب القضاء عليه بلا رحمة والفتك به بلا هوادة.

- ومن سماته أيضا أن الخروج على الحكام، خروجا على الإسلام، وأن الحكم منحة يمنحها الله لمن يشاء من عباده ولا يجوز أن ينازع فيها، وأن من يدعو إلى حاكمية الشريعة فقد دعا إلى عقيدة الخوارج، إلى أن قال قائلهم: " لو كان الأمر بيدي لوضعت السادات في منزلة من لا يسأل عما يفعل".

ولكنهم في نفس الوقت يكفرون كل من دعا أو تشفع أو طاف بقبر؛ عالما كان أو جاهلا.

أي أن الأضرحة معابد وثنية وقبورها حفر مظلمة وساكنوها عظام نخرة، أما القصور فهي مشرق الأنوار ومنبع الريال والدولار ومرتع الأولياء الأطهار والأصفياء الأبرار.

- ومن سماته أيضا أن عساكر أعداء الأمة المحتلين لأرض الإسلام أعوان وأنصار، دخلوا بإذن ولي الأمر الشرعي ليساعدونا ويدافعوا عنا، أما المجاهدين فهم عملاء جواسيس أنجاس مناكيد انتشروا بيننا ليقتلونا ويفتكوا بنا.

- ومن سماته أيضا أن مواجهة الحكام بالحق دعوة للفتنة وخروج عن منهج الإسلام والنصيحة، أما تحطيم جماجم الشباب المسلم وسلخ جلودهم وصعق أعصابهم وانتهاك حرماتهم فهو جزاء عادل ونكال رادع لمن خرج عن منهج الإسلام وشق عصى الطاعة على الإمام.

نـــاد الملـــوك وقـــل لهـــم ... مــــاذا الـــذي أحـــدثتمو
أســـــلمتم الإســـــلام في ... أســـر العـــدا وقعـــدتمو
وجـــب القيـــام عليكمـــو ... إذ بالنصـــــارى قمتمــــو
لا تنكـــروا شـــق العصـــا ... فعصـــا النـــبي شـــققتمو

– ومن سماته أيضا أن الحوار مع اليهود حوار بالحسنى ودعوة بالحجة ومقارعة للدليل بالدليل، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحذير الأمة عن المؤامرات التي يسوقها بها حكامها والهاوية التي يدفعها إليها أعداؤها فهو دعوة للفتنة ونشر للفرقة وتفتيت للأمة وإذكاء للبغضاء بين المسلمين.

– ومن سماته أيضا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفير من الإسلام، وتضييق على خلق الله، وتشدد متزمت في فهم الإسلام، أما المحاكم الاستثنائية وقوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية، وإعدام الشباب بالعشرات، وقتلهم خارج نطاق القانون، واعتقالهم المفتوح لسنوات طويلة، والامتناع عن الإفراج عمن انتهت أحكامهم، والتنكيل بزهرة الشباب في مسالخ أمن الدولة، وإطلاق يد ضباط المباحث في تعذيب من يشاءون واعتقال من يريدون وانتهاك أعراض من يهوون، فاجتهاد معتبر في الفقه، تقتضيه مصالح الحكم، وتستدعيه مقاصد الشريعة.

– ومن سماته أيضا أن من علق تميمة أو حجابا فقد أشرك شركا لا عذر فيه ولا تأويل له، أما من تقلدوا أوسمة أعداء المسلمين حتى وإن كانت صلبانا – لتفانيهم في تسهيل سرقة ثروات المسلمين وإباحة بلادهم ومقدساتهم لأعداء الإسلام – فأئمة هداة وقدوة أعلام لم ير التاريخ أطهر منهم سيرة ولا أنظف منهم يدا.

– ومن سماته أيضا أن جنود الاحتلال الجديد ضيوف مستأمنون، على المسلمين أن يخدموهم ويساعدوهم ويكرموهم، ويحرم التعدي عليهم، أما الشباب المجاهدين فضلال مارقون، يطاردون ولا يساعدون ولا يعانون.

كانت هذه بعض سمات ومعالم هذا الدين الجديد الذي تريد إدارات الفتوى ووزارات الأوقاف أن تفرضه على الأمة، لتشوه عقيدتها التي ورثتها عن نبيها، ولتبدل دينها الذي نزل به القرآن كما فهمه أئمتها.

ومن هنا يتضح الدور الخطير والواجب العظيم الملقى على كاهل الدعاة الربانيين والعلماء المجاهدين في التصدي لهذه الحملة المضللة والهجمة المحرفة للإسلام.

إن دور العلماء الصادقين هو قطب الرحى في هذه المعركة، بل هو البؤرة التي تتجمع عندها قوى الأمة المجاهدة، وهو الراية التي تلتف حولها وتحت ظلها طاقات الإسلام المناضلة.

يجب على العلماء أن يعودوا لتبوء دورهم القيادي و مكانهم الريادي في معركة الإسلام والكفر.

وهذا الشرف لن يمنح للعلماء منحا ولن يوهب لهم هبة، إنما عليهم أن ينتزعوه انتزاعا من بين مخالب الذئاب المتسلطة علينا والمتاجرة في مقدساتنا.

يجب على العلماء أن ينتزعوا حريتهم واستقلالهم، ويعودوا أئمة وهداة وأسوة وقدوة وزعماء وقادة، بعد أن أصبحوا موظفي رواتب وأبواق دعاية تذيع ما يلقى فيها حقا أو باطلا، توحيدا أو شركا.

إن استقلال العلماء وبخاصة استقلال الأزهر الشريف هو معركة العصر وواجب الوقت.

يجب على علماء الأزهر أن ينتزعوا استقلالهم من الحكومة بكل ما يعني هذا الاستقلال من معان.

يجب أن يتحرروا من دولاب الحكومة ويعودوا حصنا حرا للإسلام لا صلة له بعمالة الحكام وشهوات المسئولين.

يجب عليهم أن يستردوا أوقافهم المغتصبة، وأن يصروا على ذلك وأن يقاتلوا من أجله، فإن الحكومة ما استولت على هذه الأوقاف إلا لتتحكم في العلماء وتفسد التعليم الديني.

ويجب على علماء الأزهر أن يعيدوا هيئة كبار العلماء لتتولى إرشاد الأمة في هذه المعارك الضخمة التي تواجهها ولتكون منبرا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجه ظلم الحكام وفسادهم.

ويجب على علماء الأزهر أن يصروا على حقهم في اختيار شيخهم بإرادتهم الحرة، وألا يقبلوا المشايخ الذين تفرضهم الحكومة عليهم، أولئك الذين أباحوا الربا واستقبلوا السفير الإسرائيلي والحاخام الأكبر لإسرائيل في صحن الجامع الأزهر الشريف ترويجا لسياسة التطبيع والاعتراف بالكيان الصهيوني، وعلى العلماء أن يتمسكوا بشيخهم الذي اختاروه بحريتهم، وأن يرفضوا التعامل مع الشيخ الذي تفرضه الحكومة عليهم، وأن يدعوا الأمة إلى ذلك. ومن السخرية أن يكون للأقباط في مصر حق اختيار زعيمهم، ومن السخرية أيضا أن تحترم الحكومة هذا الاختيار وتعترف به وتحرم ذلك على علماء الأزهر.!!

وعلى العلماء أن يمنعوا الحكومة من التدخل في شؤونهم وفي اختيار مناهج طلابهم حفاظا على منهج الأزهر من عبث الحكومة العلمانية.

ويجب عليهم أن ينشئوا (نقابة العلماء والخطباء) حتى ولو لم تعترف بها الحكومة وأن يجبروا الحكومة على التعامل معها، فليس من المعقول أن يكون في مصر نقابة للراقصين والمغنيين ويحرم ذلك على علماء الأزهر.

ويجب أن يرفض علماء الأزهر المادة ٢٠١ من قانون العقوبات التي تحرم على خطباء المساجد نقد القرارات الإدارية والقوانين المستقرة والأعراف السائدة، وأن يمسكوا بحقهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليس من المعقول أن يكون هذا الحق مضمونا لكل صحفي وكاتب ومحرم على خطيب المسجد بحكم القانون العلماني.

ويجب على علماء الأزهر أن يرفضوا التحاكم في مشاكلهم مع الحكومة والهيئات إلى القانون العلماني الذي يلزم الأزهر بدفع فوائد الربا وأن يصروا على إحالة كل المنازعات مع الأزهر إلى المحكمة الشرعية العليا التي ينشئها الأزهر.

يجب على العلماء والوعاظ أن يشكلوا في كل مسجد لجنة لمقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية والشركات المتعاملة فيها والممثلة لها، وأن يصعدوا هذا الحصار ضد أعدائنا الذين يمتصون دماءنا وينهبون ثرواتنا.

ويجب على كل عالم أن يتكاتف مع إخوانه العلماء لكي تظل للمساجد حرمتها، ولكي يتوقف عدوان الشرطة عليها، ولكي يسترد العلماء كرامتهم ولا يتطاول عليهم عملاء النظام.

وإذا حصل العلماء على استقلالهم فسينفتح لهم الباب على أمرين في غاية الخطورة في معركة الإسلام ضد الحملة الصليبية الجديدة:

الأول: تبوء منصب القيادة والإمامة لجماهير الأمة صدعا بالحق في وجه الباطل، وتوجيها لطاقات الأمة في مقاومة الظلم والطغيان والعلمانية والقوانين الوضعية والتطبيع مع إسرائيل والتبعية لأمريكا.

والثاني: إنشاء **المحكمة الشرعية العليا** بفروعها المنتشرة في ربوع البلاد، ودعوة الأمة إلى التحاكم الطوعي إليها، ونبذ المحاكم العلمانية والقوانين الوضعية لتسقط منبوذة بعد أن يهجرها الناس حتى وإن حرستها قوات الشرطة وجيوش الحكومة.

إن معركة العلماء الهداة مع الحكام الطغاة ليست معركة سهلة، بل هي ملحمة تتناثر فيها الأشلاء وتسيل فيها الدماء، والأمة كلها ستقف معهم – بإذن الله – في هذا الجهاد المبارك الذي عليهم أن يطلقوا شرارته ويمسكوا بأزمته.

قد هيؤك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

و إذا كان هذا هو واجب العلماء الصادقين، فإن لهم على الأمة حقان:

الأول: الالتفاف حولهم ودعمهم واحترامهم والإقتداء بهم وحض الناس على التأسي بهم والسير تحت رايتهم والدفاع عنهم.

يجب أن تتكفل الأمة بإعاشة العلماء الذين يفصلون من وظائفهم، وتقطع رواتبهم، أو يعتقلون بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

بل يجب على جمهور الأمة أن يدفع زكاة أمواله إلى العلماء الصادقين لينفقوها في أوجهها الصحيحة بعيدا عن إشراف الحكومة، ويجب على أثرياء الأمة أن ينشئوا المدارس والمعاهد الإسلامية الأهلية المستقلة بعيدا عن إشراف الحكومة، حتى لا تخنق الحكومة الدعاة والعلماء بالتحكم في قوتهم.

ويجب على أثرياء المسلمين أن يوقفوا الأوقاف على هذه المدارس لضمان استمرار الإنفاق عليها.

لقد استطاع العلماء في بلاد كثيرة أن يحافظوا على استقلالهم عبر الحفاظ على استقلال موارد معاهدهم بعيدا عن تسلط الحكومات، فعلى العلماء أن يسعوا في ذلك سعيا حثيثا.

أما **الحق الثاني** الواجب على الأمة تجاه علمائها: فهو كشف علماء السلطة والسلطان الذين يفتون بإباحة بلادنا لليهود والأمريكان، ويدخلون الأبالسة الجنة، وينصبون الفجار أئمة.

إن هؤلاء العلماء يقفون في صف أعداء الأمة ويحاربون معهم بألسنتهم وفتاواهم وشبهاتهم.

إن كل فتوى يصدرونها بإسلام الحكام المحاربين للإسلام، وبجواز الاستعانة بالأمريكان، وإدخال عساكرهم وقواعدهم لبلاد المسلمين، وإجراء المناورات المشتركة معهم، وجواز

الصلح مع إسرائيل، إنما هي فتوى تعضد العدوان على المسلمين، وتمكن المحتلين من الاستمرار في احتلالهم لديارنا.

وواجب على شباب الإسلام الواعي أن **يحذر و يحذّر** منهم، أن ينبذهم ويتركهم في دنياهم التي يتكالبون عليها، وسلاطينهم الذين يركضون خلف مواكبهم، ولا يلتفت إليهم ويدعهم مهملين مهجورين.

إن تقديم هؤلاء وتعظيمهم إحياء لدين الملوك والأباطرة، وإماتة لدين النبي صلى الله عليه وسلم.

إنها معركة صحوة، خطيرة الأثر بالغة الشدة بعيدة المدى والوقع والنتيجة.

وعلى الطليعة المسلمة أن تخوضها بثبات وعزم ووعي وتجرد وإخلاص {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }العنكبوت ٦٩.

الباب الثاني

التيارات الإسلامية

{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }الفتح ٢٩.

*   *   *

نتناول هنا بعض التيارات الإسلامية ذات التأثير في واقع المسلمين، منوهين إلى بعض سماتها الرئيسية.

ونتناول في الفصل الأول الحركات الجهادية.

وفي الفصل الثاني الإخوان المسلمين.

الفصل الأول
الحركات الجهادية

{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }التوبة١١١

البـــاذلين نفوســـــهم لنبـــــيهم ... يـــوم الـــوغى لتعـــانق ومـــرار

يتطهـــرون يرونـــه نســـكاً لهـــم ... بـــدماء مـــن علقـــوا مـــن الكفـــار

(كعب بن زهير رضي الله عنه)

* * *

ونقسم الكلام إلى قسمين:

القسم الأول: في السمات العامة للحركات الجهادية.

والقسم الثاني: عن مبادرة وقف العمل العسكري.

القسم الأول
السمات العامة للحركات الجهادية

بجميـــل فعلـــك نكســـت أعـــلام وبطهـــر وجهـــك هـــدمت أصـــنام
ودعـــت أشـــبال الشـــرى وأســـوده وولجـــت بابـــا أنـــت فيـــه إمـــام
كثـــر الزحـــام علـــى الثغـــور وبابهـــا فـــاخترِ بابـــا عليـــه زحـــام
وركبـــت عزمـــك لا تبـــالي بـــالردى وقهـــرت جـــيش الريـــب وهـــو لهـــام
و كســـرت ســـيف الرعـــب وهـــو مجـــرد فأزحـــت مـــا أوحـــت بـــه الأوهـــام
مبتســـما للمـــوت ترشـــف كأســـه لا يعتريـــك ونى ولا إحجـــام
في موقـــف العـــز الأنـــيس وهولـــه مـــن فرطـــه يـــتردد الإقـــدام

(الشيخ أبو سلمان المغربي في رثاء بطل عملية السفارة الأمريكية في نيروبي)

* * *

للحركة الجهادية في مصر الآن معالم وسمات بارزة أهمها:

أ- وضوح العقيدة:

فالحركة الجهادية تنطلق من اعتقاد عقيدة سلف الأمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقاها عنه أصحابه - رضوان الله عليهم - ثم أتباعهم من بعدهم صافية نقية قبل نشوء الفرق ودخول البدع والخرافات إلى معتقدات المسلمين.

وبهذا المنهج الواضح يلتزمون بأحكام الفقه كما نقلها أئمة الفقه والحديث، وخاصة الأئمة الأربعة الذين تلقتهم الأمة بالقبول.

وتلتزم الحركة الجهادية بما اتفقوا عليه وأجمعوا، ولا تخرج عن أقوالهم فيما اختلفوا فيه.

ومن أشهر المسائل التي تبني عليها الحركة الجهادية حركتها، إجماع العلماء على كفر الحكام المبدلين للشرائع، ووجوب الخروج عليهم، وخلعهم، ويستندون في ذلك لآيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }المائدة ٤٤،

وكقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }المائدة ٥٠، وكقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }النساء ٦٥.

كما يستدلون بعدد من الأحاديث الصحيحة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه حيث قال: (دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان في ما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا و أن لا ننازع الأمر أهله، قال : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان") متفق عليه واللفظ لمسلم.(١٠١)

كما يستدلون بأقوال طائفة كبيرة من العلماء المتقدمين والمعاصرين: فمن أمثلة المتقدمين الطبري والقرطبي و ابن كثير والنووي و ابن حجر و ابن حزم و ابن تيمية و ابن قدامة المقدسي و غيرهم كثير رحمهم الله.

و من المعاصرين العلامة المحدث أحمد شاكر، و الشيخ محمود شاكر رحمهما الله والشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله و الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ رحمه الله و الشيخ محمد نعيم ياسين و الشيخ عبد الله عزام رحمه الله و الشيخ عمر عبد الرحمن فك الله أسره.

فمن أمثلة أقوال العلماء المتقدمين: ما قاله الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }المائدة ٥٠: " ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله".

إلى قوله: " فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير".(١٠٢)

ومثل الإجماع الذي حكاه الإمام النووي عن القاضي عياض رحمهما الله: " قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، و على أنه لو طرأ عليه

(١٠١) صحيح مسلم –كتاب الإمارة – باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية – ج ١٢ ص ٢٢٩ – دار الفكر ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(١٠٢) الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم – سورة المائدة الآية ٥٠ – ج ٢ ص ٦٣ – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – دار المفيد بيروت.

الكفر انعزل".. إلى قوله: " فلو طرأ عليه كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه، وخلعه، ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك".(١٠٣)

ومن أمثلة العلماء المعاصرين العلامة المحدث أحمد شاكر – رحمه الله – حيث قال: " إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام –كائنا من كان – في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها".(١٠٤)

٢– وضوح المواجهة:

حددت الحركة الجهادية هدفها بوضوح، وهو إسقاط النظام المصري الحاكم لعدم حكمه بالإسلام ولموالاته لأعداء الإسلام: اليهود والأمريكان.

وإذا كانت الحركة الجهادية في مصر قد حددت هدفها وهو إقامة الدولة الإسلامية في مصر، فإنها تدرك أن الصدام بينها وبين الحلف اليهودي الأمريكي واقع لا محالة، وتدرك أن هذا هو قدرها وواجبها، وهذه معركتها التي خاضتها و لا زالت تخوضها مستعينة بالله تعالى.

---

(١٠٣) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي –كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٢٩، ٢٣١.
(104) أحمد شاكر: عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير – ج ٤ ص ١٧٣، ١٧٤ – طبعة دار المعارف بالقاهرة. لمزيد من التفصيل حول هذه المسائل يمكن الرجوع إلى: محمد نعيم ياسين: الإيمان وأركانه ونواقضه، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: رسالة تحكيم القوانين، عمر عبد الرحمن: كلمة حق، ومن مطبوعات جماعة الجهاد: تحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت، العمدة في إعداد العدة، الهادي إلى سبيل الرشاد.

القسم الثاني

مبادرة وقف العمل العسكري

دخل عبد الله ابن الزبير إلى أمه فشكا لها خذلان الناس له، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وإنه لم يبقى معه إلا اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة، والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت: " يا بني أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين؟ وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن. فدنا منها وقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي".

(من وصية السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما لابنها عشية مقتله)[١٠٥]

أخـي هـل تـراك سـئمت الكفـاح	وألقيـت عـن كاهليـك السـلاح
فمـن للضـحايا يوسـي الجـراح	ويرفـع رايتهـا مـن جديـد
أخـي فـامض لا تلتفـت للـوراء	طريقـك قـد خضـبته الـدماء
ولا تلتفـت ههنـا أو هنـاك	ولا تتطلـع لغـير السـماء

(الأستاذ سيد قطب رحمه الله)

* * *

تحدثنا في الفصل السابق عن الوضوح في الهدف وفي المواجهة لدى الجماعات الجهادية، إلا أننا يجب أن نعترف أن هذا الوضوح قد شابه بعض الاهتزاز بسبب ما تورطت فيه الجماعة الإسلامية من إيقاف للعمل الجهادي المسلح تحت مسمى (مبادرة وقف العمليات العسكرية).

(١٠٥) ابن كثير: البداية والنهاية، حوادث سنة ثلاث وسبعين، ج ٨، ص ٣٣٥، دار الكتب العلمية بيروت.

وللأثر الخطير لهذه المبادرة، ولأن كل من له صلة ومن ليس له صلة قد تناولها بالبحث، رأيت أن أتناولها بشيء من التفصيل والمصارحة، مع اعتذاري لإخواني في الجماعة الإسلامية – الذين أكن لهم الاحترام والمحبة – عن مخالفتي لهم في الرأي أو نقدي لآرائهم، ولكن الحق– حسب اجتهادنا –أحب إلينا وأوجب في الإتباع.

١– مقدمة:

أ– بدأت هذه المبادرة بنداء وجهه خالد إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية بأسوان المتهم في قضية تنظيم الجماعة الإسلامية في أسوان – في إبريل ١٩٩٦م، ثم تكرر النداء في قضية أخرى للجماعة الإسلامية في يوليو ١٩٩٧م باسم قيادات الجماعة الإسلامية في سجني ليمان طره و العقرب.

وكان النداء يدعو أعضاء الجماعة الإسلامية في الداخل والخارج إلى وقف العمليات العسكرية والبيانات المحرضة عليها، وطلبت الجماعة من الحكومة أن تتجاوب مع مبادرتها.

ب– وردت الحكومة على لسان وزير داخليتها – آنذاك – حسن الألفي: أنها لا تلتفت لمثل هذه المبادرات التي لا يراد بها إلا محاولة تخفيف الأحكام المتوقعة ضد أعضاء الجماعة، كما أن الحكومة لا تتعامل مع الخارجين على القانون.

ثم صرح وزير الداخلية التالي حبيب العادلي: بأن الحكومة لا تتفاوض مع أحد وإنما هي تفرج عمن يتوب عن العنف والإرهاب.

٢– أسئلة حول المبادرة:

بعد المقدمة التي ذكرناها نرى أن نعرض قضية المبادرة في صورة أجوبة على الأسئلة التالية:

أ– ماذا يقول المنتسبون للجماعة الإسلامية عن المبادرة؟
ب– ما هو توصيف المبادرة؟
ج– ما هي قوة مبررات المبادرة؟
د– ما هي آثار المبادرة حتى الآن؟

أ– ماذا يقول المنتسبون للجماعة الإسلامية عن المبادرة؟

قد يستغرب القارئ بهذا السؤال الشكلي في مظهره، ولكني آثرت البدء به لما يترتب على الإجابة عليه من إظهار حقائق تفيد في دراسة هذه المبادرة.

(١) أما أول المتحدثين عن الجماعة فكان خالد إبراهيم – أمير الجماعة الإسلامية في أسوان – في المحكمة في إبريل ١٩٩٦م، وشجعه على هذه المبادرة، ونشرها في وسائل الإعلام، وروج لها المحامي منتصر الزيات الذي ادعى يومها أنه ينتظر عليها ردودا من الإخوة في الخارج.

(٢) ثم تحدث باسم قادة الجماعة في ليمان طرة الأخ/ محمد عبد العليم أثناء محاكمته في يوليو ١٩٩٧م في قضية تفجيرات البنوك التي كان يترافع فيها منتصر الزيات. حيث نقل عنهم محمد عبد العليم عدة بيانات.

طالبوا في الأول منها أفراد الجماعة الإسلامية في الداخل والخارج بوقف العمليات العسكرية **ووقف البيانات المحرضة عليها**.

ثم أعلنوا في بيانهم الثاني أنه لا يصح البغي و العدوان على الأقباط بغير حق. واستمروا في بيانهم الثالث يؤكدون تمسكهم بوقف العمليات العسكرية، ووقف البيانات المحرضة عليها في **داخل مصر وخارجها**. وأن هذا البيان للجماعة الإسلامية **ليس وليد تفاوض** مع أجهزة الأمن أو غيرها، ولكن لما فيه من مصلحة شرعية للإسلام والمسلمين.

وجاء البيان الرابع ليعلن وقوفهم مع كافة القوى الوطنية، ودعوتهم للحكومات العربية لوقف التطبيع مع اليهود، ومقاومة التسلط الإسرائيلي في المنطقة بالجهود المخلصة، والدعوة الإسلامية الراشدة.

ولما أصدر الدكتور عمر عبد الرحمن من سجنه بأمريكا بيانا يؤيد فيه مبادرة قيادات ليمان طره، تفاعلوا معه، وأعادوا تأكيد موقفهم في بيانهم الخامس الذي جاء فيه: " يشكر الإخوة في ليمان طره شيخهم الفاضل – الدكتور عمر عبد الرحمن – على موقفه الواعي والشجاع من مبادرة وقف العمليات. وهذا هو عهدهم به دائما حريصا على حقن الدماء، داعيا إلى الله على بصيرة، فجزاه الله خير الجزاء، **وندعوا وسطاء الخير لرفع المعاناة عنه وإطلاق سراحه من سجنه**."

ثم وجه قادة الجماعة في ليمان طرة برقية إلى رؤساء الأحزاب و الشخصيات العامة نشرتها جريدة الوفد في عنوانها الرئيسي. جاء في نصها:" لقد سعينا إلى وقف القتال لحقن

الدماء بين أفراد الشعب، **ونريد دعمكم لمبادرتنا، ومناشدة الرئيس والحكومة للاستجابة لها والتفاعل معها**".[١٠٦]

ثم أصدر الإخوة في ليمان طرة ردا على سحب الدكتور عمر تأييده للمبادرة، سنذكره – إن شاء الله – عند الحديث على تصريحات الدكتور عمر.

(٣) كما تحدث عن المبادرة الأخ/ أسامة رشدي في تبرئه من حادث الأقصر الذي وقع في ١٧ نوفمبر ١٩٩٧م، ثم في رده على الأخ رفاعي طه في هذا الصدد، وقد قرأت له حديثا في مجلة الشرق الأوسط، أرى من المفيد أن أثبت بعض ما جاء فيه، لأنه يعطي بعدا آخر للتحولات الفكرية التي تحدث داخل الجماعة الإسلامية.

فهو يرى تغيير رأي الشيخ عمر عبد الرحمن في المبادرة – ذلك التغير الذي أدى إلى سحب تأييده لها – إنما نتيجة ضعف المعلومات التي تصل إليه فيقول: " وبالنسبة لتغيير موقف الشيخ من مبادرة وقف العمل المسلح التي أطلقها الإخوة في مصر منذ ثلاث سنوات، فقد وصل الشيخ لهذا الرأي بناء على المعلومات التي تصل إليه من استمرار التعذيب والاعتقال لعشرات الآلاف من المعتقلين، وربما ساهم انعدام التواصل مع إخوانه وعائلته ومحاميه في مصر إلى ضعف المعلومات التي تصل إليه عن مجمل الأوضاع في مصر وعن آراء بقية قيادات الجماعة وأبنائها.[١٠٧]

ومع أنه يرى ضعف المعلومات الواصلة للشيخ هو السبب في سحبه تأييده للمبادرة، فإنه يقر بأن الأحوال في مصر سيئة وأن الحكومة لا زالت تمارس نفس أساليبها فيقول: " و بالنسبة لمبادرة وقف العمل المسلح فإن تباطؤ النظام في التعاطي مع استحقاقات هذه المبادرة وخاصة في ما يتعلق باستمرار انتهاكات حقوق الإنسان في السجون والمعتقلات، والتعاطي مع الحاجات الإنسانية الملحة للمعتقلين وأسرهم يصيب أكثر المتفائلين بالإحباط".[١٠٨]

وكلمة (استحقاقات) المبادرة كلمة غريبة لا أدري ماذا يقصد بها؟

---

(١٠٦) منتصر الزيات: حول مبادرة وقف العنف.. وماذا بعد؟ - مجلة السنة العدد ٧٢ شعبان/ رمضان ١٤١٨هـ ص ٤٠، ٤١.

(١٠٧) الشرق الأوسط العدد ٧٩٢٩ – الأحد ١٣ جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ١٣/٨/٢٠٠٠م ص ٦.

(١٠٨) المصدر السابق.

ويقول أيضا: " إخواننا يعانون التعذيب والنفي في السجون والمعتقلات المعزولة، وهم محرومون من أي ضمانات قانونية أو سياسية".(١٠٩)

ويسأله الصحافي: " الإفراج عن سبعة آلاف معتقل والتعامل بشكل ألطف مع المعتقلين ألا يعتبر إيجابيا؟ ".

فيرد مجيبا: هذا الرقم غير مسلم به، ومن ناحية ثانية فهناك عدة آلاف من أبناء الجماعة معتقلين بلا تهمة ولا محاكمة، وقد مضى على بعضهم أكثر من عشر سنوات في غياهب السجون.(١١٠)

ولا أدري لماذا يعتبر المعلومات التي بنى عليها الشيخ عمر سحبه لتأييده للمبادرة معلومات ضعيفة مع أنه يقر بصحة نفس هذه المعلومات؟، أم أنه يقصد معلومات أخرى؟

فهو يقول إن الشيخ بنى سحبه لتأييده للمبادرة بناء على المعلومات التي وصلته عن استمرار التعذيب لعشرات الآلاف من المعتقلين ويصف هذه المعلومات بالضعف ثم يعود ويؤكد أن الآلاف من أبناء الجماعة الإسلامية معتقلون ويعانون من النفي والتعذيب!!!

ويرى أن الحكومة المصرية مفروض عليها أن تجد حلا لمشكلة الشيخ فيقول: " وأرى أن الحكومة المصرية مقصرة إلى حد كبير بعدم تدخلها في الحفاظ على سلامة الشيخ، وضمان حقوقه الإنسانية في السجن الأمريكي وإيجاد حل لقضية الشيخ، لأنه في النهاية مواطن مصري، كما أنه عالم من علماء الإسلام وأستاذ في جامعة الأزهر وهو شيخ ضرير و مريض، واستمرار اعتقاله ومعاملته بهذه الطريقة غير الإنسانية سيكون دائما مصدر للتوتر على كل المستويات".(١١١)

ويسأله الصحافي: في نظركم ما هي ضمانات عدم تحول عمر عبد الرحمن إلى مصدر إزعاج لمصر في حالة عدم وقوفها بجانبه وتسليمه إلى أرض الوطن؟ ".

فيجيب: " ..... وعهدنا بالشيخ دائما أنه يكون مع أبنائه وإخوانه وتقديري أن الشيخ لن يكسر الإجماع المعقد حول ضرورة استمرار و تفعيل المبادرة، وبالتالي فإن عودة الشيخ

---

(١٠٩) المصدر السابق.
(١١٠) المصدر السابق.
(١١١) المصدر السابق .

ستكون عامل **دعم لأجواء الهدوء السائدة وستنزع فتيل أحد المصادر الهامة للغضب الإسلامي!! والتوتر على المستوى الدولي**".(١١٢)

أي أن أسامة رشدي يتناسى الخصومة التي تناصبها الحكومة المصرية للشيخ، والعدوان الذي واجهته بهما، بل وينسى أو يتناسى طبيعة هذا العداء وأنه عداء عقائدي بسبب مواقف الشيخ في التصدي للظلم والخيانة وبسبب مواقف الحكومة المصرية في محاربة الإسلام والاستسلام لأعدائه.

ثم بعد ذلك يلوح بصفقة يقترحها وهي أن يفرج عن الشيخ مقابل ألا يكون مصدر إزعاج للحكومة بل ويكون داعما للهدوء ونزع فتيل التوتر ليس على مستوى مصر وحدها ولكن على المستوى الدولي؟؟؟ ودعما لإجماع الجماعة على ذلك!!!

ولا أدري **أين هذا الإجماع الذي يخالفه أمثال الشيخ عمر والأخ رفاعي طه؟**

إن ذاكرتي تعود إلى سبعة عشر عاما إلى الوراء، إلى الأسبوع الأول من سبتمبر ١٩٨٣م، والشيخ عمر عبد الرحمن يزأر في قاعة المحكمة مخاطبا القاضي: " **إنني مسلم أحيا لديني، وأموت في سبيله، ولا يمكن بحال أن أسكت والإسلام يحارب في كل مكان.**

كلا وألف كلا لن نرضى بحكم الطواغيت، ولن نستكين لحكم العبيد، الذين يستبدون بالناس، ويعبدونهم لغير الله. "، مخاطراً بحياته في سبيل الصدع بالحق، و أسامة رشدي يهتف مع إخوانه " فإن قتلوك يا عمر بن أحمد فإن الله يختار الشهيد".

ثم أقارن بين ذلك الموقف وبين عرض أسامة رشدي بالإفراج عن عمر عبد الرحمن في مقابل أن يكون مصدر للهدوء و يؤكد أنه لن يكون مصدر إزعاج للحكومة المصرية.

ما الذي حدث خلال هذه السنوات؟؟؟ وهل لا زالت الثوابت هي نفسها؟؟؟

ثم يطرح نظرية تآمرية يشوه بها الجهاد في مصر ويصفه بأنه وليد تغرير قوى محلية ودولية بالجماعات الإسلامية لتبرير القمع.

فيقول: " وبعض الجماعات الإسلامية لديها قابلية كبيرة للاستدراج مما يسهل مهام أعدائها".

---

(١١٢) المصدر السابق.

فيسأله الصحافي: " و من الذي يستدرج الجماعات في نظرك؟".

فيرد: " قوى محلية ودولية تحاول استدراج هذه الجماعات لتبرير القمع والإقصاء و العزل السياسي الذي يمارس على التيار الإسلامي".[١١٣]

وهو بهذا يلقي بظل من الشك على من يمارس الجهاد ضد الحكومة أو أمريكا أو إسرائيل، ويتعرض للقمع من الحكومة العميلة أنه قد يكون مستدرجا لقوى محلية أو دولية**!!!**

ثم يصف الدولة المصرية بالأب والشباب المسلم بأبنائها، وهي علاقة جديدة تطورت من الأفكار الجديدة التي بدأت تطل برأسها، فبدلا من اعتبار الحكومة الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام والتي يرأسها حاكم مرتد يجب جهاده وخلعه، كما جاء في كتاب الجماعة الإسلامية (القول القطع في حكم من امتنع عن الشرائع)، أصبحت أبا يسأل أن يضمد جراح أبنائه فيقول: " فالأمن هو ثمرة العدل، فكلما أشاعت الحكومة العدل ورفعت الظلم تعزز الأمن، ثم عندما تكون القضية بين الدولة وبعض **مواطنيها فلا يمكن التحدث بمنطق الغالب والمغلوب**، والذين يثيرون النعرات هم من يريد تأجيج النار.

لقد خسر الجميع وأولهم مصر و اقتصادها وسمعتها ومكانتها، وعلينا بدلا من ذلك **أن نضمد الجراح ونعيد الاطمئنان إلى النفوس**.[١١٤]

وهكذا تغيرت لغة الخطاب من (ميثاق العمل الإسلامي) إلى أبناء الدولة وإطفاء النار واقتصاد مصر ومكانتها وتضميد الجراح وإعادة الاطمئنان؟؟

(ثم يلمح إلى إمكانية الالتزام بالشرعية و الدستور، فحين يسأله الصحفي: " ما هي الضمانات التي يمكن أن تقدمها الجماعة للتأكيد على التزامها بالشرعية والدستور؟ "

فيجيب إجابة السياسي الذي لا يغلق باب التفاهم: " إخواننا يعانون من التعذيب والنفي في السجون والمعتقلات المعزولة، وهم محرومون من أي ضمانات قانونية أو إنسانية أو سياسية ثم أنت تطالبهم بتقديم **ضمانات! أعطني أولا حقوقي ثم طالبني**".[١١٥]

(١١٣) المصدر السابق .
(١١٤) المصدر السابق .
(١١٥) المصدر السابق .

هكـذا أردت أن أذكـر مقتطفـات مـن هـذا الحـديث الـذي يـدل – إن صـدقت روايـة الجريدة – على انقلاب وليس تغيير في ثوابت أسامة رشدي وهو أحد الأعضاء البارزين في الجماعة الإسلامية.

(٤) ثم تحـدث باسـم الجماعـة – في صـدد المبـادرة – بيـان صـادر باسـم الجماعـة الإسـلامية بتـاريخ ٨ ذي الحجـة ١٤١٩هـ الموافـق ٢٥ مـارس ١٩٩٩ م أكـد علـى أنهـا ستسعى لاستنقاذ الشيخ عمر عبد الرحمن مهما كلفها ذلك من تضحية، وأن الجماعة في الداخل والخارج – واستجابة لنداء الدكتور عمر عبد الرحمن – تؤكد التزامها بمبادرة وقف العمليات المسلحة، التي أطلقها مشايخ الجماعة من طره، وأنها تثق أنهم ما أطلقوها إلا لمصلحة الإسلام والمسلمين.

و أن تلتزم الجماعة هـذه المبادرة لا يعني بـأي حال تخليها عن ثوابتها في الدعوة، و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد.

(٥) ثم تحـدث باسـم الجماعـة مسئول يـرفض ذكـر اسمه في مجلـة الفجـر[١١٦]، كـان ملخص ما ذكره:

– أن المبادرة اضطرار مشروع يهدف إلى ما بعده.

– أن المبادرة لا تعني تراجعا فكريا عن ثوابت الجماعة ولا تعني إبطال الجهاد.

– وأنها لا تعني مهادنة الأنظمة الحاكمة أو إقرارها على ما هي عليه.

– وأنه لم تعد هناك جدوى من استمرار العمليات.

– و أن الجماعـة اضـطرت لبـدء القتـال دفاعـا عـن نفسـها لإيقـاف سياسة قتـل قـادة الجماعة ولإيقاف العدوان عليها.

– ولا بد من سياسة جديدة يؤمل معها أن يوقف النظام هجماته.

– وإن لم يتجاوب النظام مع المبادرة فالباب مفتوح ومن أغلق الباب يمكنه أن يفتحه ولكن بعدما ينكشف النظام و يتعرى أمام الرأي العام.

---

(١١٦) الناطقة باسم الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا.

– وأن أجهزة رصد النظام قد تأكدت من سياسة (تجفيف الينابيع للإرهابيين) وأن موقف الجماعة يؤكد ما وصلت إليه هذه الأجهزة.

– وأن هذه السياسات أثبتت نجاحها في التعامل مع التيار الإسلامي.

– وأنه يتوقع أن النظام سيكون غدا بحاجة ماسة إلى أن يرفع هذه الآلة القمعية عن رقاب الشعب والإسلاميين.

– وأن من حق الجماعة أن تأخذ قرار وقف العمليات وحدها.

– وأن هذا لا يمنع أن ترجع الجماعة إلى قرارها السابق.

– وأن الجماعة في حاجة إلى أن ترجع قواعدها من جديد وتمارس دعوتها.

– وأن النظام بعد المبادرة لن يجد من مواقف الجماعة ما يبرر به سياسته القمعية.

– ودعنا من الشعارات ولنكن علميين، فإن الواقع العملي لا يوفر للجماعة فرصة الاستمرار في الصدام.

– وأن المبادرة كان يرجى منها في البداية أن تجلب بعض النتائج ولكن تضاءلت هذه الأهداف وضعف احتمال تحققها.

– وأن هدف الجماعة هو التواجد الدعوي العلمي والخيري والاجتماعي بين الجماهير المسلمة.

– وأن استمرار الصدام الآن مفسدة لا مصلحة من ورائها.

– وأن أي جماعة لا تطبق الجهاد لفترة ما، لا يعني بالضرورة أنها قد أبطلت الفريضة.

– وأن بعض القيادات في الجماعة لا زالت ترى أن المبادرة لا جدوى منها و لكن رأي المجموع هو الذي يمضي.(١١٧)

(١١٧) مصدر مسئول في الجماعة الإسلامية بمصر: المبادرة ليست بمهادنة، بل اضطرار مشروع يهدد إلى ما بعده – مجلة الفجر – العدد ٤٨، السنة الخامسة، محرم ١٤٢٥هـ.

(٦) كما تحدث الدكتور عمر عبد الرحمن عقب المبادرة فأيدها في بيان تحت عنوان "وقفوا لله وأوقفوا لله".

ولكن الدكتور عمر في أواخر صفر ١٤٢١هـ وأوائل يونيو ٢٠٠٠م أصدر تصريحا من سجنه نقلته عنه محاميته لين ستيوارت ذكرت فيه أن الشيخ عمر يسحب تأييده لمبادرة وقف العنف، **لأنها لم تسفر عن أية نتائج إيجابية للإسلاميين**، و أضافت ستيوارت على لسان عمر عبد الرحمن: **أنه لم يحدث أي تقدم، فآلاف المعتقلين لا يزالون معتقلين، والمحاكمات العسكرية مستمرة، وعمليات الإعدام لا تزال تنفذ.**(١١٨)

وفي هذا التقييم الواضح من الدكتور عمر عبد الرحمن رد بليغ على البيان الثالث للإخوة في ليمان طره الذي ذكروا فيه: " أنهم متمسكون بموقفهم من وقف العمليات العسكرية والبيانات المحرضة عليه داخل مصر وخارجها، وأن هذا البيان ليس وليد تفاوض مع أجهزة الأمن أو غيرها، ولكن لما فيه من مصلحة شرعية للإسلام والمسلمين.(١١٩)

كما أن فيه ردا واضحا على تصريحات المسئول – الذي رفض ذكر اسمه – في مجلة الفجر والذي ذكر فيه أن استمرار العمليات ضد الحكومة مفسدة لا مصلحة وراءها.(١٢٠)

وفي نفس يوم صدور سحب الشيخ عمر عبد الرحمن تأييده لمبادرة وقف العنف هرع منتصر الزيات إلى سجن ليمان طره واجتمع بقيادة الجماعة الإسلامية فيه وخرج منهم ببيان وأرسله للصحف.

وقد شدد البيان على الالتزام بالمبادرة التي أطلقوها من قبل، وقال البيان إن ما نسب إلى " أمير عام الجماعة" الشيخ عمر عبد الرحمن جاء مبستراً ومحرفاً.

وقال بيان قادة "الجماعة": " ساءنا ما حدث، وقد اطلعنا على النص الكامل لرسالة عمر عبد الرحمن، وهي من جزأين، الأول يتحدث عن معاناته في سجنه الأمريكي، أما الجزء الثاني من الرسالة فهو خاص بالقادة التاريخيين للجماعة، ولم يجدوا فيه ما ذكر عن سحب عمر عبد الرحمن لمبادرته، بل فيه عبارات صريحة يؤكد فيه الشيخ (...) موافقته على ما يجتمع عليه أمرهم".

---

(١١٨) الشرق الأوسط الخميس ١٣ ربيع أول ١٤٢١هـ، ١٥/٦/٢٠٠٠م ص ١، ٣.
(١١٩) منتصر الزيات: المصدر السابق. .
(١٢٠) مصدر مسئول في الجماعة الإسلامية بمصر: المصدر السابق .

وقالوا أيضا في بيانهم: " نشكر عمر عبد الرحمن لإحباطه مخططات معادية للإسلام " وطالبوا جميع المستويات القيادية داخل الجماعة في مصر وخارجها الالتزام بما سبق الاجتماع عليه في وقف العنف.

وأضاف منتصر الزيات لصحيفة الشرق الأوسط:" إن ما نسب إلى الدكتور عمر عبد الرحمن عار من الصحة وأن من نقل هذه الرسالة خان الأمانة مرتين: الأولى حينما سرب رسالة ليست للنشر وكانت موجهة إلى قادة الجماعة، والثانية حينما سمح لنفسه بتحريف واجتزاء مقاطع من الرسالة بما يوحي بعكس مقاصد الشيخ الذي كان – حسب وصف بيان مجلس الشورى – من أهم الداعين لوقف الأعمال القتالية.

وأكد البيان أن الشيخ عمر لم يتراجع عن دعمه لمبادرة وقف العنف وعبر عن دهشة قادة الجماعة مما نسب إليه.[١٢١]

و في اليوم التالي صرح منتصر الزيات إلى الصحف بما يأتي:

" ما نشر أول من أمس لا يتضمن رأيي الشخصي، و إنما هو نص بيان القادة التاريخيين لتنظيم (الجماعة الإسلامية) السجناء في سجن طره ولم يعنوا به أحدا بشكل محدد.

و أضاف أن قادة الجماعة الإسلامية في طره قرروا برأيهم في بيانهم بعد إطلاعهم على الرسالة التي وردت لي من الشيخ عمر عبد الرحمن، ولم يتبينوا بها العبارة التي أذيعت منسوبة إلى الشيخ عمر من أنه سحب تأييده لمبادرة وقف العمليات المسلحة.[١٢٢]

وبعد عدة أيام عقد منتصر الزيات مؤتمرا صحفيا في مكتبه وشكك فيها فيما نسب إلى الشيخ عمر على لسان محاميه **ورفض إطلاع الصحافيين على رسالة الدكتور عمر لقادة الجماعة في سجن ليمان طره**، وذكر منتصر للصحفيين أن قادة الجماعة في السجن بعثوا برسالة للشيخ عمر تتضمن موقفهم من المبادرة، ووقع على هذه الرسالة: ناجح إبراهيم، وعلي الشريف، وعصام دربالة، وحمدي عبد الرحمن، وفؤاد الدواليبي، وكرم زهدي، وعاصم عبد الماجد، ولاحظت جريدة الشرق الأوسط أن عبود الزمر لم يوقع على الرسالة.[١٢٣]

---

(١٢١) الشرق الأوسط، الجمعة ١٤ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٦/١٦م ص ٣.
(١٢٢) الشرق الأوسط، السبت ١٥ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٦/١٧م ص ٤.
(١٢٣) الشرق الأوسط، الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٦٧/٢١م ص ٣.

وبعد أقل من أسبوع نشرت الصحف ردا من الشيخ عمر عبد الرحمن على بيان قادة الجماعة المذكور، حيث ذكرت صحيفة الشرق الأوسط ما يلي:

"جدد عمر عبد الرحمن الزعيم الروحي للجماعة الإسلامية أكبر الجماعات الأصولية في مصر، تأكيد سحب دعمه لمبادرة وقف العنف التي أعلنها القادة التاريخيون للجماعة الذين يقضون عقوبة السجن..... وقال أنه لم يلغي المبادرة ولكنه سحب تأييده لها....

وقال عمر عبد الرحمن في بيان موقع باسمه تلقت (الشرق الأوسط) نسخة منه أمس، أنه طلب نشر تصريحاته عبر محاميته الأمريكية لين ستيوارت، والتي كان بعض الأصوليين قد شككوا في صدورها عنه.

ونقلت ستيوارت عن عمر عبد الرحمن قوله أمس: "إنني لم ألغي المبادرة ولكني سحبت تأييدي لها وبينت رأيي وتركت الأمر لإخواني للنظر فيها وفي جدواها."

وقال عمر عبد الرحمن: "إن كل التصريحات التي نسبت إلي على لسان محاميتي لين ستيوارت صحيحة وصادرة عني بالفعل."(١٢٤)

ولابد لنا هنا من وقفة لنتأمل فيها هذه السهولة و السيولة و المرونة التي يتمتع بها منتصر الزيات تحت مظلة من التسهيلات الحكومية، وغض الطرف من النظام القمعي والخانق لأية محاولة للمعارضة.

ففي الوقت الذي تمنع فيه الزيارات عن السجون منذ أكثر من أربع سنوات، وفي الوقت الذي يقتل فيه العشرات من التعذيب في صمت داخلها، وفي الوقت الذي يمنع فيه الخطباء بنص المادة ٢٠١ من قانون الجنايات من الاعتراض على القوانين أو القرارات الإدارية، وفي الوقت الذي ترزح فيه البلاد تحت وطأة قانون الطوارئ، وفي الوقت الذي يخطف فيه الشباب المسلم من بقاع الدنيا المختلفة، وتخفيهم الحكومة لشهور طويلة قبل أن تعلن على وجودهم كما حدث في حالة الأخ أحمد سلامة وفي حالة الأخ عصام محمد حافظ، أو تنفي معرفتها بمصيرهم أصلا كما حدث في حالة الأخ طلعت فؤاد و الأخ محمد الظواهري.

وفي الوقت الذي تلغي فيه الحكومة إتحاد طلاب مصر، وتفرض الحراسة على النقابات المهنية، وتسجن الصحفيين وتغلق جريدة الشعب، وتوقف الحزب الاشتراكي عن العمل

(١٢٤) الشرق الأوسط، الجمعة ٢١ ربيع الأول ١٤٢١هـ ٢٣ يونيو ٢٠٠٠م ص ١، ٤.

بسبب تحريض الشعب على الاعتراض على الكتب الصادرة عن وزارة الثقافة محتوية على سب الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الوقت يهرع منتصر الزيات في نفس اليوم إلى داخل سجن ليمان طره، ويلتقي مع قادة الجماعة الإسلامية، ويحمل إليهم رسالة الدكتور عمر، ويحصل منهم على بيان للرد عليها وعلى رسالة منهم للشيخ عمر، ويخرج من السجن ليتصل بالصحف في نفس اليوم، ويبلغهم ببيان الإخوة في السجن وبرسالتهم للدكتور عمر، ثم يعقد مؤتمرا صحفيا في مكتبه (تأمل)، ويصرح فيه برأييه في تصريحات الشيخ عمر وتصريحات الأخ رفاعي أحمد طه حول المبادرة (سنعرض لها فيما بعد)، **ويرفض إطلاع الصحفيين على رسالة الدكتور التي اطلعت عليها أجهزة الأمن الأمريكية والمصرية حتى لا يعلم الناس حقيقة ما ورد في رسالة الشيخ عمر لإخوانه حول المبادرة.**

كل هذا يحدث أين؟ في مصر التي وصفها المتنبي مبدعا فقال:

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا

ألا يستدعي هذا وقفة للتأمل أو للتساؤل أو للبحث عن السبب.!!!

وفي الوقت الذي يتمتع فيه منتصر بهذه الميزات العجيبة في مصر، فإن مساعد المدعي العام في مدينة نيويورك باتريك فيتزجيرالد أرسل خطابا إلى المحامية لين ستيوارت وبقية فريق الدفاع عن الشيخ يخبرهم فيه أنهم ممنوعون من زيارة الشيخ ومن التحدث معه هاتفيا، بعدما عقدت لين ستيوارت مؤتمرا صحفيا – بناء على طلب الشيخ – أعلنت فيه سحب الشيخ لتأييده لمبادرة وقف الأعمال المسلحة في مصر.[١٢٥] **فتأمل هذا الانسجام المصري الأمريكي تجاه المبادرة!!!**

(٧) كما تحدث عن المبادرة أيضا الأخ رفاعي أحمد طه، فرفضها بعيد صدورها ثم كرر رفضه لها بعد تصريحات الشيخ عمر بسحب تأييده لها.

حيث صرح في حديث لجريدة الشرق الأوسط: "أنه بالنسبة لعمر عبد الرحمن – الزعيم الروحي للجماعة – المحتجز في السجن الأمريكي فقد انتهت سياسة الكلام والتهديد

(١٢٥) راجع البيان الصادر عن لجنة الدفاع عن الدكتور عمر عبد الرحمن في يوم الثلاثاء ١٤ شوال ١٤٢١هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠١م.

والوعيد وسنخاطب الولايات المتحدة الأمريكية باللغة التي تفهمها، وسنكسر قيده ونفك أسره وأعتقد أن ذلك أصبح وشيكا."

وقال أيضا: "انه يؤكد تأييده التام لقرار عمر عبد الرحمن".

وقال: " إن قرار وقف العمليات قرار بشري يمكن إلغاؤه لو تبين للأغلبية داخل الجماعة مصلحة في ذلك، لا سيما بعد توجيهات عمر عبد الرحمن الأخيرة التي سحب فيها دعمه للمبادرة."

وقال أيضا: "لا شك أن قيادات وأبناء الجماعة سيراجعون موقفهم وما تحقق حتى الآن بناء على توجيهات عبد الرحمن"

وقال أيضا: "وطالما استمر النظام في التضييق على الدعاة إلى الله تعالى واستمرار عمليات الاعتقال والتعذيب فحتما سيخرج بعض الشباب الذين يعملون على استنقاذ إخوانهم من الأسر ومحاولة إعادة الدعوة إلى الله تعالى.

قد يكون هؤلاء الشباب ليسوا من أبناء الجماعة إذا ما استمرت الجماعة مستمسكة بالمبادرة، ولكن شباب مصر لا ينحصر في أبناء الجماعة فقط فهناك جماعات أيضا لها ثقلها لم توافق على المبادرة ولها عناصرها وقياداتها المغيبة خلف الأسوار، وهناك عناصر مثل صابر وسليمان خاطر لم يكن أي منهم مرتبط بجماعة أو تنظيم".

وردا على سؤال حول إمكانية تراجع الجماعة عن أخطاء الماضي، قال: "أما قولكم: أم أنه حدث تغيير في منهجها بتحكيم المنطق بالتراجع عن أخطاء الماضي، فإذا كنت قد فهمت سؤالكم فأقول: إن الجماعة لم ترى أنها أخطأت فيما كانت تفعله أو تقوله جهادا أو أمرا بمعروف ونهيا عن منكر أو دعوة إلى الله تعالى.(١٢٦)

ولا شك أن في تصريحات الأخ رفاعي طه ردا أيضا – بالإضافة لتصريحات الشيخ عمر عبد الرحمن – على دعوى أصحاب المبادرة أنهم أطلقوها لمصلحة الإسلام والمسلمين ورد على المتحدث – الذي لم يذكر اسمه - في مجلة الفجر الذي ذكر أن الاستمرار في العمليات مفسدة لا مصلحة من ورائها.

---

(١٢٦) الشرق الأوسط: الاثنين ١٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ١٩/٦/٢٠٠٠م، ص١، ص٧.

وقد سارع منتصر الزيات بعقد مؤتمر صحفي رد فيه على الأخ/ رفاعي أحمد طه قائلا: "إن قادة الجماعة الإسلامية يكنون له [١٢٧] بالغ الاحترام ويقدرون دوره في تحمل أعباء ومسؤوليات الجماعة في وقت من الأوقات ولكنه حاليا لا يعبر إلا عن رؤيته الشخصية التي لا تنسحب على موقف الجماعة بالضرورة، لافتا أن اتخاذ القرار في داخل الجماعة مسؤولية قيادتها التاريخية المؤسسة والمؤلفة من السجناء في مصر و مجلس الشورى في الخارج الذي يرأسه مصطفى حمزة."!!![١٢٨]

(٨) كما تحدث أيضا عن المبادرة الأخ/ كرم زهدي فقد نقل عنه منتصر الزيات في مؤتمر صحفي قوله: " إذا كان القتال والعمليات المسلحة لم تحقق أهداف الجماعة طوال هذه السنوات في الماضي، **فإنه يتعين علينا أن نبحث عن وسائل أخرى للعمل**".[١٢٩]

وهذا القول إذا صحت نسبته إلى كرم زهدي يعني أن الجماعة قد تركت القتال كوسيلة من وسائل العمل وليس القتال فقط بل أن مجرد التحريض على القتال سواء داخل أو خارج مصر. وفي مقابل ماذا؟ وما البديل؟ هل البديل ما قام به أصحاب المبادرة من الإلحاح المتكرر على الحكومة على أن تتجاوب مع مبادرتهم، وتوسيط زعماء الأحزاب في ذلك؟ هل هذا هو طريق الجماعة الإسلامية البديل عن الجهاد والتحريض عليه؟؟؟

هل أصبح عمل الجماعات الجهادية – المنضبط بالشرع وبفهم أئمة السلف وعلماء الأمة الأثبات – هو الإلحاح والتكرار في السؤال على الحكومات العلمانية الفاسدة حتى تأذن لنا بالعمل على إقامة الدولة الإسلامية؟

(٩) كما تحدث عن المبادرة الأخ/ صلاح هاشم في تصريح لصحيفة الشرق الأوسط جاء فيه:

"ونفى[١٣٠] أن تكون التفاعلات التي تشهدها الجماعة الإسلامية حاليا والجدل الدائر حول التراجع عن مبادرة وقف العنف التي ستمر على إطلاقها ٣ سنوات في الشهر المقبل تمثل تمهيدا ضمنيا للحكومة المصرية لدفعها للتجاوب معها، مشيرا إلى أن المبادرة أطلقت **من جانب واحد من دون الاتفاق مع أحد**، ولذا فإن الموقف لا يجب أن يبنى على طرف

---

(١٢٧) أي لرفاعي طه .
(١٢٨) الشرق الأوسط: الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٦/٢١م، ص ٣.
(١٢٩) الشرق الأوسط: السبت ٢٢ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٠٦/٢٤م .
(١٣٠) أي صلاح هاشم.

ليس شريكا في الاتفاق، وموضحا أن تجاوب الحكومة مع المبادرة كان **ضعيفا ولم يحقق أمنيات الجماعة**، ولكنه في ذات الوقت أعطى ثمارا يجب الالتفات إليها".[١٣١]

وفي تصريح له في صحيفة الحياة جاء فيه: " وأوضح هاشم أنه كان طالب الجماعة بتشكيل **هيكل تنظيمي معلن وغير سري يكون معروفا للجميع** ويقوم بدراسة وقائع السنوات الماضية **ومحاسبة من دفعوا الأحداث إلى ما وصلت إليه، ووضع الأسس والضوابط التي تتضمن عدم تكرار ما حدث مستقبلا"**. وأكد أن الدولة مطالبة أيضا بمعاملة الإسلاميين **كمواطنين داخل المجتمع لهم ما لهم من الحقوق، وعليهم ما عليهم من الواجبات**".[١٣٢]

و إذا صحت نسبة هذه الأقوال لصلاح هاشم فإنها تدل على دلالات خطيرة يجب الوقوف عندها:

– فهي تؤكد ما يصرح به بعض زعماء الجماعة الرافضين للمبادرة مثل الشيخ عمر عبد الرحمن و رفاعي طه ليس تهديدا ضمنيا ولا مناورة من أجل دفع الحكومة للتجاوب، فإن المبادرة لم يتفق فيها مع الحكومة على شيء ولا يجب أن تبنى على تجاوب الحكومة أو كما يقول: "فإن الموقف لا يجب أن يبنى على طرف ليس شريك في الاتفاق" **ومعنى هذا أن الجماعة ماضية في خطها السلمي استجابت الحكومة أم لم تستجب**. ومعناه أيضا – وهو الأخطر – أن الجماعة **لن ترجع عن مبادرتها إلى خطها السابق** وفي هذا الرد على المسئول الذي لم يذكر اسمه والذي صرح في مجلة الفجر –كما أوردنا – بأن الجماعة يمكن أن تعود إلى خط القتال متى شاءت.

– وتؤكد أيضا على انقلاب – وليس مجرد تراجع – عن خط الجماعة المدون في كتبها فهو يدعوا إلى: تشكيل هيكل علني غير سري يكون معروفا للجميع، وكيف يمكن لهيكل علني غير سري يكون معروفا للجميع أن يقوم بالجهاد ضد الحكومة، أليس معنى هذا أن تسلم الجماعة كل أسرارها ومعلوماتها وأسماء أعضائها وارتباطاتها ومصادر تمويلها لقمة سائغة للحكومة وبالتالي لأمريكا وإسرائيل؟؟؟

– هو يدعو أيضا إلى محاسبة الذين دفعوا الأحداث إلى ما وصلت إليه، أي إلى محاسبة المجاهدين الذين يعتقدون بجهاد الحكومة وقتالها لخلعها وإقامة الدولة الإسلامية، وهذا التصور

(١٣١) الشرق الأوسط: الجمعة ٢١ ربيع الأول ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠/٦/٢٣م، ص ٤.
(١٣٢) الحياة: ١١ صفر ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩/٥/٢٦م، ص ٥.

عند – صلاح هاشم – عن المبادرة يتناقض مع رأي **المسئول** الذي لم يذكر اسمه، والذي يرى أن المبادرة لا تمثل أي تراجع فكري عن ثوابت الجماعة، فما رد هذا المسئول على من يطالب ليس فقط بالتخلي عن الجهاد – وهو من ثوابت الجماعة قبل المبادرة – بل بمعاقبة من قام به؟؟؟

– وهو يدعو أيضا إلى وضع الأسس والضوابط التي تتضمن عدم تكرار ما سبق أي ليس فقط الندم على ما سلف بل والإصرار على عدم العودة إليه فيما يأتي، أي الإصرار على عدم العودة إلى ثوابت الجماعة؟؟؟

– وهو يدعو أيضا إلى أن تقبل الدولة بمعاملة الإسلاميين كمواطنين لهم ما لهم من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات.

وهكذا انحدرت أهداف الجماعة الإسلامية عند صلاح هاشم – إن صحت نسبة هذه الأقوال إليه – من إقامة دولة الخلافة على منهاج النبوة ورفض المجتمع الجاهلي –كما وصفه الشيخ عمر في مرافعته التاريخية أمام المحكمة– إلى مجرد أن تقبلنا الحكومة كمواطنين نؤدي ما علينا من واجبات تجاهها ونأخذ ما لنا من الحقوق عندها!!!

أي أننا بعد أن كنا لا نقبل بالحكومة المحاربة للإسلام ونطعن في شرعيتها، أصبحنا الآن نطالب الحكومة بأن تقبلنا!!!

(١٠) كما تحدث باسم الجماعة منتصر الزيات ولابد عند الحديث عن منتصر أن نسجل عدة ملاحظات:

(أ) أن منتصر الزيات كان من فترة طويلة يدفع فكرة التوقف عن جهاد الحكومة المصرية وحلفائها الأمريكان واليهود داخل وخارج مصر، وقد شارك – منذ عهد عبد الحليم موسى وزير الداخلية– في عديد من الاتصالات حول هذه المسألة، وكان المقابل الذي يرجوه: بعضا من التسهيلات أو قليلا من رفع الضغط، وبعضا من تخفيف حملة البطش الحكومي ضد الإسلاميين؛ مثل عدم الإحالة إلى المحاكم العسكرية والإفراج عن من أنهوا مدد أحكامهم.... الخ.

(ب) أن منتصر –كما يتضح لأي متابع – يتمتع بتسهيلات لا يتمتع بها كثيرا من الوزراء في مصر، ففي مصر التي حطمت فيها جمجمة المحامي عبد الحارث مدني من التعذيب وادعى وزير الداخلية حسن الألفي أنه قد مات بأزمة صدرية، في مصر هذه –

ومصر نفسها- يستطيع أن ينفذ منتصر- في نفس يوم طلبه- إلى سجون مصر العتيدة مخترقا كل حواجز الأمن، ثم يعقد داخلها اجتماعات مع أخطر القيادات المناوئة للنظام، وينقل إليها رسائل من خارج مصر، ويحصل منها على رسائل وبيانات، يخرج ليعقد لنشرها مؤتمرات صحفية ويوزعها على وسائل الإعلام، ويصرح فيها أنه وكيل القيادة التاريخية و المفوض بالتحدث باسمها ويجري اللقاءات الفضائية و الأحاديث الإذاعية بهذه الصفة...الخ.

بل إن منتصر يكاد يكون هو القناة الوحيدة الموصلة ما بين قيادات الجماعة الإسلامية في السجن والعالم الخارجي، فما يأتيهم من رسائل يمر عبره وما يصدرونه من بيانات يحمله في جيبه أو نسمعه على لسانه!!!

فإذا أضفت إلى كل هذا أن المسئولين في مباحث أمن الدولة كانوا قد أبلغوا منتصرا — قبيل الإفراج عنه — في نهاية اعتقاله بسبب اعتصام نقابة المحامين: أنك لو تخطيت الخطوط الحمراء فإنك لن تكلفنا إلا رصاصة بقروش معدودات، لاتضح لك بُعد جديد في صورة المبادرة.

(ج) يتمتع منتصر في حركته بتأييد وتفويض قادة الجماعة الإسلامية في السجن، وقد تكرر هذا التأييد والتفويض في عدة مناسبات:

(١) ففي ١٩٩٨/١/٥م أعلن منتصر اعتزاله العمل السياسي العام تماما، وأنه لن يترافع في قضايا الجماعات الدينية مستقبلا، بسبب ما زعمه من خذلان القيادات في الخارج له وعدم تجاوبهم مع مساعيه لوقف العنف، وأصدر بيانا جاء فيه: "لم تزل رحى العنف تدور في بلادي والمناخ السياسي ما زال معقدا، حاولت مع غيري أن أكون سببا لوقف العنف وحقن الدماء، لم أكن أبدا محاميا أجيرا أدافع لقاء مال، بيد أني صاحب رسالة حاولت مع كثيرين في مقدمتهم قادة الجماعة الموجودين حاليا في سجن طره ويقضون العقوبة في قضية السادات، حاولنا أن نعبر عن آمال إسلامية مشروعة فضاعت ملامحها وسط دخان القذائف وأصوات الرصاص".

وأضاف: "لم تعد قضيتي التي وهبت نفسي لها واضحة المعالم، ورغم أني تحملت الكثير وسرت وسط أشواك و ألغام ومحاذير طوال ٢٠ عاماً كنت فيها بين **مطرقة الحكومة وسندان الجماعات الدينية**، إلا أني حرصت أن أكون واضحا في عملي وقولي وتعاملاتي، دون أن أقع تحت طائلة القانون **بعلاقات غير مشروعة** منذ أن أطلق سراحي في قضية الجهاد العام ١٩٨٤م "، واختتم بيانه معتذرا إلى: "الإخوة في سجن ليمان طره الذين تركتهم

وسط الطريق قبل أن يبلغوا شاطئ الأمان بدعوتهم العظيمة إلى حقن الدماء وتغيير **فقه العنف**.(١٣٣)

وفي اليوم التالي صرح منتصر لصحيفة الحياة بالآتي: "أشعر بالخذلان لأن طه(١٣٤) لم يفي بما وعد به وحتى الآن لم يتصل بي ليبرر تأخره في إصدار البيان، أو اعتذر عن إصداره(١٣٥) في حين أنه سارع إلى إصدار بيان يعلن مسؤولية الجماعة عن حادثة الأقصر، وكذلك بيان آخر يعلن فيه استمرار العمليات ضد السياحة." وأضاف أشعر بالخذلان بعد أن تاهت حقيقة القضية.... تاهت بعد أن أنكر قادة الخارج القيمة التاريخية للقادة الموجودين داخل السجن الذين أسسوا التنظيم في السبعينات، وبعدما تمردوا على رأي الدكتور عمر عبد الرحمن الذي يقضي عقوبة السجن في أحد السجون الأمريكية حينما أصدر بيانا بارك فيه مبادرة وقف العنف".

وأضاف: "كنت طوال السنوات الماضية **بين مطرقة الحكومة وسندان الجماعات** ورغم متابعة أجهزة الأمن لي والقضايا التي اتهمت فيها بين حين وآخر، إلا أنني حرصت أن أكون منفتحا واضحا لأن الغموض يغري الأجهزة الأمنية باتخاذ الإجراءات ضدي، في حين أن الوضوح والعلانية يمتصان قدرا كبيرا من الهواجس الأمنية." وأضاف منتصر: "عانيت كثيرا من تشدد الإخوة الموجودين في الخارج وعدم قدرتهم على اتخاذ قرارات جريئة أو تطوير أسلوب العمل، فكل فكرة لها خطابها وأسلوبها وإستراتيجيتها، نحن كإسلاميين كنا نكسب كثيرا حينما كنا نمارس الدعوة العلنية في المساجد والمنتديات. ورغم كل العقبات فإن العلاج لا يكون في استخدام العنف، وإذا كان العنف له ما يبرره أحيانا فليس له أي مبرر إذا فقد المنطق والحجة وصار عملاً عشوائياً يمارس ضد الأبرياء كما حدث في الأقصر.(١٣٦))

ويتضح من القراءة المتأنية لتصريحات منتصر السابقة أنه لا ينتمي إلى الحركة الجهادية بل ولا يتفق معها في اتخاذها الجهاد طريقا فهو:

- يسمي الجهاد في سبيل الله **عنفا**، وهو توصيف الحكومة له.

(١٣٣) صحيفة الحياة: ١٩٩٨/١/٦م.

(134) يقصد أن رفاعي أحمد طه – في زعمه – وعده بإصدار بيان خلال أيام يعلن فيها وقفا كاملا للعمليات المسلحة لأشهر كمبادرة لحسن النية.

(135) هكذا في الأصل، والصحيح أن يقول: اعتذر عن عدم إصداره.

(136) صحيفة الحياة: ١٩٩٨/١/٧م.

– ويزعم أنه حاول أن يكون سببا لوقف **العنف**، وهو وصف الحكومة **للجهاد في سبيل الله**.

– وأنه والقادة في ليمان طرة حاولوا أن يعبروا عن آمال إسلامية مشروعة، ولكن ملامحها ضاعت وسط دخان القذائف و أصوات الرصاص.

أي أن محاولته وقف ما كانت تعتبره الجماعات الجهادية جهادا في سبيل الله ويسميه هو عنفا ضاع وسط العمليات الجهادية.

– وأنه عاش عشرين عاماً بين **مطرقة الحكومة وسندان الجماعات**، ومن المفهوم أن يكون للحكومة مطرقة، أما أن يكون للجماعات سندان فهو أمر غير مفهوم، خاصة وأن الجماعات لم تكرهه على الترافع في قضاياها ولا التحدث باسمها بل هو الذي كان يسارع إلى ذلك.

– وأنه منذ أطلق سراحه لم يقع تحت طائلة القانون **بعلاقات غير مشروعة**. ويقصد بذلك علاقات سرية مع المجاهدين، تلك العلاقات التي يعتبرها غير مشروعة، لأنها تقع تحت طائلة القانون الذي اتخذه مرجعية في وصف أي فعل بالمشروعية أو عدمها، وهو في هذا يتناقض مع الحركة الجهادية التي تعتبر أن النظام ودستوره وقوانينه باطلة شرعا.

– وأنه كان يسعى إلى تغيير **فقه العنف**، أي فقه الجهاد في سبيل الله، وكان يهدف لاستبداله بفقه جديد ليس فيه عنف، أي ليس فيه جهاد في سبيل الله.

– ويؤكد على تسمية مبادرة الجماعة الإسلامية بمبادرة **وقف العنف**، وهي نفس تسمية الحكومة للجهاد في سبيل الله.

– وأن الإخوة في الخارج متشددون ولا يملكون قدرة اتخاذ القرارات الجريئة، أي قرار وقف العنف.

– ويزعم أنه رغم كل العقبات فإن العلاج لا يكون في استخدام العنف، أي في اتخاذ طريق الجهاد، مستخدما نفس وصف الحكومة للجهاد في سبيل الله.

وسواء اتفقت أو اختلفت مع منتصر الزيات فلابد أن تسلم أنه لا يتفق مع فكر الجماعات الجهادية وعقيدتها، وأنه يسميه بالعنف وهي نفس تسمية الحكومة، وأنه يسعى إلى تغيير فقهه، وأنه يعتبر أي علاقة سرية مع المجاهدين علاقة غير مشروعة.

وإذا كان لا يتفق مع فكر الجماعات الجهادية فهو بالتأكيد لا يتفق مع ثوابت الجماعة الإسلامية قبل المبادرة.

إذا كان هذا هو فكر منتصر وموقفه المخالف لثوابت الجماعة الإسلامية قبل المبادرة، فماذا كان موقف قادة الجماعة الإسلامية في السجن منه ومن امتناعه عن العمل السياسي العام وعن الترافع في قضايا الجماعات الإسلامية؟

لقد جاء رد قادة الجماعة الإسلامية سريعا وواضحا في تأييد منتصر في فكره، والثناء عليه، ومطالبته بالاستمرار في نهجه ومسعاه في بيانان: أحدهما صادر من ليمان طره، والآخر من سجن شديد الحراسة (سجن العقرب).

ولا تسلني كيف خرج البيانان من السجنين العتيدين؟ فإن إجابة هذا السؤال عند غيري الذي يوفر مظلة التسهيلات والسماح بحرية الحركة لمنتصر طالما كان مسعاه يصب في صالحه وخدمة لأهدافه**!!!**

وإليك نص البيانين:

"بيان من قادة الجماعة الإسلامية بليمان طره

لقد فاجأنا الأستاذ منتصر الزيات بإعلانه اعتزال العمل العام معلناً يأسه من أن يجني من وراء جهوده نتيجة في جمع الكلمة على إيقاف الغليان وحقن الدماء، والحق أننا قد نلتمس له بعض العذر إزاء ما لقي من عدم تجاوب إخواننا في الخارج وإصرارهم **على** إخلاف وعودهم، وتجاهل نداءاتنا **المتكررة**.

ولكن أليس للإسلام عليه حق في أن يتحمل في سبيل أهدافه العليا المشقة طمعا في ما يلقاه في سبيل ذلك من ثواب؟. فإن أراد الله لجهوده أن تكلل بالنجاح فبها ونعمت، وإلا فالأجر محفوظ عند الله وعلى ما بذلنا من جهد.

لا تعتزل فإن مسؤوليتك تجاه الدماء المراقة تفرض عليك الاستمرار بأن تتحمل في سبيل الله ما تلقى، ونحن ندعوك أن تتراجع عن هذا القرار و ننتهز الفرصة لنناشد إخواننا في الخارج أن يخففوا من **غلوائهم** ويستجيبوا لنداء إخوانهم وشيخهم، ولا يشقوا عصى الطاعة – إن شاء الله – الخير لهم وللمسلمين.

وأخيرا نقدم اعتذارنا عن تأخر صدور البيان فقد فاجأتنا المفاجأة".

أما البيان الثاني فنصه:

" بيان من قيادات الجماعة الإسلامية بسجن شديد الحراسة

فوجئنا كما فوجئ غيرنا بالقرار الذي اتخذه الأستاذ/ منتصر الزيات المحامي باعتزال العمل السياسي، وقد أحزننا ذلك ونحن إذ نحترم وجهة نظره، ونقدر الأسباب التي دعته لاتخاذ هذا القرار، إلا أنه لا يخفى عليه كما لا يخفى على غيره أن المبادرة ستخسر عنصرا **فعالا و مخلصا** طالما حمل على عاتقه عبء العمل على إنجاحها.

ولهذا فإننا **نجدد ثقتنا العميقة به، واحترامنا وتقديرنا لشخصه الكريم**، ونناشده ضرورة العودة وسرعة الرجوع عن هذا القرار لمواصلة الرسالة النبيلة حتى يكلل الله جهوده بالتوفيق، فما كان لفاعل الخير أن يتراجع في منتصف الطريق.

هذا ومن جهة أخرى فإننا نوجه لإخواننا قيادات الخارج هذه الكلمات، فحينما أطلق قادة الجماعة الإسلامية بليمان طره مبادرتهم الحكيمة والشجاعة كنا نتوقع وننتظر من الجميع بالداخل والخارج – قيادات وأفراد – الاستجابة لها ودعمها، ولا سيما أنها صادرة عن القيادة التاريخية والشرعية والعلمية للجماعة الإسلامية، خاصة وأنهم الأقدر على توصيف الواقع، واتخاذ ما يناسبه من القرارات، وفوق ذلك كله الدفعة القوية بمباركة شيخنا فضيلة الدكتور/ عمر عبد الرحمن، لا سيما أضاف إليها بعدا وعمقا شرعيا وتنظيميا، وبالفعل فقد استجاب لها العديد من أبناء الحركة الإسلامية، بل والعديد من العلماء و المفكرين والسياسيين.

إننا فوجئنا بإخواننا **قيادات** الخارج أنهم لم يستجيبوا لها، بل و توالت العمليات **العسكرية** بعد **المبادرة** والتي كان آخرها حادث الأقصر، وما كنا نتوقع من إخواننا ذلك الموقف، وما كان ظننا بهم كذلك.

لذا فإننا باسم مصلحة الإسلام والمسلمين وباسم عشرات الآلاف من أبناء الجماعة والحركة الإسلامية، وباسم مئات الدماء التي أريقت من أبناء الجماعة وغيرها من أبناء الوطن وغيره، فإننا نناشد إخواننا قيادات الخارج الاستجابة للمبادرة ودعمها، **و إصدار بيان غير مشروط** بوقف العمليات العسكرية، وبإذن الله سيجعل الله في هذا خيرا كثيرا، ولينصرن الله من ينصره.

قيادات الجماعة الإسلامية بسجن شديد الحراسة.

عنهم/ ممدوح علي يوسف
صفوت عبد الغني
ضياء الدين فاروق". [١٣٧]

وهكذا جاء تأييد قيادات الجماعة الإسلامية لمنتصر ومناشدته عدم الاعتزال تفويضا لمنتصر، ومباركة لسياسته وأهدافه، وثناء عليه وعلى منهجه بعبارات من أمثال: "جهوده في جمع الكلمة على إيقاف الغليان"، وهذه تسمية أخرى للجهاد في سبيل الله، وأن "يتحمل في سبيل أهدافه العليا المشقة" وأن "مسؤوليتك تجاه الدماء المراقة تفرض عليك الاستمرار"، والدماء المراقة تسمية ثالثة للجهاد في سبيل الله، وأن "على الإخوة في الخارج أن يخففوا من غلوائهم!!!" و"ولا يشقوا عصى الطاعة!!"

وأن المبادرة باعتزاله "ستفقد عنصرا فعالا ومخلصا" ولهذا فإنهم يجددون ثقتهم "العميقة به" واحترامهم وتقديرهم "لشخصه الكريم" ويناشدونه سرعة الرجوع "لمواصلة الرسالة النبيلة."

كما يطالبون إخوانهم في الخارج بإصدار "**بيان غير مشروط بوقف العمليات العسكرية**" و أرجو من القارئ الكريم أن يتذكر هذه العبارة "**بيان غير مشروط**." وهكذا فإن منتصر لم يحصل على توكيل فقط من قادة الجماعة الإسلامية للتحدث باسمهم، بل حصل أيضا على تأييد لسياسته وأفكاره، التي لا تتفق مع ثوابت الجماعة الإسلامية قبل المبادرة.

وهكذا سجل هذان البيانان تراجعا فكريا واضحا لقادة الجماعة الإسلامية في السجن عن تلك الثوابت.

(٢) كما تكرر توكيل قادة الجماعة الإسلامية في سجن ليمان طره لمنتصر الزيات للتحدث باسمهم في الحديث الذي أجراه منتصر الزيات في قناة الجزيرة عقب حادثتي تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام مباشرة.

وقد ظهر منتصر في هذا اللقاء وتحت صورته شريط مكتوب عليه "الأستاذ/ منتصر الزيات المتحدث باسم قادة الجماعة الإسلامية في ليمان طره".

(١٣٧) أرسل إلينا منتصر الزيات بنسخة خطية من البيانين ١٩٩٨/١/١١م.

ولم تصدر الجماعة رغم مرور أكثر من سنتين على هذا الحديث أي استنكار لهذا الوصف، ولا أظن أن الجماعة في الخارج تستطيع ذلك، **نظرا** للتأييد القوي الذي يتمتع به منتصر من قيادات السجن.

وفي هذا اللقاء أكد منتصر الزيات على أمرين:

الأول: أن الجماعة الإسلامية لا يمكن أن تكون المنفذة لعمليتي تفجير السفارتين في نيروبي ودار السلام، لأنها لا يمكن أن تقوم بأي عمل **عسكري في الداخل أو الخارج** لأنها ملتزمة بمبادرة وقف العنف التي أطلقها قادتها في السجن.

أما الأمر الثاني: فهو أنه يرجح أن **اليهود** بالدرجة الأولى هم الذين قاموا بتفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام.!!!

والأمر الأول الذي ذكره منتصر يكشف زيف التبرير الذي يردده منتصر وغيره من أن الحركات الجهادية يجب أن تتوقف عن الصدام مع الحكومة ليتفرغ الجميع لمواجهة اليهود و الأمريكان.

(٣) كما أكد منتصر الزيات في حديثه لجريدة الشرق الأوسط بأن قادة الجماعة الإسلامية بسجن طره قد اتخذوه متحدثا باسمهم.[١٣٨]

وفي الحقيقة فإن منتصر الزيات لا يعتبر نفسه وكيلا عن قادة الجماعة الإسلامية فقط، بل أنه يعطي لنفسه الحق في الرد على رفاعي طه و الشيخ عمر عبد الرحمن، والتصريح بأن أقوالهما لا تعبر بالضرورة عن موقف الجماعة!!!

(د) ونود هنا قبل اختتام الحديث عن منتصر الزيات –كمتحدث باسم الجماعة– أن نذكر بعضا من آراء منتصر الزيات حتى تكتمل صورته وصورة الدور الذي يؤديه.

١- يصرح منتصر بأن الحركة الإسلامية قد أصيبت بنكسة مؤخرا تفرض على قادة الحركة أن يقوموا بمراجعة شاملة لها.[١٣٩]

---

(١٣٨) الشرق الأوسط: ١٩٩٩/٤/٩م.

(١٣٩) نفس المصدر السابق.

٢- يهاجم منتصر الزيات الجهاد الذي تقوم به الجماعات الجهادية ضد الحكومة لمحاربتها للشريعة ولموالاتها لأمريكا وإسرائيل، و يصفه بأوصاف مغايرة تماما لكلمة الجهاد في سبيل الله.

- فيصفه بالإحباط واليأس.(١٤٠)

- ويتأسف على رجال الشرطة لأنهم من "البسطاء الكادحين". (١٤١)

- وأن "القارعة" قد حلت بهجوم الشباب المجاهد على السائحين في الأقصر.(١٤٢)

- وأن رصاص اليأس والإحباط حصد ٦٥ سائحا.(١٤٣)

- وأن "قادة الليمان" كانوا يعتزمون القيام **ببروسترويكا إصلاحية**، وأنهم طرحوا في العاجل وقف العمليات العسكرية، وأيضا صنع مناخ هادئ - بعيدا عن أصوات الرصاص ودوي المدافع **ومنظر** الدماء - يسمح بالتقييم والدراسة.(١٤٤)

وإذا كانت البرسترويكا في روسيا قد أدت إلى تخلي روسيا عن عقيدتها الشيوعية واعتناق العقيدة الرأسمالية فإلى ماذا ستؤدي البرسترويكا في الجماعة الإسلامية حسب تصور منتصر؟؟

- وأن الجماعة لو تحللت فستتحول إلى مجموعات تمارس "العنف الفوضوي العشوائي الأسود على النحو الذي وقع في الأقصر".(١٤٥)

- وأن "كارثة الأقصر" لابد أن تدفعنا إلى مراجعة التفكير والتدبير لحل الأزمة سياسيا واجتماعيا وأخلاقيا بفتح أبواب الحرية والعدل، وتطبيق أحكام القانون، واحترام أحكام القضاء بالإفراج عن المعتقلين والسجناء وحق المدنيين في أن يمثلوا أمام قاضيهم الطبيعي، وكل مظاهر الإصلاح السياسي.

---

(١٤٠) منتصر الزيات حول مبادرة وقف العنف ... وماذا بعد؟ - مجلة السنة العدد ٧٢، شعبان، رمضان ١٤١٨هـ ص٣٧.
(١٤١) نفس المصدر السابق .
(١٤٢) نفس المصدر السابق .
(١٤٣) نفس المصدر السابق .
(١٤٤) نفس المصدر السابق ص ٤٠.
(١٤٥) نفس المصدر السابق ص ٤٣.

وهذا الكلام في غاية الخطورة لأنه يتناقض مع أهداف الحركة الجهادية التي قامت لاستبدال الحكومة الشرعية الإسلامية التي تطبق الشريعة وتحمي الأمة من أعدائها وتنشر الإسلام بالدعوة والجهاد بالحكومة المخالفة للشريعة والمستسلمة لأعداء الأمة.

أما ما يطالب به منتصر فهو شيء من الترقيع الجزئي لوجه النظام اللاشرعي بتطبيق أحكام القانون والدستور الذي رفضته الحركة الإسلامية تأصيلا وتطبيقا، وجاهدت الحكومة التي تستغله ممارسة و تنفيذاً.

فمنتصر الزيات هنا يستسلم إلى القانون الوضعي وللدستور العلماني ويستغيث بهما لحل الأزمة، وهو أول من يعلم كيف كتب هذا الدستور وذلك القانون، وكيف فرضا على الأمة المسلمة، وكيف ينفذان.

وإذا كانت الحركة الجهادية قد اعتبرت أن إزاحة هذه الدساتير والقوانين واستبدال شريعة الإسلام بهما هي قضية عقيدة متفرعة على أن الحاكمية لله وحده، وأن أمة الإسلام قد أجمعت على هذا منذ أن وجدت وحتى اليوم، وأن هذه هي عقيدة الإسلام التي أرسلت بها الرسل، وأنزلت بها الكتب، وانعقدت بها العداوة بين الحق والباطل، وبنيت عليها الأخوة بين أهل الإيمان دون نظر إلى جنس ولا عرق ولا مال ولا منصب. فإن منتصر يطرح اليوم علينا عقيدة جديدة خلاصتها أن حل أزمتنا وسبيل خلاصنا في التحاكم إلى الدستور العلماني والقانون الوضعي وإعمال نصوصهما وإنفاذ موادهما.

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

- أما عن المدى الذي يرى أن تسمح به الحكومة للجماعات الإسلامية فهو كما يقول منتصر: " إلى متى تظل الحكومة تحتجز هذه الأعداد الغفيرة؟! ومن ثم فلا بد من تعميق المشاركة السياسية والعلنية للجماعات الإسلامية، والسماح لهم بوسيلة من وسائل العمل السياسي التي يعبرون فيها عن مكنوناتهم، ويطرحون من خلالها آراءهم ومعتقداتهم.. وليكن ذلك بشكل يماثل المسموح به للإخوان، المهم أن يكون النشاط **علنيا سلميا تحت سمع وبصر الدولة** في المدارس والجامعات وفي النقابات المهنية والمساجد **وكل المؤسسات الشرعية**. (١٤٦)

(١٤٦) نفس المصدر السابق ص ٤٤.

إذن فمنتصر . المتحدث والمفوض والموكل والمتمتع بتأييد وثناء قادة الجماعة الإسلامية في السجن – يريد نشاطا **تحت سمع وبصر الحكومة حتى تأمن الحكومة من أي تحول في هذا النشاط لمواجهتها أو مصادمتها**. فهل هذا المتحدث باسم قادة الجماعة الإسلامية في السجن **يمثل** ثوابت الجماعة الإسلامية – قبل إصدار المبادرة . أم يتناقض معها؟ ولماذا تسكت الجماعة الإسلامية في الخارج عنه ولا ترفضه كمتحدث باسم قادة الجماعة؟؟؟

٣- كما يعتبر منتصر الزيات أن المبادرة ليست موقفا تكتيكيا فيقول: "إننا لا نعتبر المبادرة موقفا تكتيكيا من الجماعة لالتقاط الأنفاس، ثم معاودة موجة العنف.(١٤٧)

وهذا الكلام يتناقض تماما مع كلام المسئول – الذي لم يذكر اسمه- في مجلة الفجر والذي ذكر –كما أوردنا- أن الجماعة قد تعود إلى العمل المسلح متى شاءت.

من نصدق المسئول الذي لم يذكر اسمه، أم منتصر الزيات الموكل المفوض والمؤيد والمثنى عليه من قادة الجماعة في سجن طره؟؟؟

٤- كما يدعو منتصر الزيات أبناء الجماعة الإسلامية إلى الاستسلام للحكومة والرضى بمحاكمتهم أمام المحاكم، ويسمى هذا الاستسلام باسم آخر وهو "**تصفية الموقف القانوني!!!**"

فيقول منتصر:

"والموقف الأمثل لأبناء الجماعة هو الاستجابة لنداء قادتهم بوقف العمليات العسكرية، **وتصفية موقفهم القانوني**، وهنا يظهر السؤال الملح: ما هو موقف الذين يحملون السلاح بعد إلقائه وتوقف الأحداث؟

لسان الحال يقول: هو مداهمة الشرطة لهم، ويعقبه القتل أو القبض عليهم، ويعقبه الإعدام كما هو الحال في المحاكم العسكرية.

والمنطق يقول أنه لا يمكن الاستجابة ما دام الأمران مستويان في النهاية، ولذلك كي يستجيب حاملوا السلاح لابد من مناشدتهم وإعطائهم الفرصة والأمل في الحياة، وذلك

(١٤٧) المصدر السابق ص ٤٥، ٤٦. راجع أيضا الشرق الأوسط: الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/٦/٢١م ص ٢.

بإلغاء المحاكم العسكرية وإلغاء أحكام الإعدام أو تخفيفها ومحاكمتهم أمام القضاء المدني، وهذا ما يشجع الهاربين على التفكير في الاستجابة وتصفية **مواقفهم**." (١٤٨)

أي أن منتصر يدعو لإعطاء حاملي السلاح الفرصة والأمل في الحياة، وكفى هذه العبارة إهانة للمجاهدين. وهل حمل المجاهدون السلاح لأنهم يائسون من الحياة وليس لهم فرصة فيها؟ ثم كيف يكون إعطاءهم الفرصة والأمل في الحياة بتأميلهم أنهم إذا ألقوا سلاحهم وسلموا أنفسهم – أي صفوا موقفهم قانونيا حسب تعبير منتصر – فلن يحاكموا أمام المحاكم العسكرية، بل سيقبض عليهم وتحقق المباحث معهم لكي تستقصي كل المعلومات عن اتصالاتهم ومصادرهم وأعمالهم وأسماء بقية إخوانهم...الخ. ثم تدفع بهم للنيابة التي ستدفع بهم للقضاء المدني الذي سيحكم فيهم بالقوانين العلمانية ويا لها من فرصة رائعة ويا له من أمل مشرق في الحياة!! أي حياة؟ إنها حياة المذلة والخضوع للقوانين الوضعية والدساتير العلمانية وقبول حكمها في المجاهدين وإدانتها لهم أو ما يسميه منتصر **تصفية الأوضاع القانونية**.

(٥) كما يعتبر منتصر الزيات نفسه أحد المراجع في مراجعة المبادرة، فيقول في تصريح لجريدة الشرق الأوسط حول خطاب الشيخ عمر عبد الرحمن الذي رفض إطلاع الصحفيين عليه: "إن عملية المراجعة تتم من خلال ثلاث آليات:

الأولى: من قادة الجماعة في السجن......

والآلية الثانية لتقييم المبادرة، تتم من خلال تقرير يعده صلاح هاشم.......

والثالثة من خلال منتصر الزيات نفسه.(١٤٩)

(٦) كما يدعو منتصر الشباب المسلم إلى الالتزام بقوانين المجتمع فيقول: "والإجراءات والسياسات المطلوبة من أجل دمج أعضاء الجماعات في المجتمع هي:

١- أن يعامل أبناء الجماعة كمواطنين داخل المجتمع لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل ما لغيرهم.(١٥٠)

---

(١٤٨) المصدر السابق ص ٤٧.
(١٤٩) الشرق الأوسط: الأربعاء ١٩ ربع الأول ١٤٢١هـ _ ٢١/٦/٢٠٠٠م ص ٣.
(١٥٠) منتصر الزيات: المصدر السابق ص ٤٧.

ويقول عما يجب على أبناء الحركة الإسلامية:

٢- أن يكون الفرد الملتزم قدوة في المجتمع في جميع تصرفاته، وألا يعتبر نفسه فوق البشر، وأن له ميزة عن غيره، فلا يلتزم بالتعاليم أو القوانين المنظمة لسير الحياة اليومية في المجتمع.(١٥١)

وهكذا يتضح لنا إجابة السؤال الذي طرحناه:

ماذا يقول المنتسبون للجماعة عن المبادرة؟

إن المنتسبين للجماعة في كلامهم عن المبادرة فريقان:

الفريق الأول: يرفض المبادرة ويرى أنها لم تأتي بأي نتيجة مثل الشيخ عمر عبد الرحمن والأخ رفاعي طه.

والفريق الثاني: يؤيد المبادرة ولكنه بدوره ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يرى أن الجماعة الإسلامية لازالت على نفس ثوابتها لم تحد عنها.

والقسم الثاني: مثل صلاح هاشم ومنتصر الزيات (وكيل قيادات السجن) يرى أن ما قامت به الجماعة الإسلامية من عمل جهادي سبب **نكسة** للعمل الإسلامي أو شكل **خطأ** يجب محاسبة من تسببوا فيه. وأن على الجماعة أن تنتهج خطا **سلميا علنيا** في هيكل **معلوم للجميع تحت سمع وبصر الحكومة**، وأن على أعضاء الجماعة أن يستسلموا للحكومة في مقابل أن يحاكموا أمام المحاكم المدنية وأن عليهم أن يحترموا القوانين ويعيشوا كمواطنين عليهم من الواجبات ولهم من الحقوق مثل ما لغيرهم.

أو مثل أسامة رشدي الذي يرى أن العلاقة بين الحكومة والجماعة هي العلاقة بين **الأم والأبناء** والواجب علينا تضميد الجروح وطمأنة النفوس.

ب- ما هو توصيف المبادرة؟

---

(١٥١) المصدر السابق ص ١.

والآن بعد أن عرضنا صورة للمبادرة واختلاف المتحدثين من المنتسبين للجماعة الإسلامية عنها، نرى أن نتناول الآن المبادرة من حيث توصيفها، أي ما هو الوصف الذي يصلح أن نطلقه على هذه المبادرة.

يمكننا أن نتبع سبيلاً من اثنتين في توصيفنا لهذه المبادرة:

السبيل الأول: النظر إلى هذه المبادرة والظروف التي أحاطت بها من قبلها ومن بعدها ودراسة أحوال ودوافع وأهداف أطرافها ثم استنتاج رأي فيها.

والسبيل الثاني: اعتبار ظاهر أقوال الأطراف المشاركة فيها.

ونحن نرى لاعتبارات كثيرة أن نختار السبيل الثاني في توصيف المبادرة باعتبار أن ما قاله أصحابها يلزمهم ويمكن أن نبني عليه، ولذا سنستبعد الرأي القائل بأن المبادرة هي هدنة بين الجماعة والنظام، وسنستبعد بالتالي الرأي الذي يرى أن هناك صفقة بين قادة الجماعة في السجن والنظام، بلغ من تعسف النظام الحاكم وتكبره أن يلزم الجماعة بإنكار وجود الصفقة، ويلزمها بإعلانها مبادرة من طرف واحد فقط، وأن يلزمها أيضا ليس فقط بإعلان وقف العمل العسكري بل وإيقاف – أيضا – مجرد التحريض عليه. واستبعاد هذا الرأي سيعفينا من عبء مناقشة أمرين:

الأول: هل يجوز التهادن مع نظام الحكم في مصر أم لا؟ من حيث الأساس.

والثاني: مطالبة قادة الجماعة بالسجن بإبراز تفاصيل الاتفاق حتى نناقشه.

وبناء على ما سبق فسنبني توصيفنا للمبادرة على:

(١) ما ذكره من أطلقوها.
(٢) ما ذكره النظام عنها.

(١) توصيف المبادرة بناء على ما ذكره من أطلقوها وهم قادة الجماعة الإسلامية بسجن ليمان طره: فالمستفاد مما صدر عنهم.

أ- إن المبادرة تدعو أبناء الجماعة الإسلامية إلى وقف العمليات العسكرية في الداخل والخارج.
ب- وتدعو لوقف البيانات المحرضة على العمليات العسكرية في الداخل والخارج.

ت- وأن المبادرة ليست صفقة بل هي من طرف واحد.[152]

ث- وأن المبادرة ليست تكتيكا يراد بعده العودة للقتال مرة أخرى[153] ولذا فإنهم يطالبون ويلحون في الطلب بأن تتجاوب الحكومة معها.

إذن فهذه حالة نموذجية لما يعرف في عالم السياسة "**بالاستسلام**".

ففي أي صراع مسلح إذا أوقف أحد الأطراف عملياته العسكرية بدون شرط ورضخ لإرادة **الطرف** الآخر وطلب منه أن يتعاطف أو يتجاوب معه فهو طرف **مستسلم** لخصمه. ففي القاموس السياسي جاء في مادة "تسليم":

"**تسليم**:

اتفاق عسكري يقصد به إعلان خضوع وحدة حربية (كتيبة أو فرقة...الخ) إلى قوات العدو." وجاء أيضا " ويشترط الطرف المنتصر عادة أن يكون التسليم **بلا قيد** ولا **شرط**، ومثال ذلك ما نصت عليه مؤتمرات القاهرة والدار البيضاء وبالتا وبوتسدام قبيل الحرب العالمية الثانية، بأن يكون تسليم ألمانيا واليابان وحلفائهما **بدون قيد** أو **شرط**، من ذلك ما جاء في تصريح بوتسدام مثلا (البند ١٣): "إننا ندعوا الحكومة اليابانية أن تعلن فورا التسليم **بلا قيد أو شرط** لجميع قواتها المسلحة، وأن تقدم في الوقت نفسه ما يثبت حسن نيتها.[154]

وهنا نذكر القارئ بما ورد في بيان الإخوة في سجن شديد الحراسة الذي جاء فيه مطالبة إخوانهم في الخارج " **بإصدار بيان غير مشروط بوقف العمليات العسكرية**." إذن فنحن أمام حالة استسلام نموذجية أضيف إليها إيقاف **التحريض** على العمل العسكري.

---

(١٥٢) راجع أقوال منتصر الزيات ، الشرق الأوسط: الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/٦/٢١م ص ٣، وأقوال صلاح هاشم في الشرق الأوسط: ٢١ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/٦/٢٣م ص ٤.

(١٥٣) راجع أقوال منتصر الزيات في مجلة السنة عدد ٧٢ شعبان/ رمضان ١٤١٨هـ ص ٤٥،٤٦ والشرق الأوسط في ١٩٩٩/٤/٩م.

(١٥٤) أحمد عطية الله: القاموس السياسي – مادة تسليم – ص ٢٩٢ – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م – دار النهضة العربية – القاهرة.

أي دعوة أبناء الجماعة إلى إلقاء السلاح و عدم تحريض إخوانهم على حمله، أي الدعوة إلى الاستسلام وعدم دعوة الآخرين إلى المقاومة. أي أن قادة الجماعة لن يتوقفوا عن العمل العسكري فقط بل حملوا العبء عن النظام في كف الآخرين عنه.

فإذا أضفنا إلى ما سبق تصريحات صلاح هاشم ومنتصر الزيات فإن الأمر سيتعدى الاستسلام ومساعدة النظام في كف الآخرين عن المقاومة إلى التراجع عن عقيدة الجهاد والرضوخ لتفتيش الحكومة المستمر لأنشطة الجماعة حتى لا تعود إلى العنف مرة أخرى. فالخلاصة أن المستفاد من أقوال المنتسبين للجماعة الإسلامية أن المبادرة:

أ- استسلام غير مشروط للحكومة، كما جاء في البيانات الصادرة من قيادة الجماعة في ليمان طره وفي سجن شديد الحراسة.

ب- مساعدة للحكومة في كف الآخرين عن المقاومة لإلحاح قيادات السجن على وقف التحريض على العمل المسلح في الداخل والخارج.

ت- تراجع عن عقيدة الجهاد واعتبارها نكسة أو خطأ يجب محاسبة من تسبب فيه، كما جاء في أقوال منتصر الزيات وصلاح هاشم.

ث- قبول الإشراف الحكومي على أنشطة الجماعة بكشف كل المعلومات لها، كما جاء في أقوال منتصر الزيات وصلاح هاشم.

(٢) هذا هو توصيف المبادرة بناء على ما نسب للجماعة الإسلامية. فما هو توصيفها بناء على ما نسب للحكومة؟

رفضت الحكومة في أقوالها الظاهرة التجاوب مع المبادرة لأنها لا تتعامل مع جهات غير شرعية أو مجرمين. وصرح وزير الداخلية (حبيب العادلي) بأن الحكومة تفرج عن تائبين فقط.

إذن فتوصيف المبادرة بناء على أقوال مسئولي الحكومة أن من أفرج عنهم لم يفرج عنهم بناء على صفقة مع الجماعة الإسلامية وإنما بناء على توبتهم. إذن فالمبادرة بناء على ظاهر الأقوال المنسوبة للأطراف المشاركة فيها تدور بين **الاستسلام غير المشروط والتوبة!!!**

ج- وإذا كان هذا هو توصيف المبادرة، فما هي وجاهة وقوة المبررات التي سيقت لتبرير هذه المبادرة؟

ساق أصحاب هذه المبادرة لتبريرها عددا من المبررات، نجملها فيما يلي ونرد عليها بإذن الله:

(١) أن المبادرة اضطرار مشروع.
(٢) أن الجماعة ما قصدت بعملياتها العسكرية تغيير النظام، وإنما قصدت رد العدوان على قادتها.
(٣) أن المبادرة قد حققت بعض المكاسب التي يجب الحفاظ عليها.
(٤) أن النظام سيتجاوب مع المبادرة ويوقف القمع.
(٥) أن المبادرة ستمكن الجماعة من إعادة تنظيم صفوفها.

* * *

(١) أن المبادرة اضطرار مشروع لأن:

- سياسات النظام نجحت في التعامل مع التيار الإسلامي.
- ولأن خسائر الجماعة قد زادت.
- ولأن القتال لم يحقق أهداف الجماعة.
- ولأن الوضع الحالي مفسدة لا مصلحة من ورائها.
- ولأن الواقع الحالي لا يوفر للجماعة فرصة الاستمرار.

والرد على هذه المبررات من عدة أوجه.

أولاً: أن التوقف عن القتال العيني يكون مشروعا في حالتين

الأولى: عند تحقق العجز عن القتال.

والثانية: إذا كان الإيقاف سيجلب من المصالح ما هو أكثر من الخسائر في استمرار القتال.

فهل وقعت أية من الحالتين؟.

فإجابة على السؤال هل تحقق عجز الجماعة عن مواصلة القتال نقول:

(١) إن الحركة الجهادية في مصر لازالت قادرة على الصمود ومواصلة القتال رغم كل ما مر بها من نكبات وإصابات، وهي قادرة على المناورة ونقل المعركة من ميدان لآخر والتكيف مع الأوضاع الجديدة – بفضل الله – ونحن من الشاهدين على ذلك.

(٢) إن قادة الجماعة الإسلامية المسجونين قد أصدروا المبادرة المذكورة والجماعة لازال لها قوى كبيرة في الداخل والخارج.

ففي الداخل نفذ أبناء الجماعة الإسلامية حادث الأقصر ضد السياح الأجانب، وهو من أقوى عمليات الجماعة الإسلامية من حيث الأثر السياسي، وفي الخارج لازال للجماعة إمكانات كثيرة وفاعلة بفضل الله.

(٣) إن قادة الجماعة الإسلامية قد يحتجون بأن التوقف عن القتال عند العجز جائز شرعا من حيث الأصل ويجادلون معنا في انطباق هذا الوصف عليهم.

أما ما لا يستطيعون إثبات جوازه شرعا فهو: التوقف عن التحريض على الجهاد. إن التحريض على الجهاد واجب شرعا عند تحقق العجز بقول الله تعالى: { لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } التوبة : ٩١.

أي أن الله قد رفع الحرج عن أصحاب الأعذار الذين لا يستطيعون القتال بشرط أن ينصحوا المؤمنين بما يجب عليهم. ويقول الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً }النساء٨٤.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) أن العجز لا يسقط الإعداد فقال: "يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها فإنه لا يجب تحصيلها لأن الوجوب هنا لا يتم إلا بها".[١٥٥]

إن دعوة قادة الجماعة في ليمان طره إخوانهم للتوقف عن التحريض على العمل العسكري سقطة كبيرة نسأل الله أن يردهم عنها إلى رشدهم، وقد كنا معهم في السجن في ظروف أسوأ من حالنا الآن بمئات المرات ولم يتوقف تحريضنا على الجهاد.

(١٥٥) تقي الدين أحمد بن عبد السلام ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – ج ٢٨ ص ٢٥٩ – طبعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

ومن السجن أصدروا معظم إصداراتهم التي تحرض على قتال الحكام المرتدين عن الشريعة، وفي وسط قاعة المحاكمة – والجميع ينتظرون أن تصدر الأحكام بالإعدام والسجن الطويل الأمد على كثير من الأخوة – صدع الشيخ عمر عبد الرحمن بالحق في بياناته الشهيرة وهو في قبضة أعدائه فلماذا تبدل حالنا اليوم؟

(٤) إن إصدار المبادرة يناقض دعوى العجز.

فلو لم يكن للجماعة مجموعات قادرة على العمل في الداخل والخارج لما كان للمبادرة معنى، فإن الجماعة لو وصلت إلى حالت العجز التام فلن تحتاج إلى إصدار أمر لأعضائها بالتوقف، فإصدار المبادرة معناه أن هناك مجموعات قادرة على العمل يريدون إيقافها.

(٥) وإذا كانت الجماعة قد عجزت عن القتال فمن الضرر إعلان ذلك في العقل والمنطق. فمن حسن السياسة عدم إعلان ذلك إلا إذا كان هذا جزء من صفقة تبغي الجماعة من ورائها بعض المكاسب. فإن لم تكن هناك صفقة –كما صرح المتحدثون باسم الجماعة – فإن هذا الإعلان ليس من ورائه إلا الضرر المحض بتطمين الحكومة حتى تزيد في تعنتها وكبريائها.

وإجابة على السؤال: هل حقق إيقاف العمل العسكري جلب المصالح ودفع المفاسد والخسائر؟

نقول:

(١) لقد كفانا الشيخ عمر عبد الرحمن – فك الله أسره – و الأخ رفاعي طه –كما ذكرنا – مئونة الرد على هذا السؤال.

فقد جاء في تصريح الشيخ عمر المشهور: "أنه لم يحدث أي تقدم، فآلاف المعتقلين لا يزالون معتقلين، والمحاكمات العسكرية مستمرة وعمليات الإعدام لا تزال تنفذ".(١٥٦)

(٢) وبعد صدور بيان الجماعة الإسلامية في ٨ ذي الحجة ١٤١٩هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٩٩م هاجمت قوات الشرطة في ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩/٩/٧م الأخ الشهيد –كما نحسبه – فريد سالم كدواني أمير المنيا ومعه ثلاثة من مجاهدي وقيادي الجماعة الإسلامية واشتبكت معهم وقتلتهم، ولم تمنع المبادرة من قتلهم!!!

(١٥٦) الشرق الأوسط: الخميس ١٣ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/٦/١٥م ص ١،٣

(٣)كما خرج وزير الإعلام المصري ليعلن على وسائل الإعلام – في زهو – أن الشرطة المصرية قتلت في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٠م واحدا من أخطر الإرهابيين وهو الأخ الشهيد –كما نحسبه – علاء الدين عبد الرازق عطية، ثم عقب منتصر الزيات على ذلك التصريح بأن هذا الحادث لن يؤثر على المبادرة. ولم تمنع المبادرة قتله.

وثانيا: إن القول بأن سياسات النظام الحاكم نجحت في التعامل مع التيار الإسلامي مردود عليه:

(١) بأن سياسات الحركة الجهادية هي التي نجحت في التعامل مع الحكومة، فأي مراقب منصف يستطيع أن يرصد كيف تطورت الحركة الجهادية في ٢٠ سنة منذ ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م إلى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ففي خلال ٢٠سنة تحولت الحركة الجهادية من مجموعات متفرقة في طور التكوين إلى تيار فرض نفسه على ساحة الأحداث بالتضحيات والدماء، وأصبح يشكل جزءا من حزام جهادي عالمي ممتد من المغرب إلى تركستان الشرقية تتمتع الحركة الجهادية المصرية فيه بدور الريادة. هذه حقيقة لا تقبل المناقشة.

إن الخطر الحقيقي على النظام الحاكم في مصر وبالتالي على مصالح الغرب وإسرائيل هو في الحركة الإسلامية، والحركة الجهادية هي رأس حربتها وذراعها الضارب. وإذا كانت الحركة الجهادية تمر بمرحلة من الضيق والعسر في مصر فقد مرت بها مرات ومرات وما أوهنت من عزيمتها ولا فتت من عضدها، بل وخرجت منها في كل مرة أصلب عودا وأقوى شكيمة.

كما قال المتنبي:

تمرست بالآفات حتى تركتها   تقول أمات الموت أو ذعر الذعر

وكما قال الآخر:

وإني لمن قوم كرام يزيدهم   شمساً وصبراً شدة الحدثان

ولكن سياسات الحكومة هي التي نجحت في زرع اليأس في قلوب بعض قادة الحركة الجهادية.

وثالثا: أما القول بأن خسائر الجماعة قد زادت، فالرد عليه: وهل قللتها المبادرة؟؟

ورابعا: أما القول بأن القتال لم يحقق أهداف الجماعة، فالرد عليه: نعم لم يحقق القتال أهداف الجماعة إذ كان هدف الجماعة هو الوصول إلى الحكم في ظرف عدة سنوات، أو إذا كانت الجماعة قد حصرت نفسها في منازلة النظام داخل مصر فقط. أما إذا كان المطلوب إزالة نظام معاد للإسلام يعد طليعة لحملة صليبية تعتبر أشرس الحملات الصليبية على ديار الإسلام، أما إذا كان ميدان المعركة يتسع حسب تكيف الجماعة مع الظروف المتغيرة. فلا يزال القتال هو أهم الوسائل في إزاحة هذا النظام المعادي للإسلام وصد هذه الهجمة الصليبية الجديدة.

وخامسا: أما القول بأن الوضع الحالي يمثل مفسدة لا مصلحة فيها فإن المبادرة لم تحقق مصلحة بل جلبت العديد من الأضرار، وهو ما سنشرحه لاحقا عند الكلام عن آثار المبادرة.

وسادسا: أما القول بأن الوضع الحالي لا يوفر للجماعة فرصة الاستمرار. فالرد عليه: و ماذا قدمت المبادرة للجماعة بعد أربع سنوات؟؟؟.

(٢) ومن مبررات المبادرة أيضا قول بعض المتحدثين —كما أسلفنا — باسم الجماعة أن الجماعة ما قصدت بعمليتها العسكرية تغيير النظام، وإنما قصدت رد العدوان على قادتها وأبنائها ونساء المسلمين وأعراضهن ومساجد الجماعة. والرد هو نفس الرد البسيط: وعن ماذا دافعت المبادرة؟ هل دفعت العدوان المستمر على المسلمين منذ صدورها حتى الآن؟

(٣) ومن مبررات المبادرة التي تساق لتزيين البقية الباقية من صورة المبادرة الشاحبة الباهتة: أن المبادرة قد حققت بعض المكاسب التي يجب الحفاظ عليها مثل وقف الإعدامات ووقف الإحالة على المحاكم العسكرية والإفراج عن بعض المعتقلين ووقف التعذيب داخل السجون. ولا أدري عمن يتحدثون ومع من يتحدثون؟ أيتحدثون عن بلد آخر غير مصر؟ أم يتحدثون عن قوم لا يعرفون شيئا عما يحدث في مصر؟. ألم يقتل فريد سالم كدواني ورفاقه الثلاثة بعد المبادرة؟ ألم يشنق بعد المبادرة عادل السوداني وأحمد النجار وأحمد إسماعيل؟ ألم يحول محمد الإسلامبولي — وهو من أقطاب الجماعة الإسلامية — إلى المحكمة العسكرية في قضية "العائدون من ألبانيا" بعد المبادرة؟ ألم يقتل علاء الدين عبد الرازق عطية بعد المبادرة؟

أما الإفراج عن المعتقلين، فلا أدري عمن يتحدثون؟ الحكومة تفرج عن مئات كل عدة أشهر وتعتقل مئات كل شهر، هل أفرج عمن أمضوا أحكامهم حتى الآن؟ أما التعذيب داخل السجون، فلا أستطيع أن أرد على من يزعم أن الشمس لا تشرق على الدنيا.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وجزى الله الشيخ عمر عبد الرحمن الذي كفانا مئونة الرد عليهم.

(٤) ومن المبررات التي تساق – وقائلها موقن بتفاهتها– ما ذكرناه عن بعض المتحدثين باسم الجماعة من:

– أنه لابد من سياسة جديدة يؤمل أن يتجاوب معها النظام.

– وأن النظام سيكون غدا بحاجة إلى رفع الآلة القمعية عن رقاب الشعب والمسلمين في مصر.

– وأن النظام لن يجد في سياسة الجماعة مبررا لسياساته القمعية.

وردي على هذه المبررات بسيط:

فالنظام أولاً لا يحتاج لمبررات لأنه ينفذ سياسة عليا مرسومة له في واشنطن وتل أبيب، وطالما ظل خطر الجماعات الجهادية قائما ضد الغرب وإسرائيل فسيستمر القمع ضدها.

والنظام ثانياً سيستجيب للمبادرة إذا غيرت الجماعة الإسلامية عقيدتها بما يرضيه ويطمئنه.

{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }البقرة ١٢٠

(٥) ومن المبررات التي تساق لتمرير المبادرة قول بعضهم: إن المبادرة ستمكن الجماعة من التقاط أنفاسها وتنظيم صفوفها والعودة إلى ميدان الدعوة واستعادة قواعد الجماعة، ولا أدري كيف يتصور البعض أن الحكومة ستسمح للجماعة بالتقاط أنفاسها وإعادة تنظيم صفوفها؟ هل ستسمح الحكومة بذلك لتتمكن الجماعة من استعادة قوتها فتنقض على الحكومة؟

وهل من دعا إخوانه إلى وقف التحريض على العمل العسكري وهو داخل السجن، إذا خرج برضى الحكومة وتعاطفها مع مبادرته سيرجع إلى التحريض مرة أخرى ليعود إلى السجن من جديد؟ وهل عودة الجماعة بهيكل علني معروف للجميع تحت سمع وبصر الحكومة – كما يطالب البعض– سيعيد نفس الجماعة الإسلامية التي عرفناها قبل المبادرة؟

وهل إذا عادت الجماعة للدعوة بدون تحريض على الجهاد ولا بيان للحكم الشرعي الواجب لنصرة الإسلام في هذا الزمان، ستلتف حولها نفس القواعد التي التفت حولها لما كانت تدعوا إلى الحق بلا مواربة وإلى الإسلام بشموله؟ وهل ستقبل الجماعة الإسلامية هذا الثمن للإفراج عن قادتها والتحول إلى معارضة مستأنسة تحت سمع وبصر الحكومة، تدعو إلى معارضة للحكومة بلا جهاد ولا إعداد للجهاد؟

د- وإذا كان هذا هو نصيب مبررات المبادرة من القوة والوجاهة، فما هي الآثار التي خلفتها المبادرة على الساحة الإسلامية عامة والجهادية خاصة؟

(١) من أخطر هذه الآثار – التي تمر دون أن ينتبه له كثيرون- تسمية بعض المتحدثين باسم الجماعة؛ الجهاد عنفا والمبادرة بمبادرة وقف العنف، بهذه التسمية يفرغون قضيتهم من مشروعيتها وعدالتها، ويتساوون مع أي لص أو سارق أو قاتل يمارس عنفا. وهذه التسمية تصر عليها الحكومة باستمرار لهذا الغرض الخبيث.

(٢) كما أن هذه المبادرة أضعفت الجبهة الجهادية بتعطيل طائفة من أهم طوائف المجاهدين، ولذا ينعم أمثال منتصر الزيات بهذا التسهيل والدعم الحكومي.

(٣) كما أن هذه المبادرة تطالب الجماعة الإسلامية بإيقاف أي عمل جهادي داخل أو خارج مصر ضد **الحكومة المصرية** أو **الأمريكان** أو **اليهود**.

وقد جاء في البيان الثالث الصادر عن قادة الجماعة الإسلامية بليمان طره – والذي أوردناه من قبل- أنهم متمسكون بموقفهم من وقف العمليات العسكرية، والبيانات المحرضة عليها داخل وخارج مصر.(١٥٧)

كما صرح منتصر الزيات في حديثه لقناة الجزيرة بعيد حادثة نيروبي ودار السلام بأن الجماعة الإسلامية لا يمكن أن تكون وراء الحادثة، لأنها ملتزمة بمبادرة وقف العنف.

ولذلك لما صدر البيان الرابع لقادة الجماعة الإسلامية في ليمان طره لم يشيروا فيه إلى جهاد اليهود وإنما ذكروا فيه: "نعلن أننا نقف مع كافة القوى الوطنية، وندعوا الحكومات

(١٥٧) منتصر الزيات: مجلة السنة: المصدر السابق ص ٤٠، ٤١.

العربية والإسلامية لوقف التطبيع مع اليهود (تأمل) ومقاطعة التسلط الإسرائيلي في المنطقة الإسلامية وذلك بالجهود المخلصة والدعوة الراشدة!!![١٥٨]

أرأيت أيها القارئ الذكي كيف تغيرت لغة الخطاب، ودعوة الحكومات العربية لمقاومة إسرائيل بالجهود المخلصة والدعوة الإسلامية الراشدة.!!!

(٤) كما أن هذه المبادرة تحول السعي إلى تحرير الشيخ عمر عبد الرحمن وبقية الأسرى إلى وهم لا حقيقة له، فكيف يمكن الجمع بين السعي إلى تحرير الشيخ وبين البيان الثالث للقادة المسجونين الذي طالب أفراد الجماعة الإسلامية بوقف العمليات العسكرية والبيانات المحرضة عليها داخل وخارج مصر؟

وكيف يمكن الجمع بين السعي لتحرير الشيخ عمر عبد الرحمن – فك الله أسره– وبين البيان الخامس للقادة المسجونين الذي دعا "**وسطاء الخير** لرفع المعاناة عنه وإطلاق سراحه من سجنه؟"[١٥٩]

ولا أدري من هم وسطاء الخير هؤلاء؟؟؟.

ونفس هذا الجمع المتعذر ظهر في بيان الجماعة الإسلامية الصادر في ٨ ذي الحجة ١٤١٩هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٩٩م، حيث ذكر عن الجماعة: "أنها لم تنسى ولن تنسى شيخها وأميرها الدكتور عمر عبد الرحمن المسجون ظلما في الولايات المتحدة، وأنها ستسعى لإنقاذه مهما طال الوقت ومهما كلفها ذلك من تضحيات، و إنها لتدعوا المسلمين عامة وأهل العلم خاصة إلى القيام بدورهم لفك أسر هذا العالم الجليل.

إن الجماعة بكل وحداتها في الداخل والخارج – واستجابة لنداء الدكتور عمر عبد الرحمن– تؤكد التزامها بمبادرة وقف العمليات المسلحة والتي أطلقها مشايخ الجماعة الأفاضل من ليمان طرة".

وفي رأيي القاصر أن التناقض ظاهر وواضح بين هاتين الفقرتين المتتاليتين في البيان، **فهل يمكن فك أسر الشيخ عمر وبقية أسرى المسلمين بغير جهاد ولا عمل عسكري أو تحريض عليه في الداخل والخارج؟؟؟**

---

(١٥٨) منتصر الزيات:: المصدر السابق ص٤١.
(١٥٩) منتصر الزيات:: المصدر السابق

(٥) كما أن هذه المبادرة أظهرت الخلاف داخل الجماعة الإسلامية بصورة مكشوفة هزت صورة الجماعة الإسلامية، وقد تأكد هذا الخلاف بمعارضة الشيخ عمر عبد الرحمن والأخ رفاعي طه المعلنة للمبادرة. والعجيب أن الإخوة الذين استندوا في حثهم لإخوانهم على قبول المبادرة إلى تأييد الشيخ عمر عبد الرحمن السابق، لم يستجيبوا له لما سحب تأييده لها.

فالإخوة قادة الجماعة الإسلامية في سجن ليمان طره جاء في بيانهم الخامس كما ذكرنا: "يشكر الإخوة بليمان طره شيخهم الفاضل عمر عبد الرحمن على موقفه الواعي والشجاع من مبادرة وقف العمليات، وهذا هو عهدهم به دائما حريصا على حقن الدماء، داعياً إلى الله على بصيرة، فجزاه الله خيرا وندعوا وسطاء الخير لرفع معاناته عنه وإطلاق سراحه من سجنه".(١٦٠)

واستند أيضا قادة الجماعة في سجن شديد الحراسة على موافقة الشيخ عمر عبد الرحمن على المبادرة في مطالبتهم لإخوانهم في الخارج بقبولها، فجاء في بيانهم الذي ذكرناه من قبل: "وفوق ذلك كله الدفعة القوية بمباركة شيخنا الدكتور عمر عبد الرحمن لا سيما أضاف إليها بعدا وعمقا شرعيا وتنظيمياً".

وبيان الجماعة الإسلامية –السابق الذكر- استند أيضا على موافقة الشيخ عمر عبد الرحمن على المبادرة حيث ذكر: "إن الجماعة بكل وحداتها في الدخل والخارج – واستجابة لنداء الدكتور عمر عبد الرحمن – تؤكد التزامها بمبادرة وقف العمليات المسلحة".

أقول أن كل هؤلاء الإخوة لم يستجيبوا للشيخ عمر عبد الرحمن حينما غير موقفه وأعلن سحب تأييده للمبادرة!!!

(٦) كما أن هذه المبادرة كشفت خلل شرعي وعملي في هيكل الجماعة وهو **إمارة الأسرى**.

(٧) كما كشفت عن قصور سياسي في فهم طبيعة الصراع لدى الإخوة القادة في السجن، أدى بهم هذا القصور إلى توريط جماعة مجاهدة – من أقوى الجماعات الجهادية – في التزام مع الحكومة لم يحقق إلا الفشل السياسي التام. وإذا كان الإخوة القادة في السجن – عجل الله لهم بالفرج- يصرون على أنهم يحملون أمانة قيادة الجماعة، فكان يجب عليهم

(١٦٠) المصدر السابق.

أن يؤدوا الأمانة حق الأداء، ولا يصدروا أمثال هذه القرارات الضعيفة الغامضة العقيمة الخالية من أي مكسب.

إن اية ثورة – إسلامية أو غير إسلامية– لا تستطيع المساومة مع أعدائها قبل التمكين، لأن الثورة حقيقتها ليست إلا فكرة يجتمع الناس حولها ويضحون من أجل نصرتها. في بدايتها لا تملك إلا فكرتها، فإذا بدأت المساومة في البداية فلن تجد في يدها إلا الفكرة لتساوم عليها، و إذا ساومت على فكرتها فقد قتلت نفسها.

الأمر الآخر الهام وهو نصيحة لكل من يدعون المهارة السياسية؛ إن القوة السياسية والقوة العسكرية والميدانية هما وجهان لعملة واحدة، أو هما تعبران عن حقيقة واحدة. فإذا كنت قويا عسكريا فستكون قويا سياسيا والعكس بالعكس. لذا لا يصح أن يقال: إننا سنساوم سياسيا لأننا أصبحنا ضعافا عسكريا. لأن مؤدى الضعف العسكري هو الضعف السياسي، وإذا كنت ضعيفا سياسيا فعلى ماذا ستحصل في المساومات والمفاوضات؟ ليس إلا على الفتات، إن كان هناك فتات.

(٨) كما أضعفت هذه المبادرة وحدة المجاهدين، فأصحاب المبادرة أطلقوها دون الرجوع إلى إخوانهم في الجماعات الأخرى في نفس الميدان ولم يتشاوروا مع أحد. وكيف يتشاورون مع الجماعات الأخرى إذا كانوا أطلقوها دون التشاور مع إخوانهم في الجماعة الإسلامية ذاتها!! ومن العجيب أن تخرج علينا هذه المبادرة بوقف العمل العسكري للجماعة الإسلامية في داخل وخارج مصر في الوقت الذي تتجمع فيه قوى المجاهدين للوقوف ضد الغطرسة الأمريكية اليهودية!! بل ومن الأعجب خروجها علينا في الوقت الذي تزداد فيه شراسة الحملة الصليبية الجديدة والتكبر اليهودي على أمة الإسلام وديار المسلمين. إنه لتوقيت عجيب واختيار غريب!!

٣– كلمة أخيرة حول المبادرة:

يهمني — في نهاية مناقشتي لهذا القسم حول المبادرة — أن أقتبس كلمة معبرة مؤثرة كتبت كمقدمة لكتيب أصدرته الجماعة الإسلامية عن الشهيد —كما نحسبه — علاء محيي الدين. وكأن هذه الكلمة التي كتبت في سبتمبر ١٩٩٠م كانت تقرأ المستقبل أو تحذر منه حيث قالت: "تقف الجماعة الإسلامية بمصر اليوم عل مفرق طريق.

...إما أن تستمر صلبة قوية.. تشق الطريق كما هي لا يصدها صاد ولا يردها راد...

.. وإما أن تقف.. وحتما لن يطول وقوفها، فسيدوسها الطاغوت المتغطرس الذي لا يعرف إلا لغة القوة.

ولا يكفكف عن غلوائه إلا لغة السلاح!

.. وإما أن تنحني وتنحرف وتفارق الصراط المستقيم لتبحث عن سبيل آخر وما أسهل تلك السبل وما أكثرها!! وعندئذ فستذوب في الجاهلية لا محالة.. نعم قد يتم الذوبان بسرعة وقد يكون بطيئا ولكنها ستذوب وتتلاشى وتنتهي يوما من الأيام".[١٦١]

وختاما ما كنت أتصور يوما أن يمر بي هذا الموقف فأجد إخوة لي في الجماعة الإسلامية مجتهدين في حشد أي مبرر ليوقفوا الجهاد والتحريض عليه.

وأجد نفسي أحشد الأدلة لإقناعهم بالعودة إلى العمل الجهادي وتحريض الأمة عليه ولكنها إرادة الله النافذة وأمره الغالب.

لذا أرجو مخلصا، وأناشد راجيا كل إخواني في الجماعة الإسلامية أن يتخلصوا من هذه المبادرة الآن وفورا ودون تأخير. حتى تعود الجماعة الإسلامية كما كانت الجماعة الإسلامية.

قال المتنبي:

ولم أرى في عيوب الناس عيبا　　　كعجز القادرين على التمام.

(١٦١) الجماعة الإسلامية لا لن تموت – علاء محيي الدين، ص ٥.

الفصل الثاني
الإخوان المسلمون

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ، مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ،وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}التوبة ١١٩- ١٢١.

* * *

١- جماعة الإخوان المسلمين — بلا شك — هي أوسع الحركات الإسلامية المعاصرة وأسبقها إلى النشوء في العالم العربي، وقد استطاعت أن تحقق لنفسها انتشارا دوليا واسعا مكنها من الاستمرار رغم ما تعرضت له من عقبات وصعاب في بعض الأوقات.

٢- ولكن الحال الذي وصلت إليه جماعة الإخوان المسلمين عامة وفي مصر خاصة يحتاج إلى تأمل وتدبر، فهي قد تنمو تنظيميا، ولكنها بالقطع تنتحر عقائديا وسياسيا.

٣- وكانت أحد النقاط البارزة في هذا الانتحار السياسي والعقائدي هي مبايعة جماعة الإخوان المسلمين لحسني مبارك رئيسا للجمهورية في سنة ١٩٨٧م. فالحركة التي يصل بها الأمر أن تبايع عدوها تسقط كل تاريخها في النضال ضد أعدائها بما يحتويه هذا التاريخ من دماء الشهداء وقروح المعذبين ووجل المطاردين، بل وبكل ما يتضمنه هذا التاريخ من تمسكها بمبادئها وعقيدتها.

إنها تسلخ نفسها من تاريخها لتخرج خلقا جديدا منبت الصلة بأصله متهالكا على حاضره جانحا في مستقبله، وإذا كان تاريخ الإخوان فيه ما فيه من الأخطاء والكبوات فما بالك بمن تبرأ من كل خير في هذا التاريخ وتقرب إلى عدو الإخوان الذين كانوا يدعون النضال ضد نظامه ودستوره وقانونه ليبايعه على ذلك الدستور والقانون وليثبته على رأس ذلك النظام. إن مرتكب ذلك لن يحظى حتى باحترام العدو الذي بايعه.

٤- وقد كانت هذه المبايعة من الأسباب الهامة التي دفعت كاتب هذه السطور إلى كتابة (الحصاد المر، الإخوان السلمون في ستين عاما). وقد لامني بعض إخواني على منهج

الكتاب ومنهم من أعتز بصلتي به وأتشرف بمصاحبته من الإخوان المسلمين، وكان مجمل نقدهم أن هذا الكتاب كتاب ظالم لأنه تتبع عثرات الإخوان ولم يذكر لهم حسنة واحدة مع أن تاريخهم مليئ بالحسنات، بل وصل الأمر بي –كما يقولون – إلى تجريح الشيخ حسن البنا ((مؤسس)جماعة الإخوان المسلمين-**رحمه الله)** وهو أمر لا يصح من منتسب إلى الحركة الإسلامية يعرف قدر الشيخ و فضله (رحمه الله).

وكان ردي عليهم كالآتي:

أولاً: "أن هذا الكتاب هو اجتهاد بشر لا يدعي العصمة ويجوز عليه الخطأ والسهو والنسيان والحيدة والتعدي وسوء القصد وكل ما يمكن أن يلحق بالبشر من عيوب وقصور" .

ثانياً: "إنكم باعترافكم تتفقون معي أن الإخوان المسلمين قد ارتكبوا من الأخطاء ما يصل أحيانا إلى حد الجرائم التي تستحق العقاب والقصاص ومن الحسنات ما يصل بهم إلى مقام الأولياء".

وقد انتظرت كثيرا لكي يصحح الإخوان أخطاءهم أو ينبهوا الأجيال الناشئة حتى لا تقع فيها، فما وجدت منكم إلا النقد في المجالس الخاصة والصمت والسلبية في تنبيه الأجيال القادمة والشبيبة الناشئة.

ثالثاً: "إن كتابي هذا ليس استيعابا لحركة الإخوان المسلمين حتى يحاسب على إغفال الحسنات ولذلك لم أسمه مثلا (الإخوان المسلمون في الميزان). وإنما كتابي كان صيحة تحذير وخاصة للشباب المسلم من أن ينحدر في نفس المنحدر فيصل إلى القاع الذي وصل إليه الإخوان وهو يظن أنه ينصر الإسلام ويجاهد في سبيل الله.

وضربت لهم مثلا فقلت إن مثلي ومثلكم كمثل طبيب يعالج مريضا مصابا بسرطان في المعدة يوشك أن يأتي عليه ويقتله، فليس مقبولا من هذا الطبيب أن يقول للمريض إن مخك سليم وقلبك سليم وكليتك سليمة وكل أعضائك على خير حال في ما عدا المعدة فإن فيها سرطاناً.

بل واجب هذا الطبيب أن يحذر المريض من أنه مهدد بالموت والتلف من مرض خطير، وأن عليه أن يبادر إلى العلاج المناسب، ولا يتوانى في ذلك، وإلا فمصيره الهلاك، وأنه لن ينفعه قلبه السليم ومخه السوي وأعضائه الصحيحة طالما لم يستأصل هذا السرطان من معدته.

رابعاً: "لا أنكر أن الكتاب به بعض العبارات التي تحتاج لحذف أو تعديل مثل: "ما يؤيد ما ذكرناه في (ب) أن اليهود مازالوا موجودين بفلسطين منذ عام ١٩٤٨م، ولم يقدم الإخوان على إزعاجهم يوما ما طيلة ما زيد عن أربعين عاما، طالما أن الحكومة لم تسمح". (١٦٢)

فأنا أشهد أن الإخوان قاتلوا اليهود ولا زال شبابهم في فلسطين يقاتلونهم حتى اليوم. ولا أنكر أن في الكتاب بعض العبارات التي لا داعي لها وإزالتها لا تؤثر على موضوع الكتاب، وقد قمت بمراجعة الكتاب مرة ثانية وفكرت في إصدار طبعة ثانية له ولا أدري هل سييسر الله لي ذلك أم لا".

خامساً: "أما في ما يتعلق بالتعرض لشخص الشيخ حسن البنا (رحمه الله) بالنقد فقد دفعني لذلك أمران:

أولهما: أن الشيخ حسن البنا (رحمه الله) شخصية تاريخية عامة وأي متعرض لجماعة الإخوان المسلمين لابد أن يتناولها بالدراسة، وأنا لم أقع في تقديس الشيخ حسن البنا (رحمه الله) كما يفعل كثير من الإخوان المسلمين، كما لم أعتبره ضالا مضلا كما يفعل العلمانيون والشيوعيون وإنما تناولت أعماله بالدراسة والنقد على قدر طاقتي وحرصت على أن أنقل عنه (رحمه الله) وعن الإخوان المسلمين قدر ما أستطيع، وللأسف فلم يرد على حتى الآن أحد من الإخوان فيما أعلم.

الأمر الثاني: أن كثيرا ممن جاء بعد حسن البنا (رحمه الله) كان يبرر أخطاءه بأن حسن البنا (رحمه الله) قد فعلها أو سبقه إليها، ولذا كان لابد من دراسة هذا السبق عند حسن البنا (رحمه الله)، ومنهج أهل السنة هو معرفة الحق لنعرف رجاله وليس معرفة الحق بالرجال.

٥- ولكن ما يؤسف له أن الإخوان المسلمين وقعوا بعد صدور هذا الكتاب في أخطاء عظيمة وسقطات عقائدية، وأصدروا في ذلك بيانات، منها بيان بعنوان (بيان للناس من الإخوان المسلمين)(١٦٣)، وبدؤوا يتحدثون عن فقه جديد لا يعرفه علماء الإسلام. سووا فيه بين المسلمين وغيرهم في كل حقوق المواطنة المادي منها والمعنوي، المدني منها والسياسي، وقد رد عليهم أخونا أحمد عبد السلام شاهين في كتابه (فتح الرحمن في الرد على بيان

(١٦٢) أيمن الظواهري: الحصاد المر الإخوان المسلمون وستين عاما – الخاتمة – ثالث عشر – فقرة ج – ص ١١٩.
(١٦٣) جريدة الشعب: ٢ ذي الحجة ١٤١٥ هـ.

الإخوان). وقد صرح الإخوان في بيان سابق للبيان المذكور آنفاً[١٦٤] أنهم يرون أن للنصارى **الحق** في تولي كل وظائف الدولة ما عدى منصب رئيس الدولة (لماذا؟)، أي أنهم لا يرون غضاضة في أن يتولى رئاسة وزراء مصر نصراني!! ترى ولماذا لا يكون أيضا يهوديا؟ أليس في مصر مواطنون يهود؟ أم أن المسألة مسألة دعاية سياسية وليست مبادئ كما يزعمون؟

٦- وعلى مستوى الأحداث العظمى التي تمر بها الأمة المسلمة فإن عامة الإخوان وبخاصة إخوان مصر لا يرضون بغير السلبية وترك الجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام، بعد كل الكوارث التي حلت بأمتنا واحتلال الأمريكان واليهود لأراضينا وطغيان الحكام العملاء وعدوانهم على المسلمين.

٧- لذا فإن على شباب الإخوان المسلمين أن يقوموا بنهضة تصحيحية داخل تجمعات الإخوان المسلمين ليؤكدوا على العودة إلى العقيدة الصافية عقيدة السلف الصالح، وعلى الالتزام بالأحكام الشرعية الثابتة، وترك الاختراع والتأليف فيما يسمونه (بالفقه الجديد)، والوقوف صفا واحدا مع إخوانهم المجاهدين في كل مكان.

٨- وعلى شباب الإخوان أن يدركوا أن الهجمة الصليبية الجديدة لن ترضى عنهم حتى يدخلوا في ملة الكفر وأن كل حيل السياسة والمداهنة لن تغني شيئا، وأن من الخير لشباب الإخوان أن يحملوا سلاحهم و يدافعوا عن دينهم في شرف وعزة، بدلا من أن يعيشوا أذلاء في إمبراطورية النظام العالمي الجديد.

٩- إن قوى الجهاد اليوم تتجمع وتشكل واقعا جديدا خاض المعارك ضد دولة الكفار الغربيين وعملائهم المحليين في مصر وليبيا والجزائر وفلسطين وأفغانستان والبوسنة والشيشان وأوزباكستان وطاجيكستان وغيرها، ولا يعقل أن يظل شباب الإخوان وخاصة في مصر على مقاعد المتفرجين والأمة من حولهم تتغير وتتطور وتتقدم.

(١٦٤) بيان للإخوان بتاريخ ٣٠-٢-١٤١٥ هـ، جريدة الحياة: ص ٥، عدد ١١٤٩٤.

الجزء الثالث

مستقبل الحركة الجهادية

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ، وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }إبراهيم ١٣ – ١٤.

فيا قلب صبرا إن جزعت فربما   جرت سنحا طير الحوادث باليمن

فقد تورق الأغصان بعد ذبولها   ويبدو ضياء البدر في ظلمة الوهن

(محمود سامي البارودي)

*   *   *

والآن آن لنا أن نستشرف مستقبل الحركة الجهادية في مصر خاصة وفي العالم عامة.

١– ظواهر تتشكل:

يستطيع أي مراقب محايد أن يلمح عدة ظواهر في عالمنا الإسلامي عامة وفي مصر خاصة منها:

أ– عالمية المعركة:

فالقوى الغربية المعادية للإسلام حددت عدوها بوضوح وهو ما تسميه بالأصولية الإسلامية ودخل معها في هذا الحلف عدوتهم القديمة روسيا، واتخذوا عدة أدوات لمحاربة الإسلام منها:

(١) الأمم المتحدة.

(٢) الحكام الموالون لهم والحاكمون لشعوب المسلمين.

(٣) الشركات متعددة الجنسيات.

(٤) أنظمة الاتصال الدولية وتبادل المعلومات.

(٥) وكالات الأنباء العالمية وقنوات الإعلام الفضائية.

(٦) منظمات الإغاثة الدولية التي تستخدم ستارا للجاسوسية والتبشير وتدبير الانقلابات ونقل الأسلحة.

وفي مقابل هذا الحلف يتشكل حلف جهادي من حركات الجهاد في بلاد الإسلام المختلفة والدولتين اللتين حررتا باسم الجهاد في سبيل الله (أفغانستان والشيشان)، وإذا كان هذا الحلف الجهادي لا يزال في بواكيره الأولى وإرهاصاته البادئة فإن تناميه يتزايد بتسارع ويتضاعف باطراد، وخطورة هذا الحلف أوضح من أن تشرح، وأثره أخطر من أن يوضح، وخوف الغرب منه مسيطر على تفكيره ومستفز لأعصابه ومقلق لمراصده.

فهو قوة تنمو وتتجمع تحت راية الجهاد في سبيل الله خارج قانون النظام العالمي الجديد، متحررة من العبودية للإمبراطورية الغرب المسيطرة، ومنذرة للحملة الصليبية الجديدة على ديار الإسلام بالويل والثبور، ومتحفزة للانتقام من رؤوس التجمع الكفري العالمي، أمريكا وروسيا وإسرائيل، ومتحرقة للثأر لدماء الشهداء وفجائع الثكالى وحرمان الأيتام ومعانات المعتقلين وقروح المعذبين على امتداد ديار الإسلام من تركستان الشرقية إلى الأندلس.

إن هذا العصر يشهد ظاهرة جديدة مستمرة متزايدة، إنها ظاهرة الشباب المجاهد الذي ترك أهله وبلده وثروته ودراسته ووظيفته وهاجر بحثا عن ميادين الجهاد في سبيل الله.

ب- لا حل إلا بالجهاد:

مع ظهور هذه الطائفة الجديدة من الشباب المجاهد الذين طال غيابهم في واقع الأمة، يزداد بين كل أبناء الإسلام الحريصين على نصرته، وعي جديد خلاصته: **ألاّ حل إلا بالجهاد**. وقد ساعد في انتشار هذا الوعي فشل كل الوسائل الأخرى التي حاولت أن تهرب من تحمل عبئ الجهاد، وكانت تجربة الجزائر درسا قاسيا في هذا الصدد، أثبتت للمسلمين أن الغرب ليس فقط كافرا ولكنه أيضاً كاذب ومنافق، فمبادئه التي يتشدق بها حكر عليه وحده، وملك خاص به، لا يجب أن تشاركه فيها شعوب الإسلام إلا كما يشارك العبد سيده في الفتات المتبقي من طعامه.

لقد تعامت جبهة الإنقاذ في الجزائر عن أصول العقيدة وحقائق التاريخ وثوابت السياسة وموازين القوة وقوانين السيطرة، واندفعت نحو صناديق الانتخاب لتدلف منها إلى قصور الرئاسة ومقار الوزارة، ولكن على أبوابها كانت الدبابات بانتظارها، وقد وجهت مدافعها المحشوة بالذخيرة الفرنسية إلى صدور الذين نسوا سنن المواجهة بين الحق والباطل، فأعادتهم نيران الضباط المتفرنسين إلى أرض الواقع بعد أن حلقوا في سماء الأوهام.

يقول المولى عز وجل: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ، اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }التوبة ٨ – ١٠ إلى قوله تعالى: {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ}التوبة ١٣.

لقد ظن رجال الجبهة أن بوابات الحكم قد فتحت لهم وفوجئوا بمن يزج بهم عبر بوابات المعتقلات والسجون إلى زنازين النظام العالمي الجديد.

ومما ساعد على الوصول إلى نتيجة: **(ألا حل إلا بالجهاد)**، شراسة وتعسف الحملة الصليبية اليهودية الجديدة التي تعامل أمة الإسلام بغاية الاحتقار وتنهب مقدساتها وأرضها وثرواتها بنهم وجشع حيواني شره.

فإذا بالإنسان المسلم عامة والعربي خاصة وقد ضاع منه كل شيء وتهدد منه كل عزيز.

و أصبحنا كالأيتام في مأدبة اللئام.

ومما ساعد على انتشار الوعي بأن **(ألا حل إلا بالجهاد)** جهد الجماعات الجهادية والدعاة الصادقين والعلماء المناضلين في توعية الأمة بإسلامها ودينها وواقعها، وانتشار الصحوة الإسلامية عامة بين طوائف الأمة وشرائحها المتعددة، لذا فإن كل المراقبين – الأصدقاء منهم والأعداء – يسلمون بتزايد صحوة عقائدية جهادية جديدة، تعتقد بجزم وحزم ألا حل إلا بالجهاد.

ولعل سائلا أن يسأل: ألا ترى أنك تناقض نفسك، فمنذ قليل تحدثنا عن تسرب اليأس إلى بعض قيادات الحركة الجهادية والآن تحدثنا **عن** صحوة جهادية منتشرة؟

الجواب بسيط: إن كل الحركات تشهد عملية من التآكل والتجدد ولكن المحصلة العامة هي التي تحكم على مسيرة الحركة بالانقراض أو النماء، والحركة الجهادية في نماء وازدهار

(بفضل الله) رغم ما **يطرأ** على حوافها من تآكل كما يطرأ على كل الكائنات الحية التي تنموا وتتجدد. أما مصير هذه المبادرة المذكورة آنفا وأمثالها فإلى متاحف التاريخ، بجانب كل الدعوات التي قامت على التسهيل الحكومي والرعاية الرسمية، وليس غريبا أن تجدها بعد قليل في متحف التاريخ إلى جانب الإتحاد الاشتراكي والحزب الوطني ورابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢- واجبات تتأكد:

أ- يجب على الحركة الإسلامية عامة والجهادية خاصة أن تربي نفسها وأبناءها على **الثبات والصبر والصمود والتمسك بالمبادئ والثوابت وعلى القيادة أن تضرب القدوة والمثل لأتباعها** فهذا هو مفتاح النصر. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }آل عمران ٢٠٠.

أما إذا بدأت علامات التراخي والتراجع تظهر على القيادة، فعلى الحركة أن توجد من الوسائل ما يمكنها أن تقوّم قيادتها، وألا تسمح لها بالخروج عن خط الجهاد.

إن الولاء للقيادة والاعتراف بسبقها وفضلها واجب لابد أن يؤكد، وقيمة يجب أن تترسخ، أما إذا تعدى الولاء للقيادة إلى تقديسها، وتجاوز الاعتراف بفضلها وسبقها إلى إسباغ العصمة عليها، فحينئذ ستصاب الحركة بالعمى المنهجي، ويمكن لأي خلل في القيادة أن يؤدي إلى كارثة تاريخية ليس على مستوى الحركة فقط بل – ربما – على مستوى الأمة كلها.

وهنا تبرز أهمية قضية القيادة في العمل الإسلامي عامة والعمل الجهادي خاصة، وتبرز – أيضاً – مدى حاجة الأمة إلى قيادة علمية مجاهدة واعية تقودها خلال العواصف والأعاصير إلى هدفها بوعي وحكمة، دون أن تضل طريقها أو تخبط على غير هدى، ناهيك أن تنقلب على عقبيها، وألا تسلم الأمة قيادها إلى تلك القيادة؛ إلا إذا أثبتت هذه القيادة تميزها بعطائها وتضحيتها ووضوح هدفها وريادتها في مواجهة الظالمين والدفاع عن المظلومين.

ب- ويجب عليها أيضا أن تدرك أن **حب الموت في سبيل الله** هو السلاح الذي يعجز أعداؤها عن التصدي له.

ج- تجييش الأمة وإشراكها في الصراع والحذر من صراع النخبة مع السلطة:

يجب على الحركة الجهادية أن تقترب من الجماهير وتدافع عن حرمتها، وتدفع الظلم عنها، وترشدها إلى طريق الهداية، وتقودها إلى النصر، وتتقدم أمامها في ميدان التضحية، وأن تجتهد في إيصال قضيتها إليها بأسلوب يجعل الحق ميسورا لكل طالب وليس مستغلقاً عن كل راغب، وأن تجعل الوصول إلى أصول الدين وحقائقه مبسطا خالياً من غلو المصطلحات وتقعر التركيبات.

ويجب على الحركة الجهادية أن تفرغ جناحا منها للعمل الجماهيري، والدعوة وسط الأمة ولتقدم الخدمات للشعب المسلم ولمشاركة الناس في همومهم بكل أوجه العمل الخيري والتعليمي المتاحة، **يجب ألا نترك مساحة متاحة إلا ونملأها، وأن نكسب ثقة الناس ومحبتهم واحترامهم، ولن يحبنا الناس إلا إذا أحسوا بحبنا لهم واهتمامنا بهم ودفاعنا عنهم.**

وبإيجاز يجب أن تخوض الحركة الجهادية المعركة وهي وسط الأمة وأمامها وأن تحذر كل الحذر من أن تنعزل عن أمتها وتخوض ضد الحكومة معركة الصفوة ضد السلطة. ويجب ألا نلقي باللوم على الأمة لأنها لم تستجب ولم ترتفع ولم تتزكى دون أن نلقي على أنفسنا بالمسئولية لأننا لم نبلغ ولم نترفق ولم نضح.

إن على الحركة الجهادية أن تحرص على أن تشرك الأمة المسلمة معها في جهادها من أجل التمكين، ولن تشارك الأمة المسلمة معها إلا إذا أصبحت شعارات المجاهدين مفهومة لدى جماهير الأمة المسلمة، لذا يجب على الحركة الجهادية أن تتخلى عن الاقتصار على خوض المعركة تحت شعار الحاكمية والولاء والبراء فقط، فإن هذه الشعارات وللأسف ليست مفهومة لدى جماهير الأمة التي لا تجد نفسها مستعدة للتضحية من أجل شعارات لا تفهمها حتى وإن كانت هذه الشعارات صحيحة مائة بالمائة، لذا يجب علينا الاستمرار في دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد الخالص بأركانها الأساسية، الحاكمية والولاء والبراء بلا ريب، ولكن يجب أن نعلم أن هذه الشعارات تفهمها النخبة من الشباب المسلم، وأن هذا الفهم وإن كان سريع الانتشار إلا أنه حتى يؤتي ثمرته بين جمهور الأمة فلا بد من الانتظار والصبر على الدعوة إليه وقتا طويلاً.

ومن الواضح أن أعداءنا لن يمهلونا كل هذا الوقت الذي نحتاجه لتربية الأمة، لذا يجب علينا أن نضيف إلى شعاراتنا العقائدية الخالصة شعارات أخرى هي من الحق الخالص أيضا، ولكن هذه الشعارات مفهومة لدى جماهير الأمة المسلمة، أي أننا بتعبير آخر بدلا من أن نعتبرها شعارات من الدرجة الثانية في الأهمية يجب أن ندفع بها إلى الأمام لتتصدر دعوتنا جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى التوحيد الخالص والعقيدة الصافية.

والشعار الذي تفهمه جماهير الأمة المسلمة جيدا وتتجاوب معه – منذ خمسين عاما – هو شعار الدعوة إلى جهاد إسرائيل، وفي هذا العقد أصبحت الأمة معبأة – بالإضافة إليه – ضد الوجود الأمريكي في قلب العالم الإسلامي، وأظهرت تجاوبها مع الدعوة لجهاد الأمريكان أيما تجاوب.

إن نظرة واحدة إلى تاريخ المجاهدين في أفغانستان وفلسطين والشيشان تظهر أن الحركة الجهادية أصبحت في قلب قيادة الأمة لما تبنت شعارات تحرير الأمة من أعدائها الخارجيين، وأظهرته على أنه معركة الإسلام ضد الكفر والكفار، والعجيب أن العلمانيين الذين جلبوا الكوارث على الأمة المسلمة وخاصة في ميدان الصراع العربي الإسرائيلي، والذين بدؤوا مسيرة الخيانة باعترافهم بإسرائيل منذ اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩م كما بينا، هم أكثر الناس حديثا عن قضية فلسطين.

والأعجب أن المسلمين وهم أكثر الناس تضحية في سبيل القدس، وهم الذين تمنعهم عقيدتهم وشريعتهم من التفريط في أي جزء من فلسطين أو الاعتراف بإسرائيل كما بينا آنفا، وهم أقدر الناس على قيادة الأمة في جهادها ضد إسرائيل، هم أقل الناس تبنيا لقضية فلسطين ورفع شعاراته وسط الجماهير.

وفرصة الحركة الجهادية لقيادة الأمة نحو الجهاد لتحرير فلسطين أصبحت مضاعفة الآن، فكل التيارات العلمانية التي كانت تزايد على قضية فلسطين وتزاحم الحركة الإسلامية على قيادة الأمة في تلك القضية قد انكشفت الآن – أمام الأمة المسلمة – باعترافها بحق إسرائيل في الوجود، وبتبنيها لأسلوب المفاوضات والتزام القرارات الدولية من أجل تحرير ما تبقى – أو ما تسمح به إسرائيل – من فلسطين، واختلافها في ما بينها فقط عن حجم الفتات الذي ستلقي به إسرائيل للمسلمين والعرب.

إن الحقيقة التي يجب التسليم بها هي أن قضية فلسطين هي القضية التي تلهب مشاعر الأمة المسلمة – منذ خمسين عاما – من المغرب إلى إندونيسيا، ليس هذا فحسب بل هي القضية التي يجتمع عليها العرب بأكملهم مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم، وهي أيضا قضية دينية مائة بالمائة سواء من منظورنا أو من منظور اليهود، مهما حاول إعلام أنظمتنا أم إعلام الغرب أن يصرفنا عن ذلك.

واستطرادا في هذا السياق يجب علينا أن نؤكد على الأهمية البالغة لقضية تحرير الحرمين لدى الأمة المسلمة، ومدى حساسية هذه القضية في قلوب المسلمين عوامهم وخواصهم، إن هذه القضية سلاح ماض في يد الحركة الإسلامية المجاهدة، تفرط أيما تفريط إذا قصرت في

حمل عبئه، وتقصر أيما تقصير إذا ما توانت عن قيادة الأمة في الجهاد من أجله، وهي أولى القوى – إن لم تكن الوحيدة – المهيأة لذلك.

لذا يجب على الحركة الإسلامية المجاهدة أن ترفع شعار تحرير المقدسات الإسلامية الثلاثة: الكعبة المشرفة والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى المبارك، بهذا تجتمع لها أزمة قيادة الأمة المسلمة وتلتف حولها قلوب المسلمين في بقاع الأرض.

ولو لم تجيش الحركة الإسلامية المجاهدة الأمة معها في صراعها من أجل التمكين للإسلام فسوف تعزل نفسها ويتحول صراعها إلى صراع النخبة والسلطة، وفي هذا الصراع يسهل على الحكام العملاء أن يسحقوا الحركة الإسلامية في صمت، وقد يستطيعون بإعلامهم الكاذب وموظفيهم المعممين أن يستعدوا الجماهير عليها فتلعنهم وهم يضحون من أجل كرامتها، وتتبرأ منهم وهم يموتون من أجل عقيدتها، ولو لم تجيش الحركة الإسلامية الأمة وراءها فسوف تخوض المعركة وهي مقطوعة عن الإمداد، ومبتوتة عن التجديد، ومفصولة عن التأييد فتزيد بذلك على ضعفها ضعفا وعلى وهنها وهنا.

والحركة الإسلامية المجاهدة بالإضافة لتمسكها بدعوتها إلى التوحيد الخالص والعقيدة الصافية وأصول الاعتقاد كالحاكمية لله وحده والولاء والبراء فإنها أيضا تستطيع وبكل سهولة ويسر أن تشرح هذه القضايا للجماهير عبر جهادها العملي من خلال شعاراتها لجهاد اليهود والأمريكان والدفاع عن المقدسات الثلاثة.

فتستطيع الحركة الإسلامية المجاهدة أن تشرح لجمهورها أن قيامها بالجهاد في سبيل الله ضد اليهود والأمريكان ما هو إلا تطبيق لعقيدة الحاكمية التي تلزم المسلم أن يخضع لما شرعه الله سبحانه وحده فقط، إذ هو صاحب الحق في التشريع دون منازع سبحانه وتعالى، وأن الشريعة التي أنزلها سبحانه هي التي يفرض على المسلمين الدفاع على المقدسات الثلاثة، وأن السبب في أن العلمانيين الذين يحكمون بلاد المسلمين قد سلموا بوجود إسرائيل ورضوا بحل مشاكلهم معها سياسيا وقبلوا بالفتات من فلسطين، أن هؤلاء العلمانيين لا يدينون بالحاكمية لله وحده وإنهم يتلقون قيمهم وعقائدهم وبالتالي أحكامهم من أصول مختلطة يدخل فيها الهوى و الرؤية اللاشرعية للمصلحة..الخ.

وتستطيع الحركة الإسلامية المجاهدة أن تشرح قضية الولاء والبراء لجماهير الأمة المسلمة عبر مثال عملي واقعي وهو جهادها ودعوتها للجهاد ضد إسرائيل وأمريكا لتحرير مقدسات الأمة، فعبر هذا الجهاد ستتكشف مواقف الحكام العملاء وأشياعهم من علماء السلطان والكتاب والقضاة وأجهزة الأمن، وهنا تثبت الحركة الإسلامية تلبسهم بالخيانة أمام جماهير

الأمة المسلمة، وتثبت للأمة أن الذي حملهم على ذلك ما هو إلا شرك في العقيدة حيث أنهم والوا أعداء الله على أوليائه، وعادوا المجاهدين بسبب إسلامهم وجهادهم خدمة لأعداء الأمة من اليهود والنصارى، وأنهم بذلك قد ارتكبوا ناقضا من نواقض التوحيد حيث أنهم ظاهروا المشركين على المسلمين بسبب إسلامهم.

على الحركة الجهادية أن تقدم المثال العملي **في جعل مصر لهيبا تحت أقدام اليهود والأمريكان**. إن تتبع الأمريكان واليهود ليس عملا مستحيلا، وإن **قتلهم بطلقة رصاص أو طعنة سكين أو عبوة أو خليط شعبي أو ضربهم بقضيب من حديد ليس أمرا مستحيلا، وإن إحراق ممتلكاتهم بزجاجات المولوتوف ليس أمرا عسيرا، إن المجموعات الصغيرة بالوسائل المتاحة يمكنها أن تشكل رعبا مفزعا للأمريكان واليهود على أرض مصر.**

د- ويجب على الحركة الإسلامية عامة والجهادية خاصة أن تخوض معركة **توعية الأمة**:

- بكشف الحكام العملاء المحاربين للإسلام الخارجين عنه.

- وبتبيين الفرضية العينية في جهاد الحكام العملاء وسادتهم في واشنطن و موسكو وتل أبيب.

- وبإبراز أهمية الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين في عقيدة المسلم.

- وبتحميل كل مسلم المسئولية في الدفاع عن الإسلام ومقدساته وأمته ودياره.

- وبالتحذير من علماء السوء وعمائم السلطان، وبتذكير الأمة بحق علماء الجهاد وأئمة التضحية عليها، وواجبها في نصرتهم وحمايتهم وتوقيرهم والاقتداء بهم والدفاع عنهم.

- وبكشف فداحة الاحتلال الذي ترزح تحته أمتنا ومدى العدوان على عقيدتنا ومقدساتنا ومدى النهب الذي تتعرض له ثرواتنا.

هـ - عدم التخلي عن هدف إقامة الدولة المسلمة في قلب العالم الإسلامي:

ولا بد أن تبني الحركة الجهادية خطتها على أساس السيطرة على بقعة من الأرض في قلب العالم الإسلامي تقيم دولة الإسلام فيها وتستطيع حمايتها وتخوض منها معركتها لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة. فكما أن النصر لا يتحقق للجيوش إلا باحتلال المشاة للأرض، فكذلك النصر للحركة الإسلامية المجاهدة لن يتحقق ضد التحالف العالمي الكفري

إلا بامتلاكها لقاعدة في قلب العالم الإسلامي، وكل ما استعرضناه من وسائل وخطط لحشد الأمة وتجييشها سيظل معلقا في الهواء دون نتيجة ملموسة وعائد مشاهد ما لم يؤد إلى إنشاء دولة الخلافة في قلب العالم الإسلامي.

لقد خاض نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي **(رحمة الله عليهما)** عشرات المعارك حتى استطاع نور الدين تخليص دمشق من أيدي المنافقين ثم توحيد الشام تحت قيادته، وأرسل صلاح الدين إلى مصر فخاض المعارك تلو المعارك حتى أخضع مصر لسلطانه ثم بعد أن توحد سلطان الشام ومصر لصلاح الدين بعد وفاة نور الدين (رحمة الله عليه) استطاع السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي (رحمة الله عليه) الانتصار في حطين ثم فتح بت المقدس وعندئذ بدأ التاريخ يدور دورته على الصليبيين.

إن العمليات الناجحة ضد أعداء الإسلام والنكايات الفادحة فيهم إن لم تصب في مخطط يهدف إلى إقامة الدولة المسلمة في قلب العالم الإسلامي فلن تعدو مهما كانت من ضخامتها أن تكون عمليات إزعاج يمكن استيعابها وامتصاص آثارها ولو بعد وقت وبشيء من الخسائر.

إن إقامة الدولة المسلمة في قلب العالم الإسلامي ليس هدفا سهلاً ولاً مغنماً قريباً ولكنه أمل الأمة المسلمة في عودة خلافتها بعد أن سقطت وإعادة مجدها بعد أن ذهب.

وهذا الهدف يتطلب منا أن نهيئ أنفسنا للتضحيات العظام و للبذل المتواصل وللعطاء الممتد إلى أجيال عديدة، وأن ننسى أنفسنا وذواتنا طاعة لله، وأن ننكر نزعات نفوسنا في سبيل الله وعملا على نصرة الإسلام، إن الغرب الصليبي يغذوه الحقد اليهودي لن يسلم لنا قلب العالم الإسلامي دون ملاحم ومعارك يشيب لها الولدان، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن نشارك في إرهاصات هذه المعامع فنسأله سبحانه – برحمته التي وسعت كل شيء – أن يمد في أعمارنا حتى نرى نصره لعباده المؤمنين فيها.

و- وإذا كان هدف الحركة الجهادية في قلب العالم الإسلامي عامة ومصر خاصة هو إحداث التغيير بإزاحة النظام المعادي للإسلام وإقامة الدولة المسلمة، فعليها **ألا تتعجل الصدام وألا تستبطئ النصر**. فعن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو

عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".(١٦٥)

وعلى الحركة المجاهدة أن تصبر على البناء حتى تستوفي أركانه، وتحشد من الإمكانيات والأنصار والخطط ما يمكنها أن تخوض المعركة في الزمان والمكان اللذان تختارهما.

ولكن يرد هنا سؤال في غاية الأهمية والخطورة وهو: ماذا لو تعرضت الحركة لانكشاف أعضائها أو خططها، أو لاعتقال أفرادها، وصار وجود الحركة مهددا، وبدأت حملة الاعتقالات والمداهمات تلتهم أفرادها وأموالها وإمكانياتها وقياداتها؟ هنا يجب على الحركة أن تسأل نفسها سؤالا محددا ثم تجيب عليه إجابة واضحة، هل يمكن أن تختفي من أمام العاصفة، وتنسحب من الميدان بأقل خسائر؟ أم أن الصبر غير مجد، ولا يعني إلا الهزيمة التامة، ولا مجال للانسحاب؟أو ربما كانت الإجابة مزيجا من الاحتمالين الآنفين، أي أنها يمكنها أن تسحب بعض قياداتها وأفرادها بأمان، ولكن جزء منها معرض للأسر والبطش.

والإجابة في رأيي: هو أن تسحب الحركة من تستطيع أن تسحبهم بأمان إلى مأمنهم دون تردد أو تلكؤ أو ركون إلى الأوهام، فإن أخطر ما يواجه من يضيق عليه الحصار هو قرار الهرب، فمن أقسى الأمور على النفس ترك الأهل والوظيفة والمنصب والنمط المستقر في الحياة إلى المجهول والقلق والعيش المتقلب.

لكن ما أن يغلق على الأسير باب الزنزانة حتى يتمنى لو أمضى عمره مشردا بلا مأوى بدلا من هوان الأسر ومذلته، وأشد ما في الأسر من هوان إرغام المجاهد الحر تحت وطأة التعذيب على الاعتراف على إخوانه، وإكراهه على تدمير حركته بيده، وأن يرى بأم غيبنه مجهود السنين وهو يتطاير كالرماد في مهب الريح تحت شدة ألم التعذيب، وأن يقدم بنفسه أسراره وأسرار إخوانه الأحرار الأعزاء إلى أعدائه العملاء السفلة المأجورين.

أما إذا قدر للحركة كلها – أو جزء منها – أن تواجه موقف قد أحكم فيه الحصار عليها، وأصبح سقوطها مسألة أيام أو ساعات، فحينئذ يجب على الحركة، أو على هذا الجناح منها، أن يبادر بخوض معركة الصدام ضد النظام الغاشم حتى لا يؤسر أو يقتل بغير ثمن.

ولكن كيف وضد من يخوض هذا الصدام؟

---

(١٦٥) صحيح البخاري: حديث رقم ٣٤١٦، ص ١٣٢٢، نشر دار ابن كثير، الطبعة الثالثة١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م بيروت.

هنا علينا أن نستعيد ما أوضحناه من طبيعة تركيب النظام العالمي المعادي للإسلام وعلاقته بالأنظمة الحاكمة في بلادنا، وما أكدناه من وجوب حشد الأمة في معركة الإسلام ضد الكفر، وما حذرنا منه من خطورة أن تقتل الطليعة المسلمة في صمت في معركة النخبة أو القوة ضد السلطة.

لذا فإذا جرتنا القوى الظالمة إلى معركة في وقت لا نريده، فعلينا أن نرد في الميدان الذي نريده ألا وهو: ضرب الأمريكان واليهود في بلادنا. وهنا نكسب ثلاث مرات:

الأولى: حين نوجه الضربة إلى السيد الكبير الذي يحتمي بعميله من ضرباتنا.

والثانية: حين نضم الأمة إلى صفنا باختيارنا لهدف تؤيد ضربه وتتعاطف مع من يضربه.

ونكسب **مرة ثالثة**: بكشف النظام أمام الشعب المسلم حين ينقض علينا دفاعا عن سادته الأمريكان واليهود، مظهرا وجهه القبيح، وجه الشرطي الأجير المتفاني في خدمة المحتلين أعداء الأمة المسلمة.

ز- وإذا كان هدفنا هو التغيير الشامل للوضع في مصر، وإذا كان طريقنا –كما بين لنا القرآن وكما علمنا تاريخنا- طريق طويل من الجهاد والتضحيات، فعلينا **ألا نيأس من تكرار الضربات وتعدد النكبات، وألا نلقي السلاح مهما واجهنا من خسائر وتضحيات**. يقول الله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ }آل عمران ١٤٦.

ولنعلم أن كل محاولة لإقامة حكم الله في مصر – حتى وإن فشلت – تحدث نكاية وخسارة في أعداء الله {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً }النساء ١٠٤.

ولنعلم أن الدول لا تسقط فجأة ولكنها تسقط بالمدافعة والمغالبة، ولنبدأ البناء من جديد بعد كل ضربة حتى لو اضطررنا أن نبدأ من الصفر، ولكننا في الحقيقة لا نبدأ أبدا من الصفر، فالنصر هو حصيلة تراكم جهود الأجيال، وما قد يبدوا هزيمة في مرحلة من المراحل يمكن أن يكون شرارة البدء ومشعل الهداية في مرحلة تالية، ففي القفقاز هُزم الإمام المجاهد الشيخ شامل (رحمة الله عليه) على يد الجيش الروسي القيصري، وعاش الإمام شامل (رحمة الله عليه) منفيا في المدينة المنورة حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى، ثم جاءت الثورة الشيوعية

فسحقت مسلمي القفقاز سحقا، ولكن شرارة الجهاد التي أشعلها الإمام شامل (رحمة الله عليه) لم تطفئها عقود متوالية من القمع والتنكيل والقتل الجماعي والتهجير القسري والإبادة الشاملة، فما أن سقط الإتحاد السوفيتي إثر هزيمته على يد المجاهدين الأفغان حتى اشتعلت جذوة الجهاد من جديد في القفقاز مترسمة طريق الإمام شامل (رحمة الله عليه) ومتخذة منه قدوة وأسوة.

ح- لابد للحركة الإسلامية وطليعتها الجهادية، بل ولا بد للأمة الإسلامية كلها **من أن تُدخل أكابر المجرمين: أمريكا وروسيا وإسرائيل في المعركة**، ولا تتركهم يديرون المعركة – بين الحركة الجهادية والأنظمة العميلة – من بعد وهم سالمون، بل يجب عليهم أن يدفعوا – ويدفعوا غاليا – ثمن دعمهم لأنظمة القهر والبطش والفساد.

إن السادة في واشنطن يستخدمون هذه الأنظمة لتحمي مصالحهم ولتخوض بدلا عنهم المعركة القذرة ضد المسلمين، فإذا وصلت شظايا المعركة إلى بيوتهم وأجسادهم فحينئذ سيتبادلون الاتهامات مع عملائهم عمن المقصر في دوره؟ وسيكونون حينئذ بين خيارين – أحلاهما مر – إما أن يخوضوا المعركة بأنفسهم ضد المسلمين لتتحول المعركة إلى جهاد واضح ضد الكفار، وإما أن يبدؤوا في مراجعة خطتهم من جديد بعد أن يسلموا بفشل المواجهة العنيفة الغاشمة ضد المسلمين.

لذلك علينا أن **ننقل المعركة إلى أرض العدو** حتى تحترق أيدي من يشعلون النار في بلادنا.

ط – **لا يمكن خوض الصراع من أجل إقامة الدولة المسلمة على أنه صراع إقليمي:**

فقد اتضح مما سبق أن التحالف الصليبي اليهودي الدولي بزعامة أمريكا لن يسمح لأية قوة مسلمة بالوصول للحكم في أي من بلاد المسلمين، وأنه سيحشد كل طاقاته لضربها وإزالتها من الحكم إن تمكنت من الوصول، وأنه تحقيقا لذلك سيفتح عليها ميدانا للمعركة يشمل العالم كله، بل وسيفرض على كل من يساعدها العقوبات هذا إن لم يشن عليهم الحرب، ولذا فإننا تكيفا مع هذا الوضع الجديد يجب أن نعد أنفسنا لمعركة لا تقتصر على إقليم واحد بل تشتمل العدو الداخلي المرتد والعدو الخارجي الصليبي اليهودي.

ي – **لا يمكن تأجيل الصراع مع العدو الخارجي:**

ويتضح مما سبق أن التحالف اليهودي الصليبي لن يمهلنا حتى نهزم العدو الداخلي ثم نعلن الجهاد عليه بعد ذلك، بل إن الأمريكان واليهود وحلفاءهم موجودون الآن بقواتهم داخل بلاد المسلمين كما أشرنا من قبل. فقد عاد الاحتلال التقليدي بالقوات مرة أخرى إلى الظهور حفاظا على مصالحه بعد ازدياد التهديد من الصحوة الإسلامية المنتشرة باطراد في بلاد المسلمين.

ك – **التوحد أمام العدو الواحد:**

ولابد للحركة الجهادية أن تدرك أن نصف الطريق إلى النصر تبلغه بوحدتها واتحادها وارتفاعها عن الصغائر، وبإنكار الذات وتعظيم مصالح الإسلام على نزعات النفوس.

ولعله قد اتضح الآن أكثر من أي وقت مضي أهمية الوحدة للحركة الإسلامية المجاهدة، إن على هذه الوحدة أن تبني وحدتها بأسرع ما يمكن إذا كانت جادة في السعي للنصر.

ل – **الالتفاف حول الدول المجاهدة وتأييدها:**

لا شك أن دعم ومساندة أفغانستان والشيشان والدفاع عنهما باليد واللسان والرأي هو واجب الوقت، لأنهما رأس مال الإسلام في هذا الزمان، والحملة الصليبية اليهودية قد توحدت كما رأينا لسحقهما، إلا أننا لا يجب أن نكتفي بالمحافظة عليهما فقط، بل يجب أن نسعى لنقل ميدان المعركة إلى قلب العالم الإسلامي الذي يمثل ميدان المعركة الحقيقي ومسرح المعارك الكبرى دفاعا عن الإسلام.

وفي هذا الصدد فإن هاتين القلعتين الصامدتين قد لا تساعداننا كثيرا نظرا لظروف كثيرة؛ ضغوط هائلة وضعف ظاهر، ولذا يجب أن نحل المشكلة بأنفسنا بعيدا عن تعريضهما للضغط والضرب، وقد تكون هذه من معضلات الحركة الجهادية، ولكن حلها ليس مستحيلا، بل هو على صعوبته ممكن بعون الله { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً }الطلاق٢.

م – **تغيير أسلوب النكاية والضرب:**

على الحركة الإسلامية المجاهدة أن تصعد من أساليب ضربها ووسائل مقاومتها لأعدائها لكي تقابل الزيادة الهائلة في حجم أعدائها ونوعية أسلحتهم وفي قدراتهم التدميرية وفي استهانتهم بكل المحرمات وتناسيهم حتى لأعراف الحروب والصراعات، ونحن هنا نركز على ما يأتي:

(١) الحرص على إحداث أكبر خسائر في الخصم وإنزال أضخم إصابات في أفراده، فهذه اللغة التي يفهمها الغرب مهما تكلف إعداد مثل هذه العمليات من جهد ووقت.

(٢) التركيز على أسلوب العمليات الإستشهادية بوصفها أنجح الأساليب في النكاية في الخصم، وأقلها خسائر للمجاهدين.

(٣) يجب اختيار الأهداف ونوع ووسيلة السلاح بحيث تؤثر على مفاصل بنيان العدو، وتردعه ردعا يكفه عن بطشه واستكباره واستهانته بكل المحرمات والأعراف، ويعود بالصراع إلى حجمه الحقيقي.

(٤) تأكيدا على ما سبق شرحه نعود فنؤكد على أن الاقتصار على العدو الداخلي فقط لن يجدي في هذه المرحلة.

ن – **إبراز دور العلماء ونشر دعوة المجاهدين منهم خاصة:**

أما عن دور العلماء عامة ودور الأزهر خاصة، فنحن هنا نؤكد باختصار على ما يلي:

(١) الالتفاف حول العلماء المجاهدين ونشر كلامهم بين الأمة.

(٢) احترام العلماء وتوقيرهم لأنهم رمز الإسلام، وإهانتهم يراد بها إهانة الإسلام.

(٣) أن تبرز الحركة الجهادية من بين أفرادها طلاب العلم الذين يتفرغون للدعوة لقضايا مقاومة التحالف الكفري بالقول والكتابة.

(٤) تحريض العلماء على القيام بدورهم الذي تنتظره الأمة: يجب علينا أن نسأل أنفسنا لماذا تراجع علماء الإسلام في مصر عن مقاومة السلطة؟

لقد كان هذا الدور قويا واضحا في تاريخ مصر حتى نهاية العصر المملوكي، فقد كانوا ملاذا للناس من ظلم الحكام وجبروتهم، وكان اعتصامهم بالأزهر وإيقاف التدريس به ودعوتهم لإغلاق الأسواق واعتصام الناس معهم من أقوى الأسلحة التي يرهبون بها الحكام ويردعونهم بها عن ظلمهم. فلماذا أخذ هذا الدور في الانحسار حتى وصل إلى ما نراه الآن؟ لقد تحول العلماء إلى عالة على الحكومة بعد أن كانوا قوامين عليها.

لماذا استطاعت الحكومة أن تجند طائفة من العلماء يدافعون عن فسادها ويسبغون الشرعية على انحرافها؟ ولماذا استطاع العلماء في بلاد أخرى أن يستمروا في استقلالهم ومقاومتهم لفساد الحكومة؟ ولم ينحسر دورهم هذا الانحسار؟

إن شدة البطش ليست كافية في تفسير هذا الانحسار، فقد كان العلماء من قبل يصمدون في وجه الظلم والبطش، ويعتزون باستقلالهم وحريتهم في مواجهة انحراف الحاكم وجوره، ثم أن الحاكم لا يبطش إلا بالضعيف المتهالك، أما الأقوياء المتماسكون فسيحاول الحاكم الفاسد أن يداهنهم حتى يجد ثغرة ينفذ منها ليفرقهم وحينئذ يبطش بهم.

فلم يبطش الحكام بالعلماء الأعزاء إلا بعد أن سكت معظم العلماء وتفرقوا ونكلوا عن التصدي للظلم، فضعف العلماء هو الذي شجع الحكام على البطش والجبروت.

فلماذا انهزم العلماء من داخلهم حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه؟.

ولماذا أصبحوا – بضعفهم – عاملاً مشجعاً للحكام على مزيد من الانحراف والتعدي؟

ثم السؤال الأهم وهو: كيف يمكن أن يعود العلماء إلى عزتهم التي فقدوها ومكانتهم التي تركوها؟

إن هذا السؤال من الخطورة والأهمية بمكان، لأنه أحد أهم العوامل في نهضة الأمة وعودتها إلى دينها.

ويجب أن يبذل العلماء وأهل الغيرة من المسلمين جهدا في البحث عن مخرج من هذا المأزق.

وأعتقد – والله أعلم – أن أهم وسائل العلاج هي الدعوة المستمرة الدؤوبة إلى احترام العلماء وإنزالهم في مكانتهم التي أمر بها الشرع بين طوائف الأمة، وفي نفس الوقت دعوة العلماء أنفسهم إلى العودة إلى دورهم المطلوب، وتحريضهم عن الدفاع عن الإسلام بدلاً من أن يكونوا عوناً لأعدائه.

وعلى أهل الغيرة من شباب الإسلام أن يقبلوا على طلب العلم الشرعي، حتى تتخرج لنا أجيال من العلماء الصادقين المدافعين عن دينهم.

ويجب علينا أن ننزع من نفوس العامة تلك العقدة التي زرعها المستعمر، أن المعلم أقل درجة في السلم الاجتماعي من المهني أو الطبيب أو المهندس وغيرهم. إن هذه العقدة قد استطاع المستعمر ثم من بعده إعلام حكومات الجور والقهر أن تحفرها في أعماق نفوسنا، وفي نفس الوقت يجب أن نغرس في نفوس المسلمين احتقار عالم السلطان المتسابق على أبواب الحكام، وأن نعظم في نفوسهم قدر العالم الزاهد المجاهد.

س – **المعركة معركة كل مسلم:**

والأمر الهام الذي يجب أن نؤكد عليه هو أن هذه المعركة – التي يجب أن نخوضها دفاعا عن عقيدتنا وأمتنا المسلمة ومقدساتنا وحرماتنا وأعراضنا وشرفنا وقيمنا وثرواتنا ومقدراتنا – هي معركة كل مسلم صغيرا كان أو كبيرا شابا كان أو شيخا. وهي معركة تتسع لتلمس كل منا في عمله وبيته وأولاده وكرامته، وهي أيضا من الاتساع والشمول بحيث لا تترك أي منا دون دور هام فيها، فالأم في بيتها عليها أن تحرص على تربية أبنائها على آداب الإسلام، وعلى تنشئة بناتها على الحجاب والعفة، والأب عليه أن يحرص على تحفيظ أولاده القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يمنع دخول أجهزة الإعلام الفاسدة المفسدة إلى بيته.

وعلى الأسرة المسلمة أن تلقن أبناءها حب الشهادة في سبيل الله، وأن تعلمهم معاني الجهاد والبذل، وأن يشرحوا لهم أن فلسطين أرض **مسلمة** اغتصبها اليهود، وأن كل هذه المعاهدات والاتفاقات والسياسات التي يراد بها أن تتخلى الأمة المسلمة عن فلسطين وعن المسجد الأقصى هي معاهدات باطلة واتفاقات ساقطة وسياسات خائنة لا يجب أن نعترف بها أو نقبلها، وأن هذا الجيل إن كان قد عجز عن تحرير فلسطين وفك أسر المسجد الأقصى المبارك فعلى جيل الأبناء الناشئ أن ينمو وتنمو معه الرغبة في القصاص من أعداء الأمة المسلمة، وأن يعيش على أمل أن يرى بعينيه رحيل آخر يهودي عن فلسطين المسلمة، وأن يحيا على أمل أن يصلي في المسجد الأقصى وقد تطهر من أدران الصهاينة.

وعلى المعلم المسلم ألا يتوانى في تذكير تلاميذه بأن أمريكا هي زعيمة المجرمين المعتدين على الإسلام والمسلمين، وأن جهادها واجب على كل مسلم، وأن المتعاون معها خائن لدينه ووطنه وقومه، وعلى الطالب المسلم أن يحرص على دخول انتخابات إتحاد الطلاب في معهده وكليته وجامعته لينشر من خلاله دعوة الإسلام إلى التوحيد والفضيلة والعفة، ويدعو إخوانه الطلاب عبر نشاطات اتحادات الطلاب إلى معاني المقاومة والصمود ضد الحملة الصليبية الجديدة.

ويجب على الجندي والضابط المسلمين أن يجهزا أنفسهما لمعركة تحرير بلاد الإسلام من أعدائه الأمريكان واليهود والنظام المصري العميل لهما. يجب على كل جندي وضابط ألا يسمح باستخدام سلاحه وعتاده ضد المسلمين، وألا يقبل أن يسخر الجيش المصري خدمة لأمريكا ورعاية لمصالحها وحماية لإسرائيل من هجمات المجاهدين. ويجب على كل ضابط وجندي أن يعلم أن الجيش المصري قد ديست كرامته يوم أن جعله الدستور حاميا للدولة العلمانية والرذيلة والقوانين الوضعية، ويجب أن يعلم أن الجيش المصري قد مرغ شرفه بالتراب يوم أجبر على أن يخلي سيناء ويتركها منزوعة السلاح تحت تهديد إسرائيل.

ويجب عليه أن يعلم أن عزته قد انتهكت يوم حرمته حكومته من امتلاك أسلحة الردع الشامل – بتوقيعها على اتفاقية حظر أسلحة التدمير الشامل – في الوقت الذي ترفض إسرائيل التوقيع عليها، فصار عاجزا عن التصدي لتهديد إسرائيل النووي والتدميري الذي تلوح به صباح مساء.

ويجب عليه أن ينشر هذا الوعي بين زملائه الجنود والضباط، وان ينشر بينهم الدعوة إلى التزام آداب الإسلام وأحكامه ومبادئه.

والعالم والخطيب والإمام يجب عليه أن يكون مرشدا لإخوانه المسلمين، ومربيا وقائدا لهم في معركة الإسلام ضد الحملة الصليبية الجديدة بدعوته وبيانه وجهره بالحق في وجه الظالمين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر".(١٦٦)

ويجب على الفتاة المسلمة أن تتعهد بالزيارة والرعاية لأسر المعتقلين والشهداء، وأن تسد حاجاتهم وتكسر حصار التجويع الذي تفرضه الحكومة عليهم.

إنها معركة متسعة ممتدة وكل منا له فيها دور هام بدءا من تنشئة أبنائنا على حفظ القرآن وتعلم آداب السنة إلى حمل السلاح وخوض القتال ضد أعداء الإسلام، إن الحرص على الوصول بالجهاد الإسلامي إلى هذه الجبهة العريضة المتسعة يثير سؤالا هاما وهو كيف ننقل هذا المعنى إلى قلوب وعقول جمهور الأمة المسلمة؟

إن الجماهير لكي تتحرك تحتاج إلى:

(١) قيادة تثق بها وتقتدي بها وتفهم خطابها.

---

(١٦٦) رواه النسائي بإسناد صحيح.

(٢) وتحتاج إلى عدو واضح توضح له ضربتها.

(٣) وتحتاج إلى كسر قيد الخوف وأغلال العجز في نفوسها.

وهذه الإحتياجات تظهر لنا الأثر الخطير لما يسمى بمبادرة وقف العنف وأمثالها من الدعوات في تشويه صورة القيادة وإرجاع الأمة إلى سجن العجز والخوف، إن هذه المبادرة وأمثالها ما هي – في الحقيقة – إلا صورة من صور الهزيمة النفسية – وهي **أخطر** أنواع الهزيمة – أمام أعداء الأمة المسلمة.

وهي مثال على قبول الطليعة المسلمة، بموقف التسول والاستجداء لسلامتها وسلامة إخوانها من أعدائها، فكيف يمكن أن تندفع جماهير الأمة وراء منهزم من داخله مستجد لسلامته من عدوه، وكيف يمكن أن ندفع الجماهير للجهاد والاستشهاد وعدم الاكتراث بالقوى العظمى الجبارة إذا كنا نحن قد استسلمنا لوكلائها، وكيف نطلب من الجماهير الصبر والثبات على المبدأ والتضحية في سبيل العقيدة إذا كنا قد تخلينا عن ثوابتنا – في نفس الجيل الذي بدأ الحركة – بعد أقل من عقدين من بدايتها.

إن الأمر أخطر مما نتصور، وأشنع مما نتصور، وأبعد في أثره مما نتصور، ولكي تتضح هذه الخطورة فلنسأل أنفسنا سؤالا:

ماذا سنروي للجيل القادم عن مآثرنا؟

هل سنقول لهم إننا قد حملنا السلاح ضد أعدائنا ثم ألقيناه وطلبنا منهم أن يتجاوبوا مع استسلامنا؟

أي قيمة جهادية يمكن أن يستفيد منها ذلك الجيل من تلك السيرة؟

ع – ولابد من إيصال كلامنا إلى جماهير الأمة وكسر الحصار الإعلامي المفروض على الحركة الجهادية، وهذه معركة مستقلة يجب أن نخوضها جنبا إلى جنب مع المعركة العسكرية.

ف – وأخيرا وليس آخرا يجب على الحركة الجهادية أن تدرك خطورة الحكام العملاء، وأن الطريق إلى النصر يمر عبر إزاحتهم وإزالتهم وخلعهم، ودون ذلك لن تتحرر أرض المسلمين، ولن ينكسر الحصار عن مقدساتهم، ولن يتوقف احتلال أرضهم وسرقة مقدراتهم، إن هؤلاء الحكام هم الطليعة المتقدمة لجيوش الاحتلال، وهم الجنود المنفذون لأوامر سادتهم في الغرب. وهم الذين نقلوا ولاءهم – في وسط آسيا المسلمة – من روسيا الشيوعية إلى

أمريكا الرأسمالية بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، ولا زالت نفس الوجوه الكريهة – التي كانت على رأس الأحزاب الشيوعية – تحكم بأنظمتها الجاثمة على صدور المسلمين في وسط آسيا، ولم يغير سقوط الإتحاد السوفيتي من سلطتهم، فقد نقلوا ولاءهم – بسرعة – إلى السادة الجدد في واشنطن وتل أبيب، وقدموا لهم نفس الخدمات التي كانوا يقدمونها – من قبل – إلى الإتحاد السوفيتي في محاربة الإسلام والبطش بالمسلمين.

إن **تحرير الأمة المسلمة ومنازلة أعداء الإسلام وجهادهم لابد له من سلطة مسلمة – فوق أرض مسلمة – ترفع راية الجهاد وتجمع المسلمين حولها**، وبدون تحقيق هذا الهدف ستظل أعمالنا مجرد عمليات إزعاج متكررة لا تؤتي ثمرتها المنشودة؛ إعادة الخلافة وطرد الغزاة من ديار الإسلام. ولن يتحقق قيام السلطة المسلمة فوق الأرض المسلمة إلا بخلع هؤلاء العملاء من فوق عروشهم، إن هذا الهدف يجب أن يكون الهدف الأساسي للحركة الجهادية الإسلامية مهما تكلف من تضحيات، ومهما استغرق من وقت، ومهما تكبدنا في سبيله من مشاق، ويجب أن لا نسمح للصعاب والمشاق أن تثنينا عن هذا الهدف العظيم، مهما ازداد بغيهم واشتد جبروتهم فإن مصيرهم – إن شاء الله – إلى زوال {**إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**}.

خـاتمة

والآن بعد أن انتهت أبواب الكتاب وفصوله أود أن ألخص الرسالة التي أردتها من هذا الكتاب.

هذه الرسالة باختصار: أن على الأمة المسلمة وطليعتها المجاهدة أن تستمر في الجهاد ومواصلة المقاومة والثبات على ذلك، لقد نشأت الحركة الجهادية كالنبت الصغير وسط الصخور والأشواك، ثم ما لبثت أن اشتد عودها وتفرعت أغصانها وامتدت فروعها رغم الضربات التي وجهت ولا تزال توجه لها.

وهي لا زالت قادرة – بفضل الله- أن تنبت من جديد ألف مرة وسط جلامد الصخور وغابات الأشواك، لأن الجهاد هو روح هذه الأمة ومقارعة الظلم والباطل والطغيان هو طريقها وهي تتبع سنة نبيها صلى الله عليه وسلم الذي أمره ربه – سبحانه وتعالى – بقوله: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً} النساء : ٨٤.

كما قال هاشم الرفاعي (رحمه الله):

كـل الـذي أدريـه أن تجرعـي	كـأس المذلـة لـيس في إمكـاني
لـو لم أكـن في ثـورتي متطلبـا	غـير الضـياء لأمـتي لكفـان
أهـوى الحيـاة كريمـة لا قيـد لا	إرهـاب لا اسـتخفاف بالإنسـان
فـإذا سـقطت أحمـل عـزتي	يغلـي دم الأحـرار في شـرياني

كانت هذه بعض تأملات وأفكار حول الحركة الجهادية – وبالذات في مصر – أردت أن أنصح به لنفسي وإخوتي وأمتي، فما كان منها من خير فهو من محض توفيق الله وتسديده، وما كان منه غير ذلك فهو من نفسي والشيطان وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرست

إصدارات غرفة الفجر الإسلامية